

(مقدمة شفاء السقام)

المسماة تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد

تأليف

* حضرة الاستاذ المحقق العلامة الشيخ محمد بخيت *

من أفاضل العلماء الأزهريين وأحد أعضاء

المحكمة العليا الشرعية بمصر

حفظه الله تعالى

ونفع به

كتبها سنة ١٣١٨ هجرية

(طبعت بمعرفة الشيخ فرج الله زكى الكردى وشركائه)

(الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق

مصر المحمية سنة ١٣١٨ هجريه)

(بالقسم الادبى)

بسم الله الرحمن الرحيم

يامن تنزهت عن الشريك فى الذات والصفات والأفعال وتقدست عن الند وتفرّدت بالعظمة والجلال وربطت الأسباب بالمسببات سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا وأبدعت الخلق على أحسن نظام وأكمل وأودعت فيه من الحكم مافصله الانسان وأجمل تبارك الله أحسن الخالقين صل وسلم على لسان الصدق وترجمان الحق ذى المقام الأسمى والواسطة العظمى حقيقة الحقائق محمد وأقرب الخلق الى الله أحمد وعلى أصحابه نجوم الهدايه وآله ذوى الروايه والدرايه ومن تبعهم باحسان حتى أتاه اليقين ﴿وبعد﴾ فان الله جل شأنه جعل لكل انسان نفسا ادراكه يصدق بوجودها بالضرورة ويخفى عليه كنهها وكيفية ادراكها فلذلك ضرب الله لادراكها حقائق الأشياء فى عالم الملك مثلا تقاس هى عليه فأوجد فيه عينا تدرك المبصرات ليكون ادراك العين للمبصرات مثالا لادراك النفس لحقائق الأشياء حتى يكون الانسان من نفسه على بصيرة فكما أن العين انما تدرك بقوة أودعت فيها يزول بزوالها الادراك وان بقيت العين كذلك النفس انما تدرك فى عالم الملك بقوة هى العقل يزول بزواله التمييز وان بقيت النفس وكما أنه يشترط فى ادراك العين محاذاة المبصر لها وأن لا يكون قريبا جدا لحدقتها ولا بعيدا جدا لاتصل اليه أشعتها وأن لا يكون مما لم يخلق فيها استعداد لادراكه بحيث لو كان الشئ غير محاذ أو كان قريبا جدا أو بعيدا جدا لا تصل اليه الأشعة أو كان مما لم يخلق فى العين استعداد لابصاره كالهواء فالعين

لاتدركه كذلك النفس لاتدرك الاما كان من عالم الملك مادامت فيه ولاتدرك كنه ما كان خارجاعنه فوق طور العقل ولاتدرك كنه نفسها لشدة القرب ولامالم يخلق فيها استعداد لادراكه كحقيقة الخالق وصفاته وكما أن العين قد تخلق خالية عن قوة الابصار كعين الأكمه أو يعرض لها بعد خلق القوة فيها مايزيل أو ينقص تلك القوة كذلك النفس قد توجد في هذا العالم من أول الامر خالية عن قوة التمييز وتبقى كذلك الى أن تعود الى عالمها عالم النفوس والأرواح وقد يعرض لها في عالم الأجسام مايزيل أو ينقص ادراكها للحقائق على وجهها كالجنون وارتكاب المعاصي والتعصب والعناد والغرض وكما أن العيون متفاوتة في قواها فبعضها يدرك القريب والمتوسط والبعيد وبعضها لايدرك الا المتوسط والقريب أو القريب فقط كذلك النفوس متفاوتة في قواها فبعضها يدرك الجلي والخفي والأخفى وبعضها يدرك الجلي فقط أو الجلي والخفي ولايدرك الأخفى وكما أن العين لاتبصر الأشياء الااذا أشرق عليها النور وخرجت من الظلمات وارتفعت الحجب كذلك النفوس لاتدرك حقائق الأشياء الااذا أشرق عليها نور التعليم الذي جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام في شرائعهم من لدن العليم الخبير وخرجت به الحقائق من ظلمات الخفاء وكما أنه يلزم للعين أدوية تحفظها مما يعرض لها من الأمراض التي تزيل أو تنقص قوة إبصارها وأدوية تزيد في جلائها بازالة أمراضها الخفية فيقوى ادراكها وأدوية تزيل ماعرض لها من الأمراض الظاهرة كذلك النفوس يلزم لها ادوية تحفظها من عروض الامراض النفسانية لها التي تزيل أو تنقص ادراكها للحقائق وأدوية تزيد في قوة ادراكها حتى تجول في ملكوت السموات والارض فتزداد معارفها ويفاض عليها من العلوم والمعارف مالا يفاض عليها بدون استعمال تلك الأدوية وأدوية تزيل ماعرض لها من تلك الأمراض وكما أنه لايقف على أمراض العيون وأنواعها ويقدر على تمييزها وتشخيصها ويعرف

الأدوية النافعة لكل مرض والواقية من عروضه والمقوية للابصار وكيفية استعمالها والمواضع والاوقات التي يلزم أن تستعمل فيها والمقادير التي تلزم الا الطبيب الحاذق الواقف تمام الوقوف على علم الطب العارف بوظائف اعضاء البدن واتصال بعضها ببعض وبخواص الأدوية ومنافعها ومضارها وما يجب على الانسان من الوسائط التي يلزم اتخاذها للوقاية من الامراض وغير ذلك مما لا ينكره عاقل ولذا قد يضع الطبيب الدواء في موضع قد ينكره عليه من لم يكن عالما بالطب مثله لكن يجب على العاقل أن يمتثل أوامر الطبيب الحاذق ويأخذها مسلمة ولا يناقشها بمقدماته العقلية ولا يخالفه في شيء والا هلك لأن ما أدركه بعقله ظانا أنه حق خلاف الحق وانما جاء اليه من عدم الاطلاع على ما اطلع عليه الطبيب لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون كذلك لا يقف على أمراض النفوس ويقوى على تشخيصها وتمييز أنواعها ويعرف الأدوية النافعة والواقية والمقوية على نحو ما ذكر في العين الا العالم بكنه النفس وكنه أمراضها وكيفية اتصالها بالبدن والأدوية اللازمة لها على النحو المذكور وما ذلك الا الله جل شأنه ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فلذلك جاء بشرعه على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام تعليما وارشادا للخلق وبيانا لامراض النفوس وأدويتها على الوجه الأتم الأكمل فأمر بأعمال حث على فعلها أوندب اليه ونهى عن أعمال حث على تركها أوندب اليه فكان المدار في نجاة النفوس وسلامتها من الامراض على امتثال الأوامر واجتناب النواهي الذي هو الدواء الوحيد الموضوع لذلك من قبل الخالق جل شأنه فباستعماله تحفظ النفس من عوارض الامراض وتحيا حياة أبدية وتقوى في ادراكها وتفاض عليها أنوار التحقيق حتى تخرج من ظلمات الجهل الى النور الحقيقي وتسبح فيه متلذذة متنعمة في نعيم مقيم لا يفنى ولا يبيد محفوظة من الزلل والخطا في مقعد صدق عند مليك مقتدر وهذا هو المقصود بالذات فيجب على العاقل أن يعرض جميع أفعاله وأقواله على

قانون الشارع و يجعلها مطابقة له أمرا ونهيا والا هلكت نفسه من حيث لا يشعر وهلاكها الهلاك الأبدى فتبقى فى عذاب مقيم لا يفنى وتندم حيث لا ينفع الندم لعدم امكان التدارك والرجوع الى هذه الدار دار العمل بعد الخروج منها الى الدار الاخرى وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ومما ضرب به الله مثلا فى هذا العالم لادراك النفوس فيه للحقائق انطباع الصور فى المرايا على وجه الانعكاس ليقاس ذلك على هذا فكما أن المرآة اذا كانت صغيرة بحيث لا يحاذيها ذو الصورة بجميع أجزائه لا تنطبع فيها الصورة كاملة تمثل صاحبها بجميع الأجزاء بل لا تمثل الاما انطبع صورته منه فلا يرى الناظر فى المرآة الامقدار ما انطبع فقط وكذلك اذا كان عليها صدأ يمنع الانطباع كلا أو بعضا أو كانت معوجة فان الصورة تنطبع فيها على حسب استعدادها واختلاف أحوالها كذلك النفس اذا كانت صغيرة بحيث لا تقوى على اكتناه الحقائق من كل وجه أو علاها صدأ المعاصى ومخالفة الاوامر الالهية أو كانت منحرفة معوجة عن وجه الحق لعناد أو تعصب أو غرض لا تنطبع فيها صور الحقائق الاعلى حسب استعدادها وأحوالها لكن النفس لجهلها بنفسها واستعداداتها وأحوالها ربما جزمت بأن ما وصلت اليه هو الحق وليس وراء ذلك شئ وذلك خطأ مبين وما أوتيتم من العلم الا قليلا وانظر الى صاحب كتابى تحرير المرأة والمرأة الجديدة كيف نظر الى المبحث الذى تكلم فيه من وجهة واحدة ورمى الى غرض واحد فقاده تعصبه لغرضه الذى يرمى اليه الى أن قال ما خرج به عن جادة الصواب وتجاوز حدود الشرع المقدس فظن أن الحجاب للمرأة مانع لها من التربية التى تفيدها معرفة ما لها وعليها من الحقوق بين قومها وأن تعرف طرق الكسب والمعيشة مع أنه عند تدقيق النظر لا يرى العقلاء علاقة بين الحجاب والتربية المذكورة فان الحجاب لا يمنعها وعدم الحجاب لا يستلزمها بل المدار فى ذلك على التعليم والحس شاهد عدل فان أكثر الرجال مع عدم الحجاب تراهم لا يعرفون شيأ مما ذكر

وكثير من النساء مع الحجاب يعرفن واجباتهن وما به يتكسبن و يقدرن على حاجاتهن المعاشية ومن راجع تواريخ الامم العربية فى صدر الاسلام و بعده وعلم مقدار ما كان عليه كثير من النساء مع الحجاب يتحقق أنه لا علاقة بينه و بين التربية التى يقصدها مؤلف هذين الكتابين فلو نظر نظرة عامة وأحاط بالمسئلة التى يبحث فيها من جميع أطرافها لم يخرج فى كتابيه الى حد أباح فيه مخالطة النساء للرجال واطلاق الحرية لهن على وجه يؤدى و يجر الى الفساد والخلل و يعود على موضوعه بالنقض ويخرج به النساء عن التربية المقصودة ويبعدن عن الأخلاق المحمودة وطعن على العلماء والفقهاء سلفا وخلفا وعاب التشريع الذى جاء به الوحى ولوّح فى كتابه المرأة الجديدة الى أن مبناه الخيال وقال ما كاد يخرجه عن دينه القويم الذى التزمه هو وآباؤه من قبل وعقدوا عليه الخناصر ولم يستطع أن يفعل كما قال فى كتابيه حتى نبذهما العقلاء ظهريا وسلقوه بألسنة حداد كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون بل كان يقتصر فى كتابيه على تحسين تربية النساء وتعليمهن ما به يصرن مثل الرجال أو أقرب فى العلم والعمل ويفرق كما فرق الشارع فى الاحكام بين مخدرة وغير مخدرة و يحظر على الجميع مخالطة الرجال الا فيما تدعو اليه الضرورة وكما أن الرجال اتخذوا معلمين يتخذ النساء معلمات فيحصل الغرض المقصود بدون اخلال بشئ مما أوجبته الحنيفية البيضاء وبدون احلال لشئ مما حرمته الشريعة الغراء ولا يذكر فيهما ما يتخذه المفسدون ذريعة لغاياتهم الفاسدة فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه لكن الغرض المذكور جعله لا يتصور الا ما يوافق هواه والذى أجمعت عليه الأمة الاسلامية وصار من القضايا الأوّلية أن أكبر النفوس وأكملها نفوس الانبياء والرسل فهى المعصومة عن الخطا والزلل والغفلة والبلادة والخيانة والتعصب والميل مع الاهواء والاغراض الله أعلم حيث يجعل رسالته فهم آخذون عن الله عز وجل فكل ما جاؤا به و بينوه من الشرائع والاحكام حق وصدق لا يأتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد و يليهم فى ذلك الاصحاب لانهم أخذوا عنهم ذلك مباشرة فكل ماينوه حتى يتبع فهم أيضا محفوظون عماذ كر لايخالف أحدهم الآخر لتعصب أولهوى أوغرض فى النفس وانما أقوالهم واجتهادهم بساط الشارع الذى بسطه لخلقه فضلا منه ورحمة محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا والحق واحد والكل مأجور ويلى الاصحاب فيماذكر التابعون الذين أخذوا عنهم ويلى التابعين تابعو التابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين فمن كان من العلماء فى العصور السالفة أوفى هذا العصر متمسكا بما جاء به النبى وأصحابه والسلف الصالح عليهم الصلاة والسلام فى أقواله وأفعاله بدون أن يخالفهم فى شئ من أصول الدين اعتقادا وعملا فطناذ كيا واقفا عند حدود الشرع لايخاف فى الله لومة لائم لاتزحزحه عن الحق عواصف الاغراض والاهواء بدون أن يبدى على ذلك أدنى ملاحظة واعتراض غير مسترسل مع عقله مستعملا له فى فهم ما ورد واقفا عنده لايخرج عن مذاهب الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين علمنا أن هذا العالم هو الموفق الذى تقبل أقواله ويقتدى به فيها وفى أفعاله لانه علم واستعمل الدواء النافع الذى وضعه الله للنفوس لتحفظ به عن الخطا فى ادراكها للعقائق ووقوفها مع الحق فامتثل الامر واجتنب النهى وحفظ نفسه أوشفاها من الاسقام والعلل العائقة لها عن الادراك فلم يخرج عن قواعد الشرع فى عقائده وأقواله وأعماله فلايدرك الاحقا ولايقول الاصدقا ولايفعل الاصوابا والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن كان من العلماء فى أى عصر كان غير متمسك بما جاء به النبى وأصحابه مخالفا لشئ من ذلك فى أقواله وأفعاله واعتقاده غير واقف عند حدود الشرع

ما ئلا مع الاهواء والاغراض أينما مالت متعصبا مسترسلا مع عقله معترضا بمقدماته العقلية على دقائق الشرع وحكمه التي خفيت عليه خارجا عن مذاهب أئمة الهدى علمنا أن هذا العالم من علماء السوء الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم فهم مخذولون مطرودون عن الحق بعيدون عن الصدق والصواب مستدرجون من حيث لا يعلمون أولئك أعداء الانبياء الداخلون في قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك حزب الشيطان فهؤلاء قل أن يوفق منهم أحد للصواب وموافقة الواقع وان كانت أقوالهم مزخرفة الظاهر لكنها فاسدة في الباطن تترا كم على ضعفاء العقول ترا كم الثلوج فاذا سطعت عليها شموس البراهين الحقة ذابت وتلاشت والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك طبع الله على قلوبهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فالفارق بين من تقبل أقواله من العلماء ويقتدى به وبين من لا تقبل أقواله ولا يقتدى به هو ما ذكرنا فمن كان من الفريق الاول كان قوله مقبولا وبيانه معقولا موفقا للصواب لا يخرج في اعتقاده أو قوله أو فعله عن حدود الشرع ومن كان من الفريق الثاني وجب نبذ أقواله ظهريا لانه بعصيانه وعدم امتثاله الاوامر واجتنابه النواهي لم يستعمل الدواء الذي به يحفظ نفسه أو يشفيها من الاسقام الحائلة بينها وبين الحق والصواب فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وتلك حجتنا ومن الفريق الثاني الذي طمس الله على قلبه وطبع عليه أهل البدع في العقائد والاعمال الذين خالفوا الكتاب والسنة والاجماع فضلوا وأضلوا كثيرا قاتلهم الله أني يؤفكون ومأواهم جهنم وساءت مصيرا وقد ابتلي المسلمون بكثير من هذا الفريق سلفا وخلفا فكانوا وصمة وثلمة في المسلمين وعضوا

فاسدا يجب قطعه حتى لايعدى الباقى فهو المجذوم الذى يجب الفرار منه ومنهم ابن تيمية الذى ألف كتابه المسمى بالواسطة وغيره فقد ابتدع ماخرق به اجماع المسلمين وخالف فيه الكتاب والسنة الصريحة والسلف الصالح واسترسل مع عقله الفاسد وأضله الله على علم فكان إلهه هواه لظنه منه أن ما قاله حق وماهو بالحق وانما هو منكر من القول وزور قال الامام صاحب التصانيف النافعة فى كل فن العلامة ابن حجر فى فتاواه الحديثية مانصه ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمه وأذله وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الامام المجتهد المتفق على امامته وجلالته وبلوغه رتبة الاجتهاد أبى الحسن السبكى وولده التاج والشيخ الامام العز بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية ولم يقصر اعتراضه على متأخرى الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما كما يأتى والحاصل أنه لايقام لكلامه وزن بل يرمى فى كل وعر وحزن ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال ومضل جاهل غال عامله الله بعدله وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله آمين وحاصل ماأشير اليه فى السؤال أنه قال فى بعض كلامه ان فى كتب الصوفية ماهو مبنى على أصول الفلاسفة المخالفين لدين المسلمين فيتلقى ذلك بالقبول من يطالع فيها من غير أن يعرف حقيقتها كدعوى أحدهم أنه مطلع على اللوح المحفوظ فانه عند الفلاسفة كابن سينا وأتباعه النفس الفلكية ويزعمون أن نفوس البشر تتصل بالنفس الفلكية أو بالعقل الفعال يقظة أو مناما وهم يدعون أن مايحصل من المكاشفة يقظة أو مناما هو بسبب اتصالها بالنفس الفلكية عندهم وهى سبب حدوث الحوادث فى العالم فاذا اتصلت بها نفس البشر استنقش فيها ما كان فى النفس الفلكية وهذه الامور لم يذكرها قدماء الفلاسفة وانما ذكرها ابن سينا ومن يتلقى عنه ويوجد من ذلك فى بعض كلام أبى حامد وكلام ابن

عربى وابن سبعين وأمثال هؤلاء تكلموا فى التصوف والحقيقة على قاعدة الفلاسفة لا على أصول المسلمين ولقد خرجوا بذلك الى الالحاد كالحاد الشيعة والاسماعيلية والقرامطة والباطنية بخلاف عباد أهل السنة والحديث ومتصوفتهم كالفضيل وسائر رجال الرسالة وهؤلاء أعظم الناس انكار الطرق من هو خير من الفلاسفة كالمعتزلة والكرامية فكيف بالفلاسفة وأهل التصوف ثلاثة أصناف قوم على مذهب أهل الحديث والسنة كهؤلاء المذكورين وقوم على طريقة بعض أهل الكلام من الكرامية وغيرهم وقوم خرجوا الى طريق الفلسفة مثل مسلك من سلك رسائل اخوان الصفا وقطعة توجد فى كلام أبى حيان التوحيدى وأما ابن عربى وابن سبعين ونحوهما فجاؤا بقطع فلسفية غيروا عباراتها وأخرجوها فى قالب التصوف وابن سينا تكلم فى آخر الاشارات على مقام العارفين بحسب ما يليق بحاله وكذا معظم من لم يعرف الحقائق الايمانية والغزالى ذكر شيأ من ذلك فى بعض كتبه لاسيما فى الكتاب المضنون به على غير أهله ومشكاة الانوار وغير ذلك حتى ادعى صاحبه أبو بكر بن العربى فقال شيخنا دخل فى نظر الفلاسفة وأراد أن يخرج منهم فما قدر لكن أبو حامد يكفر الفلاسفة فى غير موضع وبين فساد طريقتهم وأنها لا تحصل المقصود واشتغل فى آخر عمره بالبخارى ومات على ذلك وقيل انه رجع عن تلك الكتب ومنهم من يقول انها مكذوبة عليه وكثر كلام الناس فيه لأجلها كالمازرى والطرطوشى وابن الجوزى وابن عقيل وغيرهم اه حاصل كلام ابن تيميه وهو يناسب ما كان عليه من سوء الاعتقاد حتى فى أكابر الصحابة ومن بعدهم الى أهل عصره وربما أداه اعتقاده ذلك الى تبديع كثير منهم ومن جملة من تتبعه الولى القطب العارف أبو الحسن الشاذلى نفعنا الله بعلومه ومعارفه فى حزبه الكبير وحزب البحر وقطعة من كلامه كما تتبع ابن عربى وابن الفارض وابن سبعين وتتبع أيضا الحلاج الحسين بن منصور ولا زال يتتبع

الأكابر حتى تمالأ عليه أهل عصره ففسقوه وبدّعوه بل كفره كثير منهم وقد كتب اليه بعض أجلاء أهل عصره علماً ومعرفة سنة خمس وسبعمائة من فلان الى الشيخ الكبير العالم امام أهل عصره بزعمه أما بعد فانا أحببناك فى الله زمانا وأعرضنا عما يقال فيك إعراض الفضل احسانا الى أن ظهر لنا خلاف موجبات المحبة بحكم مايقتضيه العقل والحس وهل يشك فى الليل عاقل اذا غربت الشمس وانك أظهرت أنك قائم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والله أعلم بقصدك ونيتك ولكن الاخلاص مع العمل ينتج ظهور القبول ومارأينا آل أمرك الا الى هتك الاستار والاعراض باتباع من لا يوثق بقوله من أهل الاهواء والاغراض فهو سائر زمانه يسب الاوصاف والذوات ولم يقنع بسب الأحياء حتى حكم بتكفير الاموات ولم يكفه التعرض على من تأخر من صالحى السلف حتى تعدى الى الصدر الاول ومن له أعلى المراتب فى الفضل فياويح من هؤلاء خصماؤه يوم القيامة وهيهات أن لا يناله غضب وأنى له بالسلامة وكنت ممن سمعه وهو على منبر جامع الجبل بالصالحية وقد ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ان عمر له غلطات وبليات وأى بليات وأخبرنى عنه السلف أنه ذكر على بن أبى طالب فى مجلس آخر فقال إن عليا أخطأ فى أكثر من ثلثمائة مكان فياليت شعرى من أين يحصل لك الصواب اذا أخطأ على بزعمك كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب والآن قد بلغ هذا الحال الى منتهاه والامر الى مقتضاه ولا ينفعنى الا القيام فى أمرك ودفع شرك لأنك قد أفرطت فى الغى ووصل أذاك الى كل ميت وحى وتلزمنى الغيرة شرعا لله ولرسوله ويلزم ذلك جميع المؤمنين وسائر عباد الله المسلمين بحكم مايقوله العلماء وهم أهل الشرع وأرباب السيف الذين بهم الوصل والقطع الى أن يحصل منك الكف عن أعراض الصالحين رضى الله عنهم أجمعين اهـ * واعلم أنه خالف الناس فى مسائل نبه عليها التاج السبكى وغيره فمما خرق فيه الاجماع قوله فى على

الطلاق انه لا يقع عليه بل عليه كفارة يمين ولم يقل بالكفارة أحد من المسلمين قبله وان طلاق الحائض لا يقع وكذا الطلاق فى طهر جامع فيه وان الصلاة اذا تركت عمدا لا يجب قضاؤها وان الحائض يباح لها الطواف بالبيت ولا كفارة عليها وان الطلاق الثلاث يرد الى واحدة وكان هو قبل ادعائه ذلك نقل اجماع المسلمين على خلافه وان المكوس حلال لمن أقطعها وانها اذا أخذت من التجار أجزأتهم عن الزكاة وان لم تكن باسم الزكاة ولا رسمها وان المائعات لا تنجس بموت حيوان فيها كالفأرة وان الجنب يصلى تطوعه بالليل ولا يؤخره الى أن يغتسل قبل الفجر وان كان بالبلد وان شرط الواقف غير معتبر بل لو وقف على الشافعية صرف الى الحنفية وبالعكس وعلى القضاة صرف الى الصوفية وفى امثال ذلك من مسائل الاصول مسئلة الحسن والقبح التزم كل ما يرد عليها وان مخالف الاجماع لا يكفر ولا يفسق وان ربنا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاهلون علوا كبيرا محل الحوادث تعالى الله عن ذلك وتقدس وانه مركب تفتقر ذاته افتقار الكل للجزء تعالى الله عن ذلك وتقدس وان القرآن محدث فى ذات الله تعالى الله عن ذلك وان العالم قديم بالنوع ولم يزل مع الله مخلوقا دائما فجعله موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار تعالى الله عن ذلك وقوله بالجسمية والجهة والانتقال وأنه بقدر العرش لا أصغر ولا أكبر تعالى الله عن هذا الافتراء الشنيع القبيح والكفر البراح الصريح وخذل متبعيه وشتت شمل معتقديه وقال ان النار تفنى وان الانبياء غير معصومين وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جاه له ولا يتوسل به وان إنشاء السفر اليه بسبب الزيارة معصية لا تقصر الصلاة فيه وسيحرم ذلك يوم الحاجة الى شفاعته وان التوراة والانجيل لم تبدل ألفاظهما وانما بدلت معانيهما اه وقال بعضهم ومن نظر الى كتبه لم ينسب اليه أكثر هذه المسائل غير انه قائل بالجهة وله فى اثباتها جزء و يلزم أهل هذا المذهب الجسمية والمحاذاة والاستقرار فلعله فى بعض الاحيان كان يصرح بتلك اللوازم فنسبت اليه

سيما ومن نسب اليه ذلك من أئمة الاسلام المتفق على جلالته وامامته وديانته وانه الثقة العدل المرتضى المحقق المدقق فلا يقول شيأ الا عن تثبت وتحقق ومزيد احتياط وتحرسيما ان نسب الى مسلم مايقتضي كفره وردته وضلاله واهدار دمه فان صح عنه مكفر ومبدع يعامله الله بعدله والا يغفر الله لناوله اه كلام ابن حجر

* ولما أن تظاهر قوم في هذا العصر بتقليد ابن تيمية في عقائده الكاسدة وتعضيد أقواله الفاسدة و بثها بين العامة والخاصة واستعانوا على ذلك بطبع كتابه المسمى بالواسطه ونشره وقد اشتمل هذا الكتاب على كثير مما ابتدعه ابن تيمية مخالفا في ذلك الكتاب والسنة وجماعة المسلمين فأيقظوا فتنة كانت نائمة فقياما بما يجب علينا كنا عزمنا على جمع مؤلف في الرد على ذلك الكتاب حتى لا يقع المسلمون بواسطة ابن تيمية ومن هم على شاكلته في مهواة الضلال والهلاك الابدية غير أنا وجدنا كتاب الامام الجليل والمجتهد الكبير تقي الدين أبي الحسن السبكي المسمى (بشفاء السقام في زيارة خير الانام) أوشن الغارة على من أنكر فضل الزيارة وافيا بالغرض المقصود آتيا على ما قاله ابن تيمية في ذلك الكتاب وغيره مقوضا لبنيانه مزعزعا لأركانه ماحيا لآثاره ماحقا لأباطيله مظهرا لفساده مبينا لعناده فاكتفينا بطبعه ونشره بين المسلمين ليطلعوا عليه و يعلموا سوء المقاصد وباطل العقائد فيسلكوا سبيل الرشاد والسداد و يعرضوا عن طرق الغي والعناد و يضربوا بما قاله ابن تيمية وأمثاله عرض الحائط والله من ورائهم محيط وقد ألحقنا بكتاب السبكي رسالة للعلامة الحوى وأخرى للعلامة السجاعى وفتوى للعلامة الشوبرى وجميعها تتضمن الرد على أمثال ابن تيمية ممن أنكروا الوسائط مع أنها ليست الا أسبابا ارتبط بها مسبباتها بحكم سنة الله في خلقه والتأثير والخلق والايجاد لله وحده ألا له الخلق والامر وقد تقرر عقلا ونقلا أن توقف الممكنات بعضها على بعض انقص في الممكنات لا عجز في الفاعل جل شأنه وهذا مما كاد

أن يكون بديهيا وكما جاز أن يتوسط حي في قضاء مصلحة حي والفعل لله وحده يجوز أن تتوسط روح ميت في قضاء مصلحة حي أو ميت والفعل لله وحده والأرواح باقية على الحياة وأفعالها في عالم الملك انما تظهر بواسطة البدن مادام حيا بالحياة الحيوانية فاذا مات وفقد الحياة الحيوانية بقيت نفسه وروحه على حياتها الملكوتية وتعلقت بجسمه تعلقا آخر على وجه آخر يعلمه الله تعالى كما دل عليه نعيم القبر وعذابه فاذا كان الفعل في الواقع ونفس الامر انما هو للنفس والروح والجسم آلة يظهر به الفعل والروح باقية خالدة ففعلها باق وتصرفها في أفعالها لا يتغير الا بعدم ظهور الافعال بواسطة البدن فلا مانع عقلا أن يكون بعض أرواح الاولياء والصالحين بعد موت الاجساد سببا بدعائها وتوجهها الى الله تعالى في قضاء حوائج بعض الزائرين لهم المتوسلين بهم بدون أن يكون لها مدخل في التأثير وأي فرق بين التوسط بالاحياء في قضاء الحوائج مع اعتقاد أن لا فاعل الا الله وبين توسط أرواح الاموات مع اعتقاد ذلك والقول بأن ملوك الدنيا انما يحتاجون الى الوسائط لجواز الغفلة عليهم عن حوائج الخلق بخلاف العليم الخبير سفسطة ظاهرة وتمويه على العقول فان الملك ووسائطه واسطة في قضاء حوائج الطالب من الله تعالى اذ لا فاعل سواه فلو كان اتخاذ الواسطة شركا بعد اعتقاد أن المؤثر هو الله وحده لكان معاونة بعضنا لبعض في قضاء المصالح شركا وهذا باطل بالضرورة لما يترتب عليه من بطلان الشرائع وفساد نظام العالم وعدم نسبة الافعال الاختيارية الى فاعليها فتبطل الحدود والزواجر ويختل النظام فعليك بالانصاف * قال المناوي في شرح عينية ابن سينا في النفس قال الناظم في كتاب زيارة القبور تعلق النفس بالبدن عظيم جدا حتى انها بعد المفارقة تشتاق وتلتفت الى الاجزاء البدنية المدفونة فاذا زار انسان قبر آخر وتغاضى عن العلائق الجسمانية والعلائق الطبيعية توجهت نفسه الى العالم العقلي فتواجه نفسه نفس الميت ويحصل منهما المقابلة كما في المرآتين فيرتسم فيها

صورة عقلية بطريق الانعكاس ويحصل لها بذلك كمال اه وقد ذكر الغزالى نحو ذلك مع زيادة بسط وتحقيق فقال المقصود من زيارة الانبياء والاولياء والائمة الاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواحهم والعبارة عن هذا الامداد الشفاعة وهذا يحصل من جهتين الاستمداد من هذا الجانب والامداد من ذلك الجانب ولزيارة المشاهد أثر عظيم فى هذين الركنين أما الاستمداد فبانصراف همة صاحب الحاجة عن أموره العادية باستيلاء ذكر المزور على الخاطر حتى تصير كلية همته مستغرقة فى ذلك ويقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة سبب منبه لروح ذلك الشفيع أو المزور حتى تمد روح المزور الطيبة ذلك الزائر بما يستمد منها ومن أقبل بكليته وهمته على انسان فى دار الدنيا فان ذلك الانسان يحس باقبال ذلك المقبل عليه لخبره بذلك فمن لم يكن فى هذا العالم فهو أولى بالتنبه وهو مهيأ لذلك التنبه فان اطلاع من هو خارج عن أحوال العالم على بعض أحوال العالم ممكن كما يطلع من هو فى المنام على أحوال من هو فى الآخرة أهو مثاب أم معاقب فان النوم صنو الموت وأخوه فبسبب النوم صرنا مستعدين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدين فى حال اليقظة لها فكذا من وصل الى دار الآخرة ومات موتا حقيقيا كان بالاطلاع على أحوال هذا العالم أولى وأحرى فأما كلية أحوال هذا العالم فى جميع الاوقات فلم تكن مندرجة فى سلك معرفتهم كما لم تكن أحوال الماضين حاضرة فى معرفتنا فى منامنا عند الرؤيا ولايجاد المعارف معينات ومخصصات منها همة صاحب الحاجة وهى استيلاء ذكر صاحب تلك الروح العزيزة على صاحب الحاجة وكما تؤثر مشاهدة صورة الحى فى خطور ذكره وحضور نفسه بالبال فكذا تؤثر مشاهدة ذلك الميت ومشاهدة تربته التى هى حجاب قالبه فان أثر ذلك الميت فى النفس عند غيبة قالبه ومشهده ليس كأثره فى حال حضوره ومشاهدة قالبه ومشهده ومن ظن أنه قادر على أن يحضر فى نفسه ذلك الميت عند غيبة مشهده كما يحضره عند مشاهدة مشهده

فذلك ظن خطأ فان المشاهدة أثر اينا ليس للغيبة مثله ومن استعان فى الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه الاستعانة أيضا جزافا ولا تخلو من أثر ما كما قال المصطفى عليه الصلاة والسلام من صلى على مرة صليت عليه عشرا ومن زارنى حلت له شفاعتى فالتقرب بقالبه الذى هو أخص الخواص به وسيلة تامة متقاضية الشفاعة والتقرب بولده الذى هو بضعة منه ولو بعد توالد وتناسل والتقرب بمشهده ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه ونعله وعضادته والتقرب بعادته وسيرته وعماله مناسبة اليه يوجب التقرب اليه ومقتض لشفاعته فانه لا فرق عند الانبياء والاولياء فى كونهم فى دار الدنيا وكونهم فى دار الآخرة الا فى طريق المعرفة فان آلة المعرفة فى دار الدنيا الحواس الظاهرة وفى العقبى آلة بها يعرف الغيب إما فى صورة مثال وإما على سبيل التصريح وأما الاحوال الاخر فى التقرب والقرب والشفاعة فلا تتغير والركن الاعظم فى هذا الباب الامداد والاهتمام من جهة الممد وان لم يشعر صاحب الوسيلة بهذا المدد فانه لو وضع شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سوطه أو عضادته على قبر عاص أو مذنب لنجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب وان كان فى دار انسان أو بلد لا يصيب سكانها بلاء وان لم يشعر بها صاحب الدار أو ساكن البلد فان اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى العقبى مصروف الى ما هو له منسوب ودفع المكاره والامراض والعقوبات مفوض من الله تعالى الى الملائكة وكل ملك حريص على اسعاف ما يرضى النبى صلوات الله عليه بهمته اليه عن غيره كما كان فى حال حياته فان تقرب الملائكة بروحه بعد موته أزيد من تقربهم بها فى حال حياته الى هنا كلامه انتهى فانظر الى ما نقلناه من كلام حجة الاسلام الغزالى وكلام ابن حجر لتعلم أن ما كتبوه ونشروه فى بعض الجرائد منسوبا الى هذين الامامين قد حرفوه عن مواضعه الذين كتبوه فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ألم يعلموا أن زيارة القبور تارة يقصد بها الموعظة بالأموات

وهذه تعم جميع القبور والاموات وتارة يقصد بها الاستمداد والتبرك بالمزور وهذا يختص بالانبياء والاولياء والصالحين ألم يعلموا أن الانسان يتأثر بتصوراته وان نفسه تحت قهر سلطان الوهم فكم من انسان تحقق أنه سيقتل لامحالة فتصور الموت واقعا به فمات بسبب ذلك قبل أن يقتل كذلك اذا زار انسان مشهد الحسين رضى الله عنه مثلا واعتقد أنه كان طاهر بين يدى ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم استولى عليه الخشوع والخضوع وامتلأ قلبه اخلاصا فيدعو الله مخلصا موقنا بالاجابة خصوصا اذا اعتقد أن روح الحسين رضى الله عنه مثلا تسأل الله اجابة دعاء زائره أليس ذلك سببا فى اجابة الدعاء وقضاء حوائج الزائرين المخلصين والله هو المؤثر ولا نرى زائرا مسلما ولو عاميا يتوهم فضلا عن أن يعتقد أن لله شريكا من خلقه فهما اعتقد الزائر من علو درجة المزور فلا يعتقد فيه الا أنه عبد مقرب لله يسأل الله كما يسأله الزائر وأن المزور أطهر منه روحا وأصفى نفسا بما أعطاه الله من الكمال الانسانى وان كان العوام لا يستطيعون التعبير عما تكنه صدورهم من حسن العقيدة وكمال الايمان اللهم ايمانا كايمان العجائز فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا تراهم فريقا جعلوا ديدنهم ذم العلماء سلفا وخلفا لا فرق فى ذلك بين الاحياء والاموات والطعن عليهم والقاء الشبهات وذرها فى عيون بصائر الضعفاء لتعمى أبصارهم عن عيوب هؤلاء يقصدون بذلك القاء العداوة والبغضاء بين العامة والعلماء فيخلو لهم الجو ويسعون فى الارض فسادا ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يزعمون أنهم قائمون بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر حاضون الناس على اتباع الشرع واجتناب البدع والله يشهد انهم لكاذبون وهذا ديدن ابن تيمية فى عصره وديدن كل من هم على شاكلته فى كل عصر يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون يلومون العلماء فى هذا العصر وغيره على تقاعدهم عن الامر بالمعروف

والنهى عن المنكر وما علموا أن العلماء بالقاعد روس العلوم الشرعية فى أكثر المساجد وبيان الاحكام لكل طالب بدون أن يمنع عن مواردهم أى وارد قائمون بذلك حق القيام على الطريق الذى يلزم لذلك شرعا خصوصا فى مثل هذا العصر ولا يجوز أن يزال المنكر بمنكر آخر فلا يليق بالعلماء أن يستعملوا فى ازالة المنكرات طريقا يترتب عليها الفتن والقلاقل فيقعوا فى فتنة عامة ومنكر أشد وهل تزال النجاسة بالنجاسة ومع كل ذلك فالعلماء لسان والامراء سنان والعلماء أمناء الدين والدين أساس والامراء قوام عليه والقوام حراس وليس وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر خاصا بالعلماء بل هو فرض كفاية يجب على جميع أفراد الامة القيام به ولكن متى قام به البعض سقط عن الباقين والا وقع الكل فى الاثم المبين فافهم حكمة ما أشرنا اليه وما يعقلها الا العالمون ولو أن هؤلاء الذين يدعون القيام بالامر فى هذا العصر أخلصوا لله الدعوة فى السر والعلن واجتنبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن لأصابت سهام أقوالهم كبد الحقيقة وأصابت الواقع واستقاموا على الطريقة وكسيت أقوالهم جلباب القبول وبلغوا المأمول وفوق المأمول ولكن لما بيت طائفة منهم غير الذى تقول ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله والله لا يهدى كيد الخائنين ولو صدق هؤلاء فيما يزعمون لقاموا بالنهى عما أجمعت الامة على انكاره كالزنا والربا وشرب الخمر والمجاهرة بها وترك الصلاة والصوم وغير ذلك مما لا يحصى ولا يستقصى وهم يشاهدونه أو يفعلونه آناء الليل وأطراف النهار ولكنهم بالنهى عما اختلفت فيه الائمة وانتصارهم للمذاهب الباطلة قصدوا تفريق كلمة المسلمين وايغار صدور المؤمنين لينالوا بذلك التفريق جمع حطام الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع والآخرة خير وأبقى هذه نصيحتنا نقدمها اليكم يا معشر المسلمين لتحذروا الوقوع فى شرك الضالين المضلين فاسمعوا وعوا وأنيبوا الى ربكم وأسلموا ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وقوا أنفسكم

وأهليكم نارا وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نورا تمشون به وإياكم أن تغتروا بزخرف القول الذى لا يقصد به وجه الله وإنما يقصد به إلقاء بذور الفساد فى عقائد العباد ودس الدسائس والفتن والتمويه على ضعفاء العقول فخذوا ما آتينا كم بقوة واذكروا ما فيه

﴿ كتبه الفقير اليه سبحانه وتعالى محمد بخيت المطيعى الحنفى غفر الله له ﴾

﴿ يقول المتوسل بذى المقام المحمود خادم التصحيح الفقير الى الله سبحانه طه بن محمود ﴾

نحمدك اللهم يامن أعظم للمحسنين الجزاء وأكرم فى الحياة وبعد الممات الاولياء وأنزل على نبيه فى محكم الأنباء ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء ونشكرك على نعمك الدائمه يامن أنهض بالحق رجالا قاعدة الدين بهم قائمه ونصلى ونسلم على من بعثته بخير الأديان سيدنا محمد الذى كان خلقه القرآن وعلى آله وأصحابه وكل متأدب بآدابه (أما بعد) فمن فضل الله العام وإحسانه التام طبع مقدمة شفاء السقام المسماة تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد تأليف الامام الأمثل والهمام الفيصل العالم العلامة الفقيه الحجة المتقن المتفنن حضرة مولانا الشيخ محمد بخيت من أعيان علماء الازهر الشريف وأحد أعضاء المحكمة العليا الشرعية بمصر أكثر الله من أمثاله فى حملة الشرع ورجاله وأيد به الحق وأرغم به أنف الباطل «وهذا دعاء للبرية شامل»

قام «حفظه الله» مقاما محمودا عما يجب على كل مسلم فضلا عمن أصبح من العلماء معدودا من إحقاق الحق والارشاد اليه وابطال الباطل وتسفيه رأى من عكفوا عليه دائبا فى ذلك دأب السلف الصالح ممن كان همهم فى درء المفاسد وجلب

المصالح فجزاه الله عنا خير الجزاء ووفق لمثل عمله السادة العلماء فانهم أطباء القلوب البصراء بالمحاسن والعيوب وهم المصابيح فى الحوالك الأدلاء عند اشتباه المسالك فمن يأمر بالمعروف اذا لم يأمروا ومن ينكر المنكر مالم ينكروا فدونك أيها الطالب مقدمة أنتجت أحسن انتاج وسلكت بطلاب الحق أقوم منهاج ولا يصدنك عنها أن كانت فى حجمها صغرى فانها فى العلم وعظيم النفع كبرى وكم من لطيف غلا وخف محملا وما مثلها الا الدينار لطف حجمه وأغنى عن القنطار

ألا إن علم الدين أفضل ملتمس * لمن رام تطهير الفؤاد من الدنس
وما العلم الا ما أتى عن نبينا * فمن نوره الانوار والله تقتبس
فدونك علما نافعا أفصحت به * مقدمة ترمى الاباطيل بالخرس
مقدمة جاءت تؤنب معشرا * تعاطوا كؤوسا ملؤها الافك والهوس
ينادون فينا الاتزوروا نبيكم * وقد مات ما فى الميت نفع فيلتمس
مؤلفها المولى محمد الذى * بارشاده للناس جدد ما اندرس
فياليت أهل العلم يحذون حذوه * فينطق ذو صمت ويجهر من همس

﴿ كتبه الفقير اليه سبحانه طه محمود ﴾

كتاب شفاء السقام في زيارة خير الأنام

للامام العلامة قاضى القضاة شيخ الاسلام والمسلمين امام المجتهدين سيف المناظرين تقى الدين أبى الحسن على بن عبد الكافى السبكى تغمده الله برحمته ورضوانه

ويليه كتاب (نفحات القرب والاتصال باثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامات بعد الانتقال) لشيخ الاسلام شهاب الدين أحمد الحسينى الحموى

ويليه أيضا رسالة فى اثبات كرامات الأولياء للعلامة السجاعى ومعها جواب سؤال عن كرامات الأولياء للعلامة الشوبرى

طبعت بمعرفة حضرة ذى الهمة العليه الشيخ فرج الله زكى الكردستانى وشركاته

كل من أراد هذا الكتاب والكتب الآتى بيانها فى آخر هذا الكتاب يخابر حضرة الشيخ فرج الله المذكور بالازهر الشريف بمصر

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية)

(سنة ١٣١٨ هجرية)

(بالقسم الأدبى)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى من علينا برسوله وهدانا به إلى سواء سبيله وأمرنا بتعظيمه وتكريمه وتبجيله وفرض على كل مؤمن أن يكون أحب اليه من نفسه وأبويه وخليله وجعل اتباعه سببا لمحبة الله وتفضيله ونصب طاعته عاصمة من كيد الشيطان وتضليله ويغنى عن جملة القول وتفصيله رفع ذكره وما أثنى عليه فى محكم الكتاب وتنزيله صلى الله عليه وسلم صلاة دائمة بدوام طلوع النجم وأفوله

(أما بعد) فهذا كتاب سميته (شفاء السقام فى زيارة خير الانام) ورتبته على عشرة أبواب (الاول) فى الاحاديث الواردة فى الزيارة (الثانى) فى الاحاديث الدالة على ذلك وان لم يكن فيها لفظ الزيارة (الثالث) فيما ورد فى السفر اليها (الرابع) فى نصوص العلماء على استحبابها (الخامس) فى تقرير كونها قربة (السادس) فى كون السفر اليها قربة (السابع) فى دفع شبه الخصم وتتبع كلماته (الثامن) فى التوسل والاستغاثة (التاسع) فى حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (العاشر) فى الشفاعة لتعلقها بقوله * من زار قبرى وجبت له شفاعتى * وضمنت هذا الكتاب الرد على من زعم أن أحاديث الزيارة كلها موضوعة

وأن السفر اليها بدعة غير مشروعة وهذه المقالة أظهر فسادا من أن يرد العلماء عليها ولكني جعلت هذا الكتاب مستقلا في الزيارة وما يتعلق بها مشتملا من ذلك على جملة يعز جمعها على طالبها وكنت سميت هذا الكتاب شن الغارة على من انكر سفر الزيارة ثم اخترت التسمية المتقدمة واستعنت بالله تعالى وتوكلت عليه وهو حسبي ونعم الوكيل *

﴿الباب الاول في الأحاديث الواردة في الزيارة نصا﴾

﴿الحديث الاول﴾ من زار قبري وجبت له شفاعتي * رواه الدارقطني والبيهقي وغيرهما * أخبرنا الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى التوني الدمياطي رحمه الله تعالى بجميع سنن الدارقطني سماعا قال أنبأنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي أنبأنا أبو الفتح ناصر بن محمد بن أبي الفتح أبو برح القطان أنبأنا أبو الفتح اسمعيل بن الفضل بن الاخشيد السراج أنبأنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحيم أنبأنا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الحافظ الدارقطني رحمه الله قال حدثنا القاضي المحاملي حدثنا عبيد بن محمد الوراق حدثنا موسى بن هلال العبدي عن عبيد الله بن عمر (١) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي * هكذا في عدة نسخ معتمدة من سنن الدارقطني

(١) قال الدولابي في الكنى في ترجمة عبد الله العمري حدثنا علي بن معبد بن نوح حدثنا موسى بن هلال حدثنا عبد الله بن عمر أبو عبد الرحمن أخو عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي قال وما بين قبري ومنبري ترعة من ترع الجنة انتهى عن المولوي محمد حسن الزمان حيدر آبادي دامت فيوضه

عبيد الله مصغرا منها نسخة كتبها عنه أحمد بن محمد بن الحرث الاصفهانى وعليها
طباق كثيرة على ابن عبد الرحيم فمن بعده الى شيخنا * وكذلك رواه الدارقطنى
فى غير السنن واتفقت روايته على ذلك فى السنن وفى غيره من طريق ابن عبد الرحيم كما
ذكرناه * ومن طريق محمد بن عبد الملك بن بشران * ومن طريق أبى النعمان تراب
ابن عبيد أيضا * فأما رواية ابن بشران فأخبرنا بها عثمان بن محمد فى كتابه الىّ من
مكة شرفها الله تعالى قال أخبرنا الحافظ أبو الحسين يحيي بن على القرشى بمصر وأبو
اليمن بن عساكر بمكة بقراءتى عليهما قالا أنبأنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن
الشافعى العدل وهو جد أبى اليمن بدمشق قال أبو الحسين بقراءتى عليه وقال أبو
اليمن قراءة عليه قال أنبأنا عمى أبو الحسين هبة الله بن الحسن بن هبة الله الفقيه
الاصولى الحافظ أنبأنا أبو طاهر عبد الرحمن بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن
يوسف أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الملك بن بشران أنبأنا أبو الحسن على بن عمر
ابن مهدى الدارقطنى الحافظ حدثنا القاضى المحاملى حدثنا عبيد بن
محمد الوراق حدثنا موسى بن هلال العبدى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى * هكذا أورده
أبو اليمن بن أبى الحسن بن الحسن فى (كتاب اتحاف الزائر واطراف المقيم للسائر)
فى زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عندى عليه خط مصنفه وقراءة أبى
عمرو عثمان بن محمد التوزرى لجميعه عليه وكذلك أورده الحافظ أبو الحسين القرشى
فى (كتاب الدلائل المبينة فى فضائل المدينة)* وقد قرأ عليه التوزرى أيضا
وسمعه أيضا جماعة من شيوخنا على مصنفه المذكور رحمه الله تعالى * وأما رواية
أبى النعمان تراب بن عبيد فذكرها القاضى أبو الحسن على بن الحسن الخلعى فى فوائده
وهى عشرون جزأ قرأت منها بثغر الاسكندرية سنة أربع وسبعمائة على الشيخ
الفاضل المقرى أبى الحسن يحيي بن أبى الفضل أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد

الباقى بن الصواف الجزء الاول والثانى وبعض الثالث وحدثنى بهذا القدر كلمة كلمة فانه كان قد عمر وعمى وثقل سمعه فصرت أقرأ عليه لفظة لفظة ويعيدها الا تحقق سماعه وناولنى جميع الاجزاء الستة الاولى والسادس عشر والسابع عشر والتاسع عشر بسماعه لذلك من ابن عماد سنة عشرين وستمائة وقرأت منها بدمشق على المسند أبى عبد الله محمد بن أبى العز بن مشرف بن بيان الانصارى القدر الذى يرويه منها باتصال السماع وهو من أول الجزء الثامن الى آخرها وذلك ثلاثة عشر جزأ بسماعه من أبى صادق الحسن بن يحيى بن صباح المخزومى المصرى أخبرنا ابن رفاعة والحديث المذكور فى السابع من الفوائد المذكورة وأنبأنا به شيخنا ابن الصواف المتقدم ذكره والشريف أبو الحسن على بن أحمد بن عبد المحسن القرافى فى كتابيهما الى من الثغر قالا أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عماد بن محمد الحرانى قال ابن الصواف بقراءة والدى عليه وأنا أسمع سنة عشرين وقال القرافى بقراءة والدى عليه وأنا اسمع سنة ثلاثين وستمائة قال أنبأنا أبو محمد عبد الله بن رفاعة بن عدين السعدى الفرضى (ح) وكتب الى عثمان بن محمد من مكة شرفها الله تعالى أنه قرأ على الحافظ أبى الحسين يحيى بن على القرشى فى تصنيفه المسمى بكتاب * الدلائل المتبينة فى فضائل المدينة * قال أنبأنا القاضى أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد الشافعى بقراءتى عليه بمصر وأبو عبد الله محمد بن أبى المعالى الحرانى بالاسكندرية قال أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أبى الخير الشافعى الفرضى أنبأنا القاضى أبو الحسن على بن الحسن بن الحسين بن محمد الشافعى المعروف بالخلعى أنبأنا أبو النعمان تراب بن عمر بن عبيد حدثنا أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى حدثنا أبو عبد الله الحسين بن اسمعيل قال حدثنا عبيد بن محمد الوراق حدثنا موسى بن هلال العبدى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى * وممن رواها من طريق الخلعى الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه

فى باب أن من زار قبره صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كان كمن زار حضرته فى حال حياته
أخبرنا بذلك عبد المؤمن بن خلف وعلى بن محمد وغيرهما مشافهة عن القاضى أبى
نصر محمد بن هبة الله الشيرازى قال أنبأنا الحافظ أبو القاسم بن عساكر قال أنبأنا
خالى أبو المعالى محمد بن يحيى القرشى القاضى بدمشق أنبأنا أبو الحسن على بن
الحسن الخلعى أنبأنا تراب بن عمر بن عبيد حدثنا أبو الحسن الدارقطنى حدثنا أبو
عبد الله الحسين بن اسمعيل حدثنا عبيد بن محمد الوراق حدثنا موسى بن هلال
العبدى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى فقد اتفقت الروايات عن الدارقطنى عن
المحاملى على عبيد الله مصغرا وكذلك رواه غير الدارقطنى عن غير المحاملى عن عبيد بن
محمد أنبأنا بذلك عبد المؤمن بن خلف وغيره إذنا عن أبى نصر الشيرازى أنبأنا ابن
عساكر أنبأنا أبو القاسم السحامى أنبأنا أبو بكر البيهقى أنبأنا أبو عبد الله
الحافظ أنبأنا أبو الفضل محمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن زنجويه العشيرى حدثنا
عبيد بن محمد بن القاسم بن أبى مريم الوراق * وكان نيسابورى الاصل سكن بغداد
* حدثنا موسى بن هلال العبدى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى * فقد ثبت عن عبيد
ابن محمد روايته على التصغير وعبيد بن محمد ثقة قال الخطيب رحمه الله تعالى ورواه
عن موسى بن هلال عن عبيد بن محمد جماعة منهم جعفر بن محمد البزورى قال العقيلى
فى كتابه حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا جعفر بن محمد البزورى حدثنا
موسى بن هلال البصرى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من زار قبرى فقد وجبت له شفاعتى هكذا رأيته فى النسخة عبيد
الله ومنهم محمد بن اسمعيل بن سمرة الاحمسى واختلف عليه فروى عنه مصغرا
كما رواه غيره أخبرنا بذلك عبد المؤمن وغيره اذنا عن أبى نصر أنا على بن الحسن الحافظ

أنبأنا اسمعيل بن محمد بن الفضل الحافظ أنبأنا أحمد بن على بن خلف أنبأنا أبو القاسم ابن حبيب حدثنا أبو بكر أحمد بن نصر بن نصير بن بكار البخارى أنبأنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبيد الله حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسى عن موسى بن هلال عن عبيد الله وروى عنه مكبرا أنبأنا بذلك اقسيان بن محفوظ بن محمود بن هلال بقراءتى عليه سنة ست وسبعمائة أنا أبو سعيد قايماز بن عبد الله المعظمى أنبأنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفى أنبأنا أبو سعيد أحمد بن الحسن بن أحمد بن على بن الخصيب الخانسارى أنا أبو بكر أحمد بن الفضل بن محمد المقرى امام الجامع باصبهان ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن يعقوب الامام حدثنا عبيد الله بن محمد بن عبد الكريم الرازى حدثنا محمد بن اسمعيل بن سمرة الاحمسى حدثنا موسى بن هلال العبدى عن عبد الله بن عمر هكذا نقلته من خط الحافظ أبى محمد عبد العظيم المنذرى رحمه الله وهكذا قاله أبو أحمد بن عدى فى كتاب الكامل كما أنبأنا عبد المؤمن وآخرون عن أبى الحسن بن المقير عن أبى الكرم بن الشهرزورى أنبأنا اسمعيل بن مسعدة الاسمعيلى (ح) وأنبأنا عبد المؤمن وغيره أيضا عن ابن محيل أنبأنا على بن الحسن الدمشقى أنبأنا أبو القاسم السحامى أنبأنا أبو بكر البيهقى أنبأنا أبو سعيد المالينى *(ح)* قال الدمشقى وأنبأنا أبو القاسم بن السمرقندى أنبأنا اسمعيل بن مسعدة أنبأنا حمزة بن يوسف قالا أنبأنا أبو أحمد بن عدى الحافظ حدثنا محمد بن موسى الحلوانى (ح) قال الدمشقى وأخبرنا على بن ابراهيم الخطيب أنبأنا رشاء بن لطيف أنبأنا الحسن بن اسمعيل حدثنا أحمد بن مروان حدثنا محمد بن عبد العزيز الدينورى قالا حدثنا محمد بن اسمعيل بن سمرة حدثنا موسى بن هلال حدثنا عبد الله ابن عمر * وكذلك كتب الى عثمان بن محمد من مكة شرفها الله تعالى أنه قرأ على الحافظ يحيى بن على أنبأنا الحافظ على بن المفضل قراءة عليه مرة والقاضى أبو القاسم حمزة بن على بن عثمان المخزومى قالا أنبأنا الحافظ أبو طاهر السلفى (ح)

أنبأنا جماعة عن جماعة عنه أنبأنا أبو ابراهيم الخليل بن عبد الجبار أنبأنا سليم بن أيوب أنبأنا أحمد بن عبد الله المعدل بالرى أنبأنا عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى حدثنا محمد بن اسمعيل الأحمسى حدثنا موسى بن هلال عن عبد الله بن عمر * ومرض الحافظ يحيى بن على القرشى هذه الرواية وذكر أن الصواب عبيد الله بالتصغير ورأيت فى تاريخ ابن عساكر بخط أبى عبد الله البرزالى المحفوظ عن ابن سمرة * عبيد الله * وقال أبو أحمد بن عدى فى كتاب الكامل فيما أنبأنا جماعة بالاسناد المتقدم اليه عبد الله أصح وفيما قاله نظر والذى يترجح أن يكون عبيد الله لتضافر روايات عبيد بن محمد كلها وبعض روايات ابن سمرة ولما سنذكره من متابعة مسلمة الجهنى لموسى بن هلال كما سيأتى فى الحديث الثالث ويحتمل أن يكون الحديث عن عبيد الله وعبد الله جميعا ويكون موسى سمعه منهما وتارة حدث به عن هذا وتارة عن هذا ومن رواه عن موسى عن عبد الله الفضل بن سهل فيما أنبأنا أبو محمد الدمياطى وغيره اذنا عن أبى نصر أنبأنا ابن عساكر أنبأنا أبو سعيد أحمد بن محمد البغدادى أنبأنا أبو نصر محمد بن أحمد بن محمد أنبأنا أبو سعيد الصيرفى أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الصفار حدثنا أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا الفضل بن سهل حدثنا موسى بن هلال حدثنا عبد الله بن عمر وهكذا قاله أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسينى فى كتاب أخبار المدينة قال حدثنا رجل من طلبة العلم حدثنا الفضل بن سهل فذكره * قال حفيد صاحب الكتاب الحسن بن محمد بن يحيى فى موضع آخر منه يعنى أبا بكر وكذلك رواه ابن الجوزى فى (مثير الغرام الساكن) ونقلته من خطه قال أنبأنا الحريرى أنبأنا الخياط أنبأنا ابن درست حدثنا ابن صفوان حدثنا أبو بكر القرشى * وهو ابن أبى الدنيا فذكره وهذه الطريق إن صحت تحمل على أن الحديث عنهما كما قدمناه فانه لا تنافى فى ذلك على أن عبد الله المكبر روى له مسلم مقرونا بغيره

وقال أحمد رحمه الله صالح وقال أبو حاتم رأيت أحمد بن حنبل يحسن الثناء عليه وقال يحيى بن معين ليس به بأس يكتب حديثه وقال فى نافع انه صالح وقال ابن عدى لا بأس به صدوق وقال ابن حبان كان ممن غلب عليه الصلاح حتى غلب عن ضبط الأخبار وجودة الحفظ للآثار تقع المناكير فى روايته فلما فحش خطؤه استحق الترك وهذا الكلام من ابن حبان يعرفك أنه لم يتكلم فيه لجرح فى نفسه وإنما هو لكثرة غلطه وأما حكمه باستحقاقه الترك فمخالف لاخراج مسلم رحمه الله تعالى له فى المتابعات وليس هذا الحديث فى مظنة أن يحصل فيه التباس على عبد الله لا فى سنده ولا فى متنه فانه فى نافع كما سبق وخصيص به ومتن الحديث فى غاية القصر والوضوح فاحتمال خطئه فيه بعيد والرواة جميعهم إلى موسى بن هلال ثقات لا ريبة فيهم وموسى بن هلال قال ابن عدى أرجو أنه لا بأس به وأما قول أبى حاتم الرازى فيه إنه مجهول فلا يضره فانه إما أن يريد جهالة العين أو جهالة الوصف فان أراد جهالة العين وهو غالب اصطلاح أهل هذا الشان فى هذا الاطلاق فذلك مرتفع عنه لأنه قد روى عنه أحمد بن حنبل ومحمد بن جابر المحاربى ومحمد بن اسمعيل الأحمسى وأبو أمية محمد بن ابراهيم الطرسوسى وعبيد بن محمد الوراق والفضل ابن سهل وجعفر بن محمد البزورى وبرواية اثنين تنتفى جهالة العين فكيف برواية سبعة وإن أراد جهالة الوصف فرواية أحمد عنه ترفع من شأنه لاسيما مع ما قاله ابن عدى فيه وممن ذكره فى مشايخ أحمد رحمه الله تعالى أبو الفرج ابن الجوزى وأبو اسحق الصريفينى وأحمد رحمه الله لم يكن يروى إلا عن ثقة وقد صرح الخصم بذلك فى الكتاب الذى صنفه فى الرد على البكرى بعد عشر كراريس منه قال إن القائلين بالجرح والتعديل من علماء الحديث نوعان منهم من لم يرو إلا عن ثقة عنده كمالك وشعبة ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى وأحمد بن حنبل وكذلك البخارى

وأمثاله وقد كفانا الخصم بهذا الكلام مؤنة تبيين أن أحمد لا يروى إلا عن ثقة وحينئذ لا يبقى له مطعن فيه * وأما قول العقيلي إنه لا يتابع عليه وقول البيهقي سواء قال عبيد الله أم عبد الله فهو منكر عن نافع عن ابن عمر لم يأت به غيره فهذا وما في معناه يدلك على أنه لا علة لهذا الحديث عندهم إلا تفرد موسى به وأنهم لم يحتملوه له لخفاء حاله. وإلا فكم من ثقة ينفرد بأشياء وتقبل منه وأما بعد قول ابن عدي فيه ما قال ووجود متابع فانه يتعين قبوله وعدم رده ولذلك والله أعلم ذكره عبد الحق رحمه الله في الاحكام الوسطى والصغرى وسكت عنه وقد قال في خطبة الاحكام الصغرى إنه تخيرها صحيحة الاسناد معروفة عند النقاد قد نقلها الاثبات وتداولها الثقات وقال في خطبة الوسطى وهي المشهورة اليوم بالكبرى إن سكوته عن الحديث دليل على صحته فيما نعلم وانه لم يتعرض لاخراج الحديث المعتل كله وأنا أخرج منه يسيرا مما عمل به أو بأكثره عند بعض الناس واعتمد وفزع إليه الحفاظ عند الحاجة وانه إنما يعلل من الحديث ما كان فيه أمر أو نهي أو يتعلق به حكم وأما ما سوى ذلك فربما في بعضها اسمح وليس منها شئ عن متفق على تركه وسبقه الحافظ أبو علي بن السكن إلى تصحيح الحديث الثالث كما سنذكره وهو متضمن لمعنى هذا الحديث وقول ابن القطان قول ابن عدي صدر عن تصفح روايات موسى بن هلال لا عن مباشرة أحواله لا يضر أيضا لأن كثيرا من جرح المحدثين وتوثيقهم على هذا النحو بل هو أولى من ثبوت العدالة المجردة من غير نظر في حديثه وقد وجدنا لرواية موسى بن هلال متابعة وشواهد من وجوه سنذكرها وبذلك تبين أن أقل درجات هذا الحديث أن يكون حسنا إن نوزع في دعوى صحته فان الحسن قسمان أحدهما ما في اسناده مستور لم يتحقق أهليته وهو ليس مغفلا كثير الخطا ولا ظهر منه سبب مفسق ومتن الحديث مع ذلك روى مثله أو نحوه من وجه آخر وأقل درجات موسى بن هلال رحمه الله

تعالى أن يكون بهذه الصفة وحديثه بهذه المثابة والقسم الثانى للحسن أن يكون راويه مشهورا بالصدق والأمانة لم يبلغ درجة رجال الصحيح لقصوره فى الحفظ وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يعد ما ينفرد به من حديثه منكرا وهذا الحديث قد يقتضى اطلاق اسم الحسن على بعض ما سنذكره من الاحاديث أيضا * وليس لقائل أن يقول إن هذا يقتضى سلب اسم الحسن عن الحديث الذى نحن فيه فان ماذكرناه ليس اختلافا فى حد الحسن بل هو تقسيم له والحديث الحسن صادق على كل من النوعين * ثم إن الاحاديث التى جمعناها فى الزيارة بضعة عشر حديثا مما فيه لفظ الزيارة غير ما يستدل به لها من أحاديث أخر وتظافر الأحاديث يزيدها قوة حتى إن الحسن قد يترقى بذلك الى درجة الصحيح * والضعيف قسمان قسم يكون ضعف راويه ناشئا من كونه متهما بالكذب ونحوه فاجتماع الاحاديث الضعيفة من هذا الجنس لا يزيدها قوة وقسم يكون ضعف راويه ناشئا من ضعف الحفظ مع كونه من أهل الصدق والديانة فاذا رأينا ما رواه قد جاء من وجه آخر عرفنا أنه مما قد حققه ولم يختل فيه ضبطه له هكذا قاله ابن الصلاح رحمه الله وغيره * فاجتماع الاحاديث الضعيفة من هذا النوع يزيدها قوة وقد يترقى بذلك الى درجة الحسن أو الصحيح ولهذا لما تكلم النووى رحمه الله فى أن ميقات ذات عرق هل هو منصوص عليه أو مجتهد فيه وصحح أنه منصوص عليه ذكر عن جمهور أصحابنا تصحيحه للاحاديث الواردة فيه وان كانت أسانيد مفرداتها ضعيفة فمجموعها يقوى بعضه بعضا ويصير الحديث حسنا ويحتج به هكذا ذكره (فى شرح المهذب) فى كتاب الحج * فهذه مباحث فى إسناد هذا الحديث * أولها تحقيق كونه من رواية عبيد الله المصغر وترجيح ذلك على من رواه عن عبد الله المكبر * وثانيها القول بأنه عنهما جميعا * وثالثها على تقدير التنزل وتسليم أنه عن عبد الله المكبر وحده فانه داخل فى قسم الحسن لما ذكرناه * ورابعها على تقدير أن يكون ضعيفا من هذا الطريق وحده وحاشا الله

فان اجتماع الاحاديث الضعيفة من هذا النوع يقويها ويوصلها الى رتبة الحسن وبهذا بل بأقل منه يتبين افتراء من ادعى أن جميع الأحاديث الواردة فى الزيارة موضوعة فسبحان الله أما استحى من الله ومن رسوله فى هذه المقالة التى لم يسبقه اليها عالم ولا جاهل لا من أهل الحديث ولا من غيرهم ولا ذكر أحد موسى بن هلال ولا غيره من رواة حديثه هذا بالوضع ولا اتهمه به فيما علمنا فكيف يستجيز مسلم أن يطلق على كل الاحاديث التى هو واحد منها أنها موضوعة ولم ينقل اليه ذلك عن عالم قبله ولا ظهر على هذا الحديث شئ من الأسباب المقتضية للمحدثين الحكم بالوضع ولا حكم متنه مما يخالف الشريعة فمن أى وجه يحكم بالوضع عليه لو كان ضعيفا فكيف وهو حسن أو صحيح * ولنقتصر على هذا القدر مما يتعلق بسند هذا الحديث الاول وأما متنه فقوله وجبت معناه حقت وثبتت ولزمت وأنه لا بد منها لوعده صلى الله عليه وسلم تفضلا منه وقوله صلى الله عليه وسلم له * إما أن يكون المراد له بخصوصه بمعنى أن الزائرين يخصون بشفاعة لا تحصل لغيرهم عموما ولا خصوصا * وإما أن يكون المراد أنهم يفردون بشفاعة مما يحصل لغيرهم ويكون افرادهم لذلك تشريفا وتنويها بهم بسبب الزيارة * وإما أن يكون المراد أنه ببركة الزيارة يجب دخوله فى عموم من تناله الشفاعة وفائدة ذلك البشرى بأنه يموت مسلما وعلى هذا التقدير الثالث يجب اجراء اللفظ على عمومه لأنا لو أضمرنا فيه شرط الوفاة على الاسلام لم يكن لذكر الزيارة معنى لان الاسلام وحده كاف فى نيل هذه الشفاعة وعلى التقديرين الاولين يصح هذا الاضمار فالحاصل أن أثر الزيارة إما الوفاة على الاسلام مطلقا لكل زائر وكفى بها نعمة وإما شفاعة خاصة بالزائر أخص من الشفاعة العامة للمسلمين وقوله شفاعتى فى الاضافة إليه تشريف لها فان الملائكة والانبياء والمؤمنين يشفعون والزائر لقبره صلى الله عليه وسلم له نسبة خاصة منه فيشفع فيه هو بنفسه والشفاعة تعظم بعظم الشافع فكما أن النبى صلى الله عليه وسلم

أفضل من غيره كذلك شفاعته أفضل من شفاعة غيره ويحتاج هنا الى ذكر الشفاعة الاخرويه ولكني أؤخر الكلام فيها لئلا يمل الناظر قبل كمال مقصوده من الزيارة *

﴿الحديث الثانى﴾ من زار قبرى حلت له شفاعتى * رواه الامام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار فى مسنده قال حدثنا قتيبة حدثنا عبد الله بن ابراهيم ثنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم من زار قبرى حلت له شفاعتى * وهذا هو الحديث الاول بعينه ولذلك عزاه عبد الحق رحمه الله الى الدارقطنى والبزار جميعا الا أن فى الحديث الاول وجبت وفى هذا حلت فلذلك أفردته وقد نقلته من نسخة معتمدة سمعها الحافظ القاضى أبو على الحسين بن محمد الصدفى على الشيخ الفقيه صاحب الاحكام أبو محمد عبد الله بن محمد ابن اسمعيل بن فورتش فى سنة ثمانين وأربعمائة بسرقسطة وعليها خط أبى محمد عبد الله بن فورتش بسماع للصدفى عليه وانه حدثه بها عن الشيخ أبى عمر أحمد بن محمد المقرى الطلمنكى اجازة أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن معرج حدثنا أبو الحسين محمد بن أيوب بن حبيب بن يحيى الرقى الصموت ثنا أبو بكر أحمد بن عمرو ابن عبد الخالق البزار * وعلى هذه النسخة أنها قوبلت بأصل القاضى ابن عبد الله بن معرج الذى فيه سماعه على الرقى محمد بن أيوب وأكثر أصل بن معرج بخط الرقى وقد حدث القاضى أبو على الصدفى بهذه النسخة مرات وعليها الطباق عليه وممن قرأها على الصدفى محمد بن خلف بن سليمان بن فيحون فى سنة ثلاث وخمسمائة وقد حدث بهذه النسخة أيضا الفقيه العالم المتقن أبو محمد بن حوط الله قرأها عليه محمد ابن محمد بن سماعة فى سنة ست وستمائة بمرسية * وفورتش بضم الفاء بعدها واو ساكنة ثم راء ساكنة ثم تاء مثناة من فوق ثم شين معجمة * وقتيبة شيخ البزار هو ابن المرزبان روى عنه أحاديث غير هذا * وعبد الله بن ابراهيم هو الغفارى يقال إنه من ولد أبى ذر رضى الله عنه روى له أبو داود والترمذى قال أبو داود منكر الحديث

وقال ابن عدى عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات وقال البزار عقب ذكره هذا الحديث عبد الله بن ابراهيم حدث بأحاديث لم يتابع عليها وإنما يكتب فى حديثه ما لا يحفظ الا عنه * وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى له الترمذى وابن ماجه وضعفه جماعة وقال ابن عدى إنه له أحاديث حسان وإنه ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم وإنه ممن يكتب حديثه وصحح الحاكم رحمه الله تعالى حديثا من جهته سنذكره فى التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وإذا كان المقصود من هذا الحديث تقوية الاول به وشهادته له لم يضر ما قيل فى هذين الرجلين إذ ليس راجعا إلى تهمة كذب ولا فسق ومثل هذا يحتمل فى المتابعات والشواهد *

﴿الحديث الثالث﴾ من جاءنى زائرا لا يعمله حاجة إلا زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة * رواه الطبرانى فى معجمه الكبير والدارقطنى فى أماليه وأبو بكر بن المقرى فى معجمه وصححه سعيد بن السكن وهو من رواية مسلمة الجهنى عن عبيد الله العمرى ففيه متابعة لموسى بن هلال فى شيخه وبيان لأنه لم يتفرد بالحديث وكان ينبغى لاجل ذلك أن نذكره مع الاول لكن لما تضمن زيادة معنى أفردناه وقد ورد فى بعض الروايات لا يعمله وفى بعضها الا ينزعه واختلف على مسلمة فى عبيد الله وعبد الله كما اختلف على موسى بن هلال فرواه عبد الله بن محمد العبادى البصرى عن مسلمة عن عبيد الله مصغرا عن نافع والعبادى بضم العين المهملة وفتح الباء المخففة المنقوطة بواحدة وفى آخره الدال نسبة إلى عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن على بن بكر قال أبو سعد بن السمعانى والمشهور بالنسبة إليهم عبد الله بن محمد العبادى يروى عن الحسن بن حبيب بن ندبة حدث عنه عبدان وغيره وقال الصورى بتشديد الباء قال ابن ماكولا ما نعرفه إلا مخففا أخبرنا أبو الفضل اسحق ابن أبى بكر بن ابراهيم بن النحاس الاسدى بقراءتى عليه بجامع دمشق فى عاشر صفر سنة ثمان وسبعمائة قلت له أخبرك الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله

الدمشقى قراءة عليه وأنت تسمع أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أبى زيد بن حمد بن نصر الكرانى أنبأنا أبو منصور محمود بن اسمعيل بن محمد الصيرفى أنبأنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الحسين بن فاذشاه أنبأنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى الطبرانى حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا عبد الله بن محمد العبادى البصرى حدثنا مسلمة بن سالم الجهنى حدثنى عبيد الله بن عمر عن نافع عن سالم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة إلا زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة وأخبرنا به أيضا على بن أحمد العراقى فى كتابه أنبأنا ابن عماد أنبأنا ابن رفاعة أنبأنا الخلعى (ح) وكتب إلى عثمان بن محمد أنه قرأ على الحافظ يحيى بن على القرشى أنبأنا عبد الله ابن محمد وابن عماد قالا أنبأنا ابن رفاعة أنا الخلعى أنا أبو النعمان تراب بن عمر بن عبيد بن محمد بن عباس العسقلانى حدثنا أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى الدارقطنى البغدادى إملاء بمصر حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد العبادى من بنى عباد بن ربيعة من بنى مرة بالبصرة سنة خمسين ومائتين حدثنا مسلمة بن سالم الجهنى إمام مسجد بنى حرام ومؤذنهم حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءنى زائرا لم تنزعه حاجة إلا زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة * وأخبرنا أيضا عبد المؤمن وغيره اذنا عن أبى نصر أنبأنا ابن عساكر أنبأنا خالى أبو المعالى محمد بن يحيى بن على أنبأنا على بن الحسن بن الحسين الخلعى فذكره باسناده ومتنه وفى هذين الطريقين أعنى طريق عبدان وطريق يحيى بن محمد بن صاعد نافع عن سالم ورواه غيرهما فقال فيه عن نافع وسالم كذلك قرئ على أبى الفضل اسحق ابن أبى بكر بن ابراهيم بن هبة الله بن طارق بن سالم بن النحاس الاسدى الحنفى فى معجم ابن المقرى وأنا أسمع بدمشق أن الحافظ أبا الحجاج يوسف بن خليل الدمشقى

أخبره قراءة عليه وهو يسمع بحلب أنبأنا أبو مسلم المؤيد بن عبد الرحيم بن أحمد ابن الاخوة وزوجه عين الشمس بنت أبي سعيد بن الحسن قالا أنبأنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي قال المؤيد سماعا وقالت زوجه اجازة قال أنا الشيخان أبو طاهر أحمد بن محمود الثقفي وأبو الفتح منصور بن الحسين بن علي بن القاسم قالا أنبأنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن علي بن عاصم المقري (ح) وأخبرنا عبد المؤمن بن خلف وغيره إذنا عن أبي نصر أنبأنا علي بن الحسن بن هبة الله أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الاصبهاني أنبأنا منصور بن الحسين وأبو طاهر بن محمود قالا أنبأنا أبو بكر بن المقري حدثنا محمد بن أحمد بن محمد الشطوي ببغداد حدثنا عبد الله ابن يزيد الخثعمي ثنا عبد الله بن محمد حدثني مسلمة بن سالم الجهني إمام مسجد بني حرام ومؤذنهم بالبصرة قال حدثني عبيد الله بن عمر العمري عن نافع وسالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لا ينزعه الا زيارتي كان حقا على الله عز وجل أن أكون له شفيعا يوم القيامة وفي رواية ابن عساكر حق بالرفع وهذه الطرق كلها متفقة عن عبد الله بن محمد العبادي عن مسلمة عن عبيد الله مصغرا ورواه مسلم بن حاتم الانصاري عن مسلمة عن عبد الله أخبرنا بذلك ابن خلف وغيره اذنا عن ابن هبة الله أنبأنا الدمشقي أنا أبو علي الحداد في كتابه ثم حدثني عبد الرحيم بن علي أبو مسعود عنه أنبأنا أبو نعيم الحافظ حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان الهروي حدثنا مسلم بن حاتم الانصاري حدثنا مسلمة بن سالم الجهني حدثني عبد الله يعني العمري حدثني نافع عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لم تنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة * هذه طرق هذا الحديث وقد ذكره الامام الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي المصري البزار في كتابه المسمى بالسنن الصحاح المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كتاب محذوف

الاسانيد قال فى خطبته * أما بعد فانك سألتنى أن أجمع لك ماصح عندى من السنن المأثورة التى نقلها الائمة من أهل البلدان الذين لا يطعن عليهم طاعن فيما نقلوه فتدبرت ماسألتنى عنه فوجدت جماعة من الائمة قد تكلفوا ماسألتنى من ذلك وقد وعيت جميع ماذكروه وحفظت عنهم أكثر مانقلوه واقتديت بهم وأجبتك الى ماسألتنى من ذلك وجعلته أبوابا فى جميع مايحتاج اليه من أحكام المسلمين فأول من نصب نفسه لطلب صحيح الآثار البخارى وتابعه مسلم وأبو داود والنسائى وقد تصفحت ماذكروه وتدبرت مانقلوه فوجدتهم مجتهدين فيما طلبوه فما ذكرته فى كتابى هذا مجملا فهو مما أجمعوا على صحته وماذكرته بعد ذلك مما يختاره أحد من الائمة الذين سميتهم فقد بينت حجته فى قبول ماذكره ونسبته الى اختياره دون غيره وماذكرته مما يتفرد به أحد من أهل النقل للحديث فقد بينت علته ودللت على انفراده دون غيره وبالله التوفيق * قال فى هذا الكتاب فى آخر كتاب الحج باب ثواب من زار قبر النبى صلى الله عليه وسلم * عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءنى زائرا لم تنزعه حاجة الا زيارتى كان حقا على أن أكون شفيعا له يوم القيامة * صلى الله عليه وسلم ولم يذكر ابن السكن فى هذا الباب غير هذا وذلك منه حكم بأنه مجمع على صحته بمقتضى الشرط الذى شرطه فى الخطبة وابن السكن هذا إمام حافظ ثقة كثير الحديث واسع الرحلة سمع بالعراق والشام ومصر وخراسان وماوراء النهر من خلائق وهو بغدادى سكن مصر ومات بها فى النصف من المحرم سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة وتبويب ابن السكن يدل على أنه فهم منه أن المراد بعد الموت أو ان مابعد الموت داخل فى العموم وهو صحيح *

﴿ الحديث الرابع ﴾ من حج فزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى * رواه الدارقطنى فى سننه وغيرها ورواه غيره أيضا أخبرنا عبد المؤمن بن خلف الحافظ أنبأنا يوسف بن خليل الحافظ أنبأنا ناصر بن محمد أبو برح أنبأنا اسمعيل

ابن الفضل بن الاخشيد انبأنا أبوطاهر بن عبد الرحيم انبأنا على بن عمر الحافظ
الدارقطنى قال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا أبو الربيع
الزهرانى (ح) وقرأت على أبي محمد اسحق بن يحيى بن اسحق بن ابراهيم الآمدى *
واللفظ له * أخبرك يوسف بن خليل الحافظ أنبأنا محمد بن أبى زيد الكرانى أنبأنا
محمود الصيرفى أنبأنا ابن فاذشاه أنبأنا الطبرانى حدثنا الحسين بن اسحق التسترى حدثنا
أبو الربيع الزهرانى حدثنا حفص بن أبى داود عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال من حج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى *
وكتب إلى عثمان بن محمد من مكة أنه قرأ على الحافظ أبى الحسين بن عصر قال أنبأنا
أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن الشافعى أنبأنا أبوطاهر عبد الرحمن
ابن أحمد بن عبد القادر بن يوسف البغدادى أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الملك
ابن بشران انبأنا أبو الحسن الدارقطنى حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد
العزيز حدثنا أبو الربيع حدثنا حفص بن أبى داود عن ليث بن أبى سليم
عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج فزار قبرى
بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى * وأخبرناه عبد المؤمن وغيره إذنا عن الشيرازى
أنبأنا الحافظ الدمشقى انبأنا أبو عبد الله الخلال انبأنا ابراهيم بن منصور انبأنا
أبو بكر بن المقرى أنبأنا أبو يعلى الموصلى حدثنا ابو الربيع حدثنا حفص بن ابى
داود عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج
فزارنى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى وكذلك رواه أبو أحمد بن عدى فى الكامل
أخبرناه أبو محمد التونى هو الحافظ الدمياطى وآخرون اذنا عن أبى الحسن
النجار عن أبى الكرم المبارك بن الحسن الشهرزورى أنبأنا اسمعيل بن مسعدة
الاسماعيلى أنبأنا حمزة بن يوسف السهمى أنبأنا أبو أحمد عبد الله بن عدى الجرجانى
أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا على بن حجر * وحدثنا عبد الله بن محمد البغوى
حدثنا أبو الربيع الزهرانى قال على حدثنا حفص بن سليمان وقال أبو الربيع

حدثنا حفص بن أبي داود وقالا عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني والفظ لابن سفيان وذكر أبو بكر البيهقي في السنن رواية ابن عدي هذه من الطريقين عن أبي سعد الماليني عن ابن عدي وذكر ابن عدي ذلك في ترجمة حفص بن سليمان الاسدي الغاضري القاري وذلك حكم منه بأنه حفص بن أبي داود المذكور في الاسناد وقال أعني ابن عدي إن أبا الربيع الزهراني يسميه حفص ابن أبي داود لضعفه وهو حفص بن سليمان وقال البيهقي تفرد به حفص وهو ضعيف وكذلك حكم الحافظ ابن عساكر ورواه مسمى أخبرنا الدمياطي اذنا أنبأنا ابن هبة الله الشيرازي أنبأنا ابن عساكر أنبأنا الخلال أنبأنا ابراهيم بن منصور السلمي أنبأنا أبو بكر بن المقرى أنبأنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن ابراهيم الجندي حدثنا مسلمة وهو ابن شبيب حدثنا عبد الرزاق حدثنا أبو عمر حفص بن سليمان (ح) قال ابن عساكر وأنبأنا أبو القاسم ابن السمرقندي أنبأنا أبو القاسم اسمعيل بن مسعدة أنبأنا حمزة بن يوسف السهمي قالا أنبأنا أبو أحمد بن عدي أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا علي ابن حجر (ح) قال ابن عساكر وأنبأنا أبو القاسم الشحامي أنبأنا أبو بكر البيهقي أنبأنا علي بن أحمد بن عبدان حدثنا أحمد بن عبيد حدثني محمد بن اسحق الصفار حدثنا ابن بكار حدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي * زاد السهمي وصحبني * ورواه البيهقي في السنن بدون هذه الزيادة عن عبد الله ابن يوسف أنبأنا محمد بن نافع الخزاعي حدثنا المفضل الجندي فذكره سندا ومتنا كما ذكره ابن عساكر من طريق ابن المقرى * وكتب الي عثمان بن محمد التوزري من مكة شرفها الله تعالى أنه قرأ على أبي اليمن بن عساكر بها قال أنا الحسن بن محمد أنبأنا علي بن الحسن أنبأنا أبو القاسم اسمعيل بن محمد أنبأنا أحمد بن عبد الغفار بن أشته

أنبأنا أبو سعيد النقاش أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ابراهيم الجوزجاني حدثنا الحسن بن الطيب البلخي حدثنا علي بن حجر حدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي * وقال ابن النجار الحافظ البغدادي في كتاب (الدرة الثمينه في أخبار المدينة) أنبأنا عبد الرحمن بن علي أنبأنا أبو الفضل الحافظ عن أبي علي الفقيه أنبأنا أبو القاسم الازهري أنبأنا القاسم بن الحسن حدثنا الحسن بن الطيب حدثنا علي بن حجر حدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني * قال أبو اليمن بن عساكر رحمه الله بالاسناد المتقدم اليه وقد روى هذا الحديث الحسن بن الطيب عن علي بن حجر فزاد فيه زيادة منكرة قال فيه * من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني * تفرد بقوله (وصحبني) الحسن بن الطيب وفيه نظر ﴿قلت﴾ وقد ذكرنا هذه الزيادة من طريق الحسن ابن سفيان فلا تفرد فيها وعبد الرحمن الذي روى عنه ابن النجار هو ابن الجوزي رحمه الله وقد رأيته بخطه في كتابه (مثير العزم الساكن الى أشرف الاماكن) بالاسناد المذكور وقد روى هذا الحديث من وجه آخر عن حفص بن سليمان عن كثير ابن شنظير عن ليث بن أبي سليم أخبرنا بذلك الحافظ أبو محمد الدمياطي اجازة أنبأنا أبو نصر مكاتبة أنبأنا ابن عساكر سماعا أنبأنا الشحامي أنبأنا الجنزرودي أنبأنا ابن حمدان أنبأنا أبو يعلى الموصلي حدثنا يحيي بن أيوب حدثنا حسان بن ابراهيم حدثنا حفص بن سليمان عن كثير بن شنظير عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج فزارني بعد وفاتي عند قبري فكأنما زارني في حياتي وأشار ابن عساكر الى أن الصواب الاول * أما كون حفص بن سليمان القاري الغاضري هو حفص بن أبي داود فكذلك قال

البخارى وابن أبى حاتم وابن عدى وابن حبان وغيرهم وأما كونه هو
الراوى لهذا الحديث فكذلك قاله ابن عدى وابن عساكر وأشار اليه البيهقى وهو
السابق الى الذهن لكن ابن حبان فى كتاب الثقات ذكر ما يقتضى التوقف فى ذلك
فانه قال حفص بن سليمان البصرى المنقرى يروى عن الحسن مات سنة ثلاثين
ومائة وليس هذا بحفص بن سليمان البزاز أبى عمر القارى ذاك ضعيف وهذا ثبت
ثم قال فى الطبقة التى بعد هذه حفص بن أبى داود يروى عن الهيثم بن حبيب عن عون
ابن أبى جحيفة روى عنه أبو الربيع الزهرانى هذا كلام ابن حبان ومقتضاه أن حفص
ابن أبى داود المذكور فى الطبقة الاخيرة ثقة وأنه غير القارى الضعيف المذكور فى
الطبقة التى قبله على سبيل التمييز بينه و بين المنقرى البصرى ولعل أبا الربيع
الزهرانى روى عنهما جميعا أعنى حفص بن سليمان المنقرى وحفص بن أبى داود وان
اختلف طبقتهما وقد ذكر ابن حبان حفص بن سليمان المنقرى فى كتاب المجروحين
وذكر ضعفه وقال انه ابن أبى داود ويبعد القول بانه اشتبه عليه وجعلهما اثنين
أحدهما ثقة والآخر ضعيف على أن هذا الاستبعاد مقابل بأن ابن عدى ذكر فى
ترجمة حفص القارى حديثا من رواية أبى الربيع الزهرانى عن حفص بن أبى داود
عن الهيثم بن حبيب عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه قال مر النبى صلى الله عليه
وسلم برجل يصلى قد سدل ثوبه فعطفه عليه * ويبعد أيضا أن يكونا اثنين ويشتبه
على ابن عدى فيجعلهما واحدا والموضع موضع نظر فان صح مقتضى كلام ابن حبان
زال الضعف فيه ولا ينافى هذا كونه جاء مسمى فى رواية هذا الحديث لجواز أن يكون
قد وافق حفصا القارى فى اسم أبيه وكنيته وان كان هو القارى كما حكم به ابن عدى
وغيره وهو ابن امرأة عاصم فقد أكثر الناس الكلام فيه وبالغوا فى تضعيفه حتى
قيل عن عبد الرحمن بن يوسف بن خراش إنه كذاب متروك يضع الحديث وعندى
أن هذا القول سرف فان هذا الرجل امام قراءة وكيف يعتقد أنه يقدم على وضع

الحديث والكذب و يتفق الناس على الاخذ بقراءته وانما غايته انه ليس من أهل الحديث فلذلك وقعت المنكرات والغلط الكثير في روايته وقد قال عبد الله بن أحمد بن حنبل سألته يعني أباه عن حفص بن سليمان المنقري فقال هو صالح وروى عثمان بن أحمد الدقاق عن حنبل بن اسحق قال قال أبو عبد الله وما كان بحفص بن سليمان المنقري بأس وحسبك بهذين القولين من أحمد رحمه الله وهما مقدمان على من روى عن أحمد خلاف ذلك فيه ولو ثبت ضعفه كما هو المشهور فانه لم ينفرد بهذا الحديث وقول البيهقي رحمه الله تعالى انه تفرد به بحسب ما اطلع عليه وقد جاء في معجمي الطبراني الكبير والاوسط متابعته * أخبرنا به في المعجم الكبير أبو محمد اسحق بن يحيى الآمدي بقراءتي عليه بسفح قاسيون في يوم السبت رابع عشر صفر سنة ثمان وسبعمائة قلت له أخبرك الحافظ أبو الحجاج قراءة عليه وأنت تسمع أنبأنا ابن أبي زيد الكراني أنبأنا محمود الصيرفي أنبأنا ابن فاذشاه أنبأنا الطبراني رحمه الله حدثنا أحمد بن رشدين حدثنا علي بن الحسن ابن هرون الانصاري حدثنا الليث ابن بنت الليث بن أبي سليم قال حدثتني جدتي عائشة بنت يونس امرأة الليث عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي * وأخبرناه أيضا عبد المؤمن وغيره اذنا عن ابن مميل أنبأنا الحافظ علي بن الحسن أنبأنا أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الحداد في كتابه أنبأنا عبد الرحمن ابن محمد بن حفص الهمداني حدثنا سليمان بن أيوب وهو الطبراني فذكره * وقد روى بعضهم هذا الحديث فقال فيه جعفر بن سليمان الضبعي كذلك وقع في جزء أبي بكر محمد بن السري أخبرنا به عبد المؤمن الحافظ اذنا عن يوسف بن خليل الحافظ أنبأنا أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج بن علي الحصري أنبأنا أبو محمد بن أحمد بن عبد الكريم التميمي أنبأنا أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزينبي (ح) وأنبأنا عبد

المؤمن أيضا قال أنبأنا أبو نصر أنبأنا ابن عساكر أنبأنا أبو الفرج عبد الخالق بن أحمد ابن عبد القادر بن محمد بن يوسف أنبأنا الزينبي (ح) وأنبأنا غالبا أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن سالم السلمي المرداسي ابن الموازني مكاتبة ومشافهة قال أنبأنا أبو القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى أنبأنا عبد الخالق بن يوسف وأبو المظفر بن التريكي كلاهما عن الزينبي (ح) ووجدته بخط اسمعيل بن الانماطي أنبأنا محمد بن علوان أنبأنا سعيد بن محمد حدثنا أبو سعد بن السمعاني املاء بهراة أنبأنا المظفر بن أحمد ومحمد بن القاسم قالا أنبأنا الزينبي أنبأنا أبو بكر محمد بن ابن عمر بن خلف بن زنبور الكاغدي أنبأنا أبو بكر محمد بن السرى بن عثمان التمار حدثنا نصر بن شعيب مولى العبديين حدثنا أبي حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج بعد وفاتي وزار قبري كان كمن زارني في حياتي * قال ابن عساكر كذا قال جعفر بن سليمان الضبعي وهو وهم وانما هو حفص بن سليمان أبو عمر الاسدي الغاضري القاري

﴿ الحديث الخامس ﴾ من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني * رواه ابن عدي في الكامل وغيره أخبرناه اذنا ومشافهة عبد المؤمن وآخرون عن أبي الحسن ابن المقير البغدادي عن أبي الكرم بن الشهرزوري أنبأنا اسمعيل بن مسعدة الاسماعيلي أنبأنا حمزة بن يوسف السهمي أنبأنا أبو أحمد بن عدي حدثنا على بن اسحق حدثنا محمد بن محمد بن النعمان حدثني جدي قال حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني * وذكر ابن عدي أحاديث النعمان ثم قال هذه الاحاديث عن نافع عن ابن عمر يحدث بها النعمان بن شبل عن مالك ولا أعلم رواه عن مالك غير النعمان ابن شبل ولم أر في أحاديثه حديثا غريبا قد جاوز الحد فأذكره وروى في صدر ترجمته

عن عمران بن موسى الزجاجي أنه ثقة وعن موسى بن هرون أنه متهم وهذه التهمة غير مفسرة فالحكم بالتوثيق مقدم عليها وذكر أبو الحسن الدارقطني رحمه الله هذا الحديث في أحاديث مالك بن أنس الغراب التي ليست في الموطا وهو كتاب ضخم * قال حدثنا أبو عبد الله الايلي وعبد الباقي قالا حدثنا محمد بن محمد بن النعمان ابن شبل حدثنا جدي حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني * قال الدارقطني تفرد به هذا الشيخ وهو منكر هذه عبارة الدارقطني والظاهر أن هذا الانكار منه بحسب تفرده وعدم احتماله بالنسبة الى الاسناد المذكور ولا يلزم من ذلك أن يكون المتن في نفسه منكرا ولا موضوعا وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وهو سرف منه ويكفي في الرد عليه ما قاله ابن عدي وقال ابن الجوزي عن الدارقطني إن الحمل فيه على محمد بن محمد بن النعمان لا على جده وكلام الدارقطني الذي ذكرناه محتمل لذلك ولان يكون المراد تفرد النعمان كما قاله ابن عدي وأما قول ابن حبان إن النعمان يأتي عن الثقات بالطامات فهو مثل كلام الدارقطني الا أنه بالغ في الانكار وقد روى ابن حبان في كتاب المجروحين عن أحمد بن عبيد عن محمد بن محمد وقول ابن الجوزي في كتاب الضعفاء إن الدارقطني طعن في محمد بن محمد بن النعمان فالذي حكيناه من كلام الدارقطني رحمه الله هو الانكار لا التضعيف فتحصل من هذا ابطال الحكم عليه بالوضع لكنه غريب كما قال الدارقطني وهو لأجل كلام ابن عدي صالح لأن يعتضد بغيره وهذا الحديث كان ينبغي تقديمه بعد الاول لكونه من طريق نافع ولكنا أخرناه لأجل ما وقع فيه من الكلام ومما يجب أن تنبه له أن حكم المحدثين بالانكار والاستغراب قد يكون بحسب تلك الطريق فلا يلزم من ذلك رد متن الحديث بخلاف اطلاق الفقيه ان الحديث موضوع فانه حكم على المتن من حيث الجملة فلا جرم قبلنا كلام الدارقطني ورددنا كلام ابن الجوزي والله أعلم

﴿ وحديث آخر ﴾ من رواية ابن عمر رضي الله عنهما ذكره الدارقطني في العلل في مسند ابن عمر في حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل قال حدثنا جعفر ابن محمد الواسطي حدثنا موسى بن هرون حدثنا محمد بن الحسن المختلي حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا عون بن موسى عن أيوب عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني الى المدينة كنت له شفيعا وشهيدا * قيل للمختلي انما هو سفيان بن موسى قال اجعلوه عن ابن موسى * قال موسى بن هرون ورواه ابراهيم بن الحجاج عن وهب عن أيوب عن نافع مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا أدرى أسمعه من ابراهيم بن الحجاج أولا وانما لم أفرد هذا الحديث بترجمة لان نسخة العلل للدارقطني التي نقلت منها سقيمة

﴿ الحديث السادس ﴾ من زار قبري * أو من زارني * كنت له شفيعا أو شهيدا رواه أبو داود الطيالسي في مسنده وقد سمعت المسند المذكور كله متفرقا على أصحاب ابن خليل أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن بدران بن أبان الدشتي بقراءتي عليه بالشام سنة سبع وسبعمائة قال أنبأنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي بحلب سنة ثلاث وأربعين وستمائة قال أنبأنا القاضي أبو المكارم أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قيس اللبان قراءة عليه وأنا أسمع غير مرة بأصبهان في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة قيل له أخبركم أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد المقرى قراءة عليه وأنت تسمع في محرم سنة ثنتي عشرة وخمسمائة فأقر به قال أنبأنا الامام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق الحافظ قراءة عليه وأنا أسمع أنبأنا أبو محمد عبد الله بن حفص بن جعفر ابن أحمد بن فارس حدثنا أبو بشر يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح العبدي قال حدثني رجل من آل عمر عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبري أو قال من زارني *

كنت له شفيعا * أوشهيدا * ومن مات فى احـدالحرمين بعثه الله عزوجـل فى الآمنـين يوم القيامـة وذكرالبيهقى هذا الحـديث فى السنن الكبيرمن جهة الطيالسى رحمه الله وذكره الحافظ ابن عساكرمن جهته * أنبأناه عبدالمؤمن وغـيره عن ابن الشيرازى أنبأنا ابن عساكرأنبأناه أبوعلى الحـدادإجازة ثم أنبأنا ابن السمرقنـدى أنبأنا يوسف بن الحسن التفكرى قالاأنبأناأبونعـيم حـدثنـا ابن فارس (ح) وبه الى ابن عساكرقال وأخبرنا الشحامى أنبأنا أبوبكرالبيهقى أنبأنا ابن فورك أنبأنا ابن فارس فذكره * وسوار بن ميمون روى عنه شعبة لما سنذكره فى الحديث السابع ورواية شعبة عنه دليل على ثقته عنـده فلم يبق فى الاسـنادمن يتطرفيه الاالرجل الذى من آل عمروالأمرفيه قريب لاسيما فى هذه الطبقة التى هى طبقة التابعين وأماقول البيهقى هذا اسنادمجهول فان كان سببه جهالة الرجل الذى من آل عمرفصحيح وقدبيناقرب الامرفيه وان كان سببه عدم علمه بحال سوار ابن ميمون فقدذكرنارواية شعبة عنه وهى كافية وقدروى البيهقى أيضارواية شعبة عنه فى غـيرالسنن كماسنذكره فى الحـديث السابع وذكرالبيهقى فى موضع آخرأنه اختلف فقيل سوار بن ميمون وقيل ميمون بن سوارمن رواية وكيع عنه

﴿الحـديث السابع﴾ من زارنى متعمدا كان فى جوارى يوم القيامـة * رواه أبوجعفرالعقيلى وغيره من رواية سوار بن ميمون المتقدم على وجه آخرغيرماسبق * أخـبرنا الحافظ أبومحمد اذنا أنبأنا ابن الشيرازى فى كتابه أنبأنا ابن عـساكرسماعا أنبأنا الشحامى أنبأنا البيهقى أنبأنا أبوعبدالله الحافظ أخبرنى على بن عمرالحافظ حدثنا أحمد محمد بن أحمد بن محمد الحافظ حدثنى داود بن يحيى (ح) قال ابن عساكروأنبأنا أبوالـبركات ابن الأنماطى أنبأنا أبوبكرالشامى أنبأنا أبوالحسن أنبأنا أبوالحسن العتيقى أنبأنا ابن الدخيل حدثنا أبوجعفرمحمد بن عمروالعقيلى حدثنا محمد بن موسى قالاحدثنا أحمد بن الحسن الترمذى حدثنا عبدالملك بن ابراهيم الجدى حدثنا شعبة

عن سوار بن ميمون عن * وفي حديث الشحامي * حدثنا هرون بن قزعة عن رجل من آل الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيامه * زاد الشحامي ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة * وقالا * ومن مات في احد الحرمين بعثه الله في الآمنين * وقال الشحامي * من الآمنين يوم القيامة * وهرون ابن قزعة ذكره ابن حبان في الثقات والعقيلي لما ذكره في كتابه لم يذكر فيه أكثر من قول البخاري إنه لا يتابع عليه فلم يبق فيه الا الرجل المبهم وارساله وقوله فيه من آل الخطاب كذا وقع في هذه الرواية وهو يوافق قوله في رواية الطيالسي من آل عمر وقد أسنده الطيالسي عن عمر كما سبق لكني أخشى أن يكون الخطاب تصحيفا من حاطب فان البخاري لما ذكره في التاريخ قال هرون بن قزعة عن رجل من ولد حاطب عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين * روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه وقال ابن حبان إن هرون بن قزعة ثقة يروي عن رجل من ولد حاطب المراسيل وعلى كلا التقديرين فهو مرسل جيد وأما قول الازدي ان هرون متروك الحديث لا يحتج به فلعل مستنده فيه ما ذكره البخاري والعقيلي و بالغ في اطلاق هذه العبارة لأنها انما تطلق حيث يظهر من حال الرجل ما يستحق به الترك وقد عرفت أن ابن حبان ذكره في الثقات وابن حبان أعلم من الازدي وأثبت وقد روي عن هرون بن قزعة أيضا مسندا بلفظ آخر وهو

﴿ الحديث الثامن ﴾ من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي * رواه الدارقطني وغيره أخبرناه الحافظ أبو محمد الدمياطي سماعا عليه في كتاب السنن للدارقطني قال أنبأنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل أنبأنا أبو فرح أنبأنا الاخشيد أنبأنا ابن عبد الرحيم أنبأنا الدارقطني حدثنا أبو عبيد و القاضي أبو عبد الله وابن مخلد قالوا حدثنا محمد بن الوليد البسري حدثنا وكيع حدثنا خالد بن أبي خالد وأبو

عون عن الشعبى (١) والأسود بن ميمون عن هرون ابن قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ومن مات باحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة * هكذا هو فى سنن الدارقطنى وأنبأنا به أيضا عبد المؤمن أنبأنا ابن الشيرازى أنبأنا ابن عساكر أنبأنا قراتكين التركى أنبأنا الجوهرى أنبأنا على بن محمد بن لؤلؤ أنبأنا زكريا الساجى (ح) قال ابن عساكر وأنبأنا أحمد بن محمد البغدادى أنبأنا ابن شكرويه ومحمد بن أحمد الشمار قالا أنبأنا ابراهيم بن عبد الله أنبأنا المحاملى قالا حدثنا محمد بن الوليد البسرى حدثنا وكيع حدثنا خالد بن أبى خالد وابن عون عن الشعبى والأسود بن ميمون عن هرون بن قزعة به وأنبأناه عبد المؤمن أيضا أنبأنا أبو نصر أنبأنا ابن عساكر أنبأنا على بن ابراهيم الحسينى أنبأنا رشا بن نطيف المقرى أنبأنا الحسن بن اسمعيل الفرات حدثنا أحمد بن مروان المالكى حدثنا زكريا بن عبد الرحمن البصرى حدثنا محمد بن الوليد أنبأنا وكيع بن الجراح عن خالد وابن عون عن هرون بن قزعة مولى حاطب عن حاطب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ومن مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة من الآمنين * كذا وقع فى رواية أحمد بن مروان المالكى وهو صاحب المجالسة عن هرون عن حاطب والذين رووا عن رجل عن حاطب كما تقدم أولى بان يكون الصواب معهم

﴿ الحديث التاسع ﴾ من حج حجة الاسلام وزار قبرى وغزا غزوة وصلى على فى بيت المقدس لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه * رواه الحافظ أبو الفتح الازدى فى الثانى من فوائده * أخبرنا به أبو النجم شهاب بن على المحسنى قراءة عليه وأنا أسمع بالقرافة الصغرى فى سنة سبع وسبعمائة وأبو الفتح بن ابراهيم بقراءتى عليه سنة ثلاث وعشرين قالا أنبأنا أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن على بن فتوح

(١) قوله والأسود بن ميمون كذا وقع فى الأصل هنا وفيما يأتى وانظر هل هو المتقدم أو غيره اه

الازدى المعروف بابن رواج قال الاول سماعا وقال الثانى اجازة قال أنبأنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن سلفة السلفى الاصبهانى قراءة عليه وأنا أسمع أنبأنا أبو طالب عبد القادر بن محمد بن يوسف ببغداد حدثنا أبو اسحق بن ابراهيم بن عمر بن أحمد البرمكى أنبأنا أبو الفتح محمد بن الحسين بن أحمد الازدى الحافظ حدثنا النعمان بن هرون بن أبى الدلهات حدثنا أبو سهل بدر بن عبد الله المصيصى حدثنا الحسن بن عثمان الرمادى حدثنا عمار بن محمد حدثنى خالى سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج حجة الاسلام وزار قبرى وغزا غزوة وصلى على فى بيت المقدس لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه * عمار بن محمد ابن أخت سفيان الثورى روى له مسلم والحسن بن عثمان الرمادى قال الخطيب كان أحد العلماء الافاضل من أهل المعرفة والثقة والامانة ولى قضاء الشرقية فى خلافة المتوكل وروى عن طلحة بن محمد بن جعفر وذكره غير الخطيب أيضا وكان صالحا دينا فهما قد عمل الكتب وكانت له معرفة بأيام الناس وله تاريخ حسن وكان كريما واسعا مفضالا وأبو سهل بدر بن عبد الله المصيصى ما علمت من حاله شيأ والنعمان بن هرون بن أبى الدلهات حدث ببغداد عن جماعة كثيرين وروى عنه محمد بن المظفر وعلى بن عمر السكرى * قال الخطيب وما علمت من حاله الا خيرا وصاحب الجزء أبو الفتح محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن عبد الله بن بريدة بن النعمان الازدى الموصلى من أهل العلم والفضل كان حافظا صنف كتابا فى علوم الحديث * ذكره الخطيب فى التاريخ وابن السمعانى فى الانساب * أثنى عليه محمد بن جعفر بن علان وذكره بالحفظ وحسن المعرفة بالحديث وقال أبو النجيب الارموى رأيت أهل الموصل يوهنونه جدا ولا يعدونه شيأ وسئل البرقانى عنه فأشار الى أنه كان ضعيفا وذكر غيره كلاما أشد من هذا

﴿الحديث العاشر﴾ من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي * رواه أبو الفتوح سعيد بن محمد بن اسمعيل اليعقوبي في جزء له فيه فوائد مشتملة على بعض شمائل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره وما ورد في فضل زيارته ودرجة زواره وهذا الجزء رواية المحدث اسمعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الانصاري المالكي المشهور بابن الانماطي ونقلت من خطه قال أنبأنا أبو محمد عبد الله بن علوان ابن هبة الله بن ريحان الحوطي التكريتي الصوفي قراءة عليه وأنا أسمع عنه بالحرم الشريف على دكة الصوفية بجانب باب بني شيبة تجاه الكعبة المعظمة زادها الله شرفا قال حدثنا أبو الفتوح سعيد بن محمد بن اسمعيل اليعقوبي في ربيع الاول سنة اثنين وخمسين وخمسمائة قال حدثنا الامام ابن السمعاني حدثنا أبو سعيد أحمد ابن محمد بن أحمد بن الحسن الحافظ املاء في الروضة بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره في الزورة الثانية أنبأنا أبو الحسين أحمد بن عبد الرحمن الذكواني أنبأنا أحمد ابن موسى بن مردويه الحافظ حدثنا الحسن بن محمد السوسي حدثنا أحمد بن سهل ابن أيوب حدثنا خالد بن يزيد حدثنا عبد الله بن عمر العمري قال سمعت سعيدا المقبري يقول سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي ومن زارني كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة * خالد بن يزيد ان كان هو العمري فقد قال ابن حبان إنه منكر الحديث * وأحمد بن سهل بن أيوب أهوازي قال الصريفيني مات بالأهواز يوم التروية سنة احدى وتسعين ومائتين

﴿الحديث الحادي عشر﴾ من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا * وفي رواية * من زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري يوم القيامة * أنبأنا الدمياطي وابن هرون وغيرهما قالوا أنبأنا محمد بن هبة الله قال أنبأنا علي بن الحسن الحافظ سماعا أنبأنا زاهر أنبأنا البيهقي أنبأنا أبو سعيد بن أبي عمرو (ح) قال الحافظ

وأنبأنا أبو سعد بن البغدادي أنبأنا أبو نصر محمد بن أحمد بن سيبويه أنبأنا أبو سعيد الصيرفي أنبأنا محمد بن عبد الله الصفار حدثنا ابن أبي الدنيا حدثني سعيد بن عثمان الجرجاني حدثنا محمد بن اسمعيل بن أبي فديك أخبرني أبو المثنى سليمان بن يزيد الكعبي وفي حديث ظاهر * العتكى * (ح) قال الحافظ وأنبأنا ابن السمرقندي أنبأنا ابن مسعدة أنبأنا حمزة حدثنا أبو بكر بن محمد بن أحمد بن اسمعيل بجرجان حدثنا أبو عوانة موسى بن يوسف القطان حدثنا عباد بن موسى الختلي حدثنا ابن أبي فديك عن سليمان بن يزيد الكعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا * وفي حديث عبادة كنت له شهيدا أو شفيعا * وقالا * يوم القيامة * وذكره ابن الجوزي في (مثير العزم الساكن) ومن خطه نقلت بسنده الى ابن أبي الدنيا باسناده المذكور وبالاسناد الى البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا علي بن عيسى حدثنا أحمد بن عبدوس ابن حمدويه الصفار النيسابوري حدثنا أيوب بن الحسن حدثنا محمد بن اسمعيل بن أبي فديك بالمدينة حدثنا سليمان بن يزيد الكعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة ومن زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري يوم القيامة * هذه الاسانيد لثلاثة دارت على محمد بن اسمعيل بن أبي فديك وهو مجمع عليه وسليمان بن يزيد ذكره ابن حبان في الثقات وقال أبو حاتم الرازي إنه منكر الحديث ليس بقوي

﴿الحديث الثاني عشر﴾ ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر * قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار في كتاب (الدرة الثمينه في فضائل المدينه) أنبأنا أبو محمد بن علي أنبأنا أبو يعلى الازدي أنبأنا أبو اسحق البجلي أنبأنا سعيد ابن أبي سعيد النيسابوري أنبأنا ابراهيم بن محمد المؤدب أنبأنا ابراهيم بن محمد حدثنا محمد بن محمد حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا جعفر بن هرون حدثنا سمعان بن المهدي

عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارنى ميتا فكأنما زارنى حيا ومن زار قبرى وجبت له شفاعتى يوم القيامة وما من أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر *

﴿ الحديث الثالث عشر ﴾ * من زارنى حتى ينتهى الى قبرى كنت له يوم القيامة شهيدا * أو قال شفيعا * ذكره الحافظ أبو جعفر العقيلى فى كتاب الضعفاء فى ترجمة فضالة بن سعيد بن زميل المازنى قال حدثنا سعيد بن محمد الحضرمى حدثنا فضالة بن سعيد بن زميل المازنى حدثنا محمد بن يحيى المازنى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارنى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى ومن زارنى حتى ينتهى الى قبرى كنت له يوم القيامة شهيدا * أو قال شفيعا * وذكره الحافظ ابن عساكر من جهته أيضا أنبأنا به أبو محمد الدمياطى عن ابن هبة الله لسماعه منه أنبأنا أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطى أنبأنا أبو بكر محمد بن المظفر الشامى أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيق أنبأنا أبو يعقوب بن يوسف بن أحمد الصيدلانى حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلى فذكره باسناده الا أنه قال من رآنى فى المنام كان كمن رآنى فى حياتى * والباقى سواء ووقع فى روايته أيضا شعيب بن محمد الحضرمى ولعله تصحيف وفضالة بن سعيد قال العقيلى فى ترجمته حديثه غير محفوظ لايعرف الا به هكذا رأيته فى كتاب العقيلى وذكر الحافظ ابن عساكر عنه أنه قال لايتابع على حديثه من جهة تثبت ولا يعرف الا به ومحمد بن يحيى المازنى ذكره ابن عدى فى الكامل وقال ان احاديثه مظلمة منكرة ولم يذكر ابن عدى هذا الحديث فى احاديثه ولم يذكر فيه ولا العقيلى فى فضالة شيأ من الجرح سوى التفرد والنكارة *

﴿ الحديث الرابع عشر ﴾ من لم يزر قبرى فقد جفانى * قال أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحسنى فى كتاب (أخبار المدينة) حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنى

أبو أحمد الهمداني حدثنا النعمان بن شبل حدثنا محمد بن الفضل * مديني * سنة ست وسبعين عن جابر عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرني فقد جفاني * وقال الحافظ أبو عبد الله بن النجار في (الدرة الثمينة) روى عن علي رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يزر قبري فقد جفاني وقال أبو سعيد عبد الملك بن محمد بن ابراهيم النيسابوري الخركوشي الواعظ في كتاب (شرف المصطفى) صلى الله عليه وسلم روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزر قبري فقد جفاني * وهذا الكتاب في ثمان مجلدات ومصنفه عبد الملك النيسابوري صنف في علوم الشريعة كتبا توفي سنة ست وأربعمائة بنيسابور وقبره بها مشهور يزار ويتبرك به وشيخه في الفقه أبو الحسن الماسرجسي وقد روى حديث علي رضي الله عنه من طرق أخرى ليس فيها تصريح بالرفع ذكرها ابن عساكر أنبأنا عبد المؤمن وآخرون عن ابن الشيرازي أنبأنا ابن عساكر أنبأنا أبو العز أحمد بن عبيد الله أنبأنا أبو محمد الجوهري أنبأنا علي بن محمد بن أحمد بن نصير بن عرفة حدثنا محمد بن ابراهيم الصلحي حدثنا منصور بن قدامة الواسطي حدثنا المضيء بن أبي الجارود حدثنا عبد الملك بن هرون بن عنترة عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال من سأل لرسول الله صلى الله عليه وسلم الدرجة الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة (١) ومن زار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم * عبد الملك بن هرون بن عنترة فيه كلام كثير رماه يحيي بن معين وابن حبان وقال البخاري منكر الحديث وقال أحمد ضعيف الحديث

(١) هكذا هذه الرواية بالالفاظ الموجودة في سائر النسخ الحاضرة عندنا ولعله وقع فيها سهو من الكاتب والله أعلم اه حسن بن أحمد عفي عنه

﴿ الحديث الخامس عشر ﴾ من أتى المدينة زائرا * قال يحيى الحسينى فى (أخبار المدينة) فى باب ما جاء فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وفى السلام عليه * حدثنا محمد بن يعقوب حدثنا عبد الله بن وهب عن رجل عن بكر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتى المدينة زائرا الى وجبت له شفاعتى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين بعث آمنا * وقد وردت أحاديث أخر فى ذلك فيها * من لم يمكنه زيارتى فليزر قبر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام * وسأذكر ذلك ان شاء الله تعالى فى الكلام على زيارة سائر الانبياء والصالحين

﴿ الباب الثانى فيما ورد من الاخبار والاحاديث دالا على فضل ﴾ ﴿ الزيارة وان لم يكن فيه لفظ الزيارة ﴾

روينا فى سنن أبى داود السجستانى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم على الارد الله على روحى حتى ارد عليه السلام أنبأنا بذلك وبجميع سنن أبى داود شيخنا الحافظ أبو محمد الدمياطى بقراءتى عليه لبعضها وقراءة عليه وأنا أسمع لباقيها قال أنبأنا بجميعها أبو الحسن بن أبى عبد الله بن أبى الحسن البغدادى قراءة عليه وأنا أسمع عن أبى المعالى الفضل بن سهل ابن بشر الاسفرايينى عن الخطيب أبى بكر أحمد بن على بن ثابت الحافظ * قال شيخنا وأنبأنا أيضا أبو الحسن عن الحافظ أبى الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن على الفارسى الاصل السلامى قال أخبر الشيخان أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن السمرقندى المقرى والعدل الفقيه أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن محمد الفراء الحنبلى قالا أنبأنا الخطيب * وفات ابن السمرقندى الجزء السابع والعشرون فرواه عن الخطيب بالاجازة * قال ابن ناصر وقرأت هذا الكتاب مرارا على الشيخ الصالح أبى غالب محمد بن الحسن بن على البصرى الماوردى قالا أنبأنا أبو على على بن أحمد بن على التسترى قال أنبأنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمى أنبأنا أبو على

محمد بن أحمد بن عمر واللؤلؤى حدثنا أبو داود سليمان بن الاشعث بن اسحق السجستانى قال حدثنا محمد بن عوف حدثنا المقرى حدثنا حيوة عن أبى صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى هريرة فذكره بلفظه وهذا اسناد صحيح فان محمد بن عوف شيخ أبى داود جليل حافظ لا يسئل عنه وقد رواه معه عن المقرى عباس بن عبد الله الترفيقى رواه من جهته أبو بكر البيهقى والمقرى وحيوة ويزيد ابن عبد الله بن قسيط متفق عليهم وحميد بن زياد روى له مسلم وقال أحمد ليس به بأس وكذلك قال أبو حاتم وقال يحيى بن معين ثقة ليس به بأس وروى عن ابن معين فيه رواية أنه ضعيف ورواية التوثيق ترجح عليها لموافقتها أحمد وأبا حاتم وغيرهما وقال ابن عدى هو عندى صالح الحديث وانما أنكرت عليه حديثين * المؤمن بألف * وفى القدرية وسائر حديثه أرجو أن يكون مستقيما وأما قول الشيخ زكى الدين فيه إنه أنكر عليه شئ من حديثه فقد بيناه عن ابن عدى تعيين ما أنكر عليه وليس منه هذا الحديث وبمقتضى هذا يكون هذا الحديث صحيحا ان شاء الله تعالى وقد اعتمد جماعة من الائمة على هذا الحديث فى مسئلة الزيارة وصدر به أبو بكر البيهقى باب زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وهو اعتماد صحيح واستدلال مستقيم لأن الزائر المسلم على النبى صلى الله عليه وسلم يحصل له فضيلة رد النبى صلى الله عليه وسلم السلام عليه وهى رتبة شريفة ومنقبة عظيمة ينبغى التعرض لها والحرص عليها لينال بركة سلامه صلى الله عليه وسلم عليه فان قيل ليس فى الحديث تخصيص بالزائر فقد يكون هذا حاصلا لكل مسلم قريبا كان أو بعيدا وحينئذ يحصل هذه الفضيلة بالسلام من غير زيارة والحديث عام (قلت) قد ذكره ابن قدامة من رواية أحمد *ولفظه ما من أحد يسلم علىّ عند قبرى وهذه زيادة مقتضاها التخصيص فان ثبت فذاك وان لم يثبت فلا شك أن القريب من القبر يحصل له ذلك لانه فى منزلة المسلم بالتحية التى تستدعى الرد كما فى حال الحياة فهو بحضوره عند القبر قاطع بنيل هذه

الدرجة على مقتضى الحديث متعرض لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم له برد السلام عليه وفي المواجهة بالخطاب فضيلة زائدة على الرد على الغائب * واعلم أن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم على نوعين * أحدهما المقصود به الدعاء كقولنا صلى الله عليه وسلم فهذا دعاء مناله بالصلاة والتسليم من الله تعالى ويقال للعبد مسلم لدعائه بالسلام كما يقال له مصل اذا دعا بالصلاة قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما * وسئل صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الصحيحين وغيرهما قيل قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم * قال العلماء معناه كما قد علمتم في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وقد يأتي هذا القسم بلفظ الغيبة كما روى عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلت المسجد فقولي بسم الله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لنا وسهل لنا أبواب رحمتك فاذا فرغت فقولي مثل ذلك غير أن قولي وسهل لنا أبواب فضلك * رواه القاضي اسمعيل بهذا اللفظ ورواه ابن ماجه في سننه عن فاطمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد يقول بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك واذا خرج قال بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك * والاسناد الى فاطمة رضي الله عنها من الطريقين فيه انقطاع والمختار أن يقول في ذلك أيضا السلام عليك أيها النبي كما في التشهد والمقصود من هذه الأحاديث بيان هذا النوع من السلام على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الخطاب والغيبة جميعا ولا

فـرق فى ذلك بين الغـائب عنه والحاضر عنده صلى الله عليـه وسلم وهذا النوع هو الذى قيل باختصاصه بالنبى صلى الله عليه وسـلم عن الامة حتى لا يسلم على غـيره من الامة الا تبعا له كما لا يصـلى على غـيره من الامة الا تبعا له * النوع الثانى ما يقصد به التحية كسلام الزائر اذا وصل الى حضرته الشريفة عليـه صلى الله عليـه وسـلم فى حياته و بعد وفاته وهذا غير مختص بل هو عام لجميع المسلمين ولهذا كان عبد الله ابن عمر رضى الله عنهـما يأتى الى القبر و يقول السلام عليـك يارسـول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه وورد عنه بلفظ الخطاب و بلفظ الغيبة * اذا عرف هذان النوعان فالنوع الثـانى لاشك فى استدعائه الرد وأن النبى صلى الله عليه وسلم يرد على المسلم عليـه كما اقتضاه الحديث سواء أوصـل بنفسه الى القبر أم أرسل رسولا كما كان عمر بن عبد العزيز يرسل البريد من الشام الى المدينة ليسلم له على النبى صلى الله عليه وسلم ففى هذين القسمين من هذا النوع يحصل الرد من النبى صلى الله عليه وسـلم كما هو عادة الناس فى السـلام وأما النوع الاول فالله أعلم فان ثبت الرد فيه أيضا وحبذا لتشملنا بركة ذلك كلما سلمنا فلاشك أن الحاضر عند القبر له مزية القرب والخطاب وان كان الرد مختصا بالنوع الثانى حرم من لم يزر هـذه الفضيلة لا حرم الله مؤمنا خـيرا وقد روى عنه صلى الله عليه وسـلم أنه قال أتانى ملك فقال يا محمـد إن ربك يقول أما يرضيـك أن لا يصـلى عليك أحد من أمتك الا صـليت عليـه عشرا ولا يسـلم عليك الا سلمت عليه عشرا * رواه القاضى اسمعيل والظاهر أن هذا فى السـلام بالنوع الاول وقد ورد تفسير هذا الحـديث عن الامام الجليل أبى عبـد الرحمن عبـد الله بن يزيد المقـرى بما يوافق النوع الثـانى أخـبرنا بذلك سليمـان بن حمـزة قاضى القضاة الحنبلى بالشام بقـراءتى عليـه بسفح جبل قاسيون أخـبرنا جعفر الهمدانى أخبرنا السلفى أخبرنا الشراح أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الخلال الحافظ حدثنا عبـد الله بن محمد بن الحسـن بن محمـد الشراحى قدم علينا قال سمعت

أباعبد الله أحمد بن خالد الجرورى قال سمعت أباعبد الله محمد بن زيد يقول سمعت المقرى عبد الله بن يزيد يقول فى قول النبى صلى الله عليه وسلم مامن أحد يسلم على الارد الله على روحى حتى أرد عليه السلام وقال هذا فى الزيارة اذا زارنى فسلم على حتى رد الله على روحى حتى أرد عليه

﴿ فصل فى علم النبى صلى الله عليه وسلم عن يسلم عليه ﴾

روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى من أمتى السلام * رواه النسائى واسمعيل القاضى وغيرهما من طرق مختلفة بأسانيد صحيحة لاريب فيها الى سفيان الثورى عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله وصرح الثورى بالسماع فقال حدثنى عبد الله بن السائب هكذا فى كتاب القاضى اسمعيل وعبد الله بن السائب وزاذان روى لهما مسلم ووثقهما ابن معين فالاسناد اذا صحيح ورواه أبو جعفر محمد ابن الحسن الاسدى عن سفيان الثورى عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملائكة يسيحون فى الارض يبلغونى صلاة من صلى على من أمتى * قال الدارقطنى المحفوظ عن زاذان عن ابن مسعود يبلغونى عن أمتى السلام * وقال بكر بن عبد الله المزنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم فاذا مت كانت وفاتى خيرا لكم تعرض على أعمالكم فان رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم * وقال أيوب السختيانى بلغنى والله أعلم أن ملكا موكل بكل من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم حتى يبلغه النبى صلى الله عليه وسلم * وفى كتاب فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم للقاضى اسمعيل عن النبى صلى الله عليه وسلم لاتجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على وسلموا حيث ما كنتم فسيبلغنى سلامكم وصلاتكم * وهذا الحديث فى سنن أبى داود من غير ذكر السلام وفى هذه الرواية

زيادة السلام وروى ابن عساكر من طرق مختلفة عن نعيم بن ضمضم العامرى عن عمران بن حميرى الجعفى قال سمعت عمار بن ياسر رضى الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أعطانى ملكا من الملائكة يقوم على قبرى اذا أنامت فلا يصلى على أحد صلاة الا قال يا أحمد فلان بن فلان يصلى عليك يسميه باسمه واسم أبيه فيصلى الله عليه مكانها عشرا وفى رواية ان الله أعطى ملكا من الملائكة أسماء الخلائق * وفى رواية أسماع الخلائق * فهو قائم على قبرى الى يوم القيامة وذكر الحديث * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يصلى عليه صلاة الا وهى تبلغه يقول له الملك فلان بن فلان يصلى عليك كذا وكذا صلاة وما تضمنته هذه الاحاديث والآثار من تبليغ الملائكة النبى صلى الله عليه وسلم يبين ما ورد من كون الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تعرض عليه كما جاء ذلك فى أحاديث منها فى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه عن أوس بن أوس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على قال فقالوا يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت قال يقولون بليت قال ان الله حرم على الارض أجساد الانبياء * قال الشيخ الحافظ زكى الدين المنذرى رحمه الله وله علة دقيقة أشار اليها البخارى وغيره وقد جمعت طرقه فى جزء الحديث المذكور من رواية حسين الجعفى عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبى الاشعث الصنعانى عن أوس بن أوس وهؤلاء ثقات مشهورون وعلته أن حسين بن على الجعفى لم يسمع من عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وانما سمع من عبد الرحمن بن يزيد بن تميم وهو ضعيف فلما حدث به الجعفى غلط فى اسم الجد فقال ابن جابر * قلت وقد رواه أحمد فى مسنده عن حسين الجعفى عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر هكذا بالعنعنة وروى حديثين آخرين بعد ذلك قال فيهما حسين حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وذلك

لا ينافى الغلط ان صح أنه لم يسمع منه وروى ابن ماجه الحديث المذكور من طريق آخر ذكره فى آخر كتاب الجنائز وفى متنه زيادة * أنبأنا أقضى القضاة أبو بكر محمد ابن عبد العظيم بن على الشافعى المعروف بابن السقطى بقراءتى عليه بجميع سنن ابن ماجه قال أنبأنا أبو بكر عبد العزيز بن أحمد بن أبى الفتح بن باقا اجازة قال أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسى سماعا الا ماعين فى الكتاب باجازته من أبى زرعة وهذا الحديث من المسموع قال أنبأنا أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الهيثم المقومى اجازة ان لم يكن سماعا ثم ظهر سماعه منه أنبأنا أبو طلحة القاسم بن أبى المنذر الخطيب أنبأنا أبو القاسم على بن ابراهيم بن سلمة بن بحر القطان حدثنا أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه حدثنا عمرو بن سوار المقرى حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو ابن أبى الحرث عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان أحدا لن يصلى على الا عرضت على صلاته حين يفرغ منها قال قلت و بعد الموت قال و بعد الموت إن الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء عليهم السلام فنبى الله حى يرزق * هذا لفظ ابن ماجه وفيه زيادة قوله حين يفرغ منها وفى الاصل (حتى) التى هى حرف غاية وعليه تضبيب وفى الحاشية (حين) التى هى ظرف زمان فان كانت هى الثابتة استفيد منها أن وقت عرضها على النبى صلى الله عليه وسلم حين الفراغ من غير تأخير وان كان الثابت (حتى) كما فى الاصل دل على عرضها عليه صلى الله عليه وسلم وقت قوله فيدل على عدم التأخير أيضا وفيه زيادة أيضا وهى قوله (وبعد الموت) بحرف العطف وذلك يقتضى أن عرضها عليه صلى الله عليه وسلم فى حالتى الحياة والموت جميعا وفى اسناد الحديث المذكور زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى مرسل الا انه يتقوى باعتضاده بغيره وقد روينا من جهة القاضى اسمعيل عن الحسن عن النبى صلى

الله عليه وسلم مرسلا قال أكثروا على الصلاة يوم الجمعة فانها تعرض على * وروى الامام أبو بكر أحمد بن محمد بن اسحق ابن السنى فى كتاب عمل يوم وليلة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا الصلاة على يوم الجمعة * وأنبأنا عبد المؤمن وآخرون أنبأنا ابن الشيرازى أنبأنا ابن عساكر أنبأنا أبو الحسين أنبأنا جدى أبو بكر البيهقى أنبأنا على بن أحمد الكاتب حدثنا أحمد بن عبيد حدثنا الحسين بن سعيد حدثنا ابراهيم بن الحجاج حدثنا حماد بن سلمة عن برد بن سنان عن مكحول الشامى عن أبى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا على من الصلاة فى كل يوم جمعة فان صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم منى منزلة * وهذا اسناد جيد وعن حصين بن عبد الرحمن عن يزيد الرقاشى قال ان ملكا موكل يوم الجمعة بمن صلى على النبى صلى الله عليه وسلم يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان فلانا من أمتك صلى عليك * وعن أبى طلحة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبريل صلى الله عليه وسلم قال بشر أمتك من صلى عليك صلاة واحدة كتب الله له بها عشر حسنات وكفر عنه بها عشر سيآت ورفع له بها عشر درجات ورد الله عليه مثل قوله وعرضت على يوم القيامة رواه ابن عساكر ولا تنافى بين هذه الاحاديث فقد يكون العرض عليه مرات وقت الصلاة ويوم الجمعة ويوم القيامة وحديث أبى هريرة وحديث ابن مسعود مصرحان بانه يبلغه سلام كل من سلم عليه وهما صحيحان ان شاء الله وحديث أوس بن أوس وما فى معناه يدل على أن الموت غير مانع من ذلك وكان مقصودنا بجمع هذه الاحاديث بيان العرض على النبى صلى الله عليه وسلم وأن المراد به التبليغ من الملائكة له صلى الله عليه وسلم كما تضمنه حديث أبى هريرة وحديث ابن مسعود وهذا فى حق الغائب بلا اشكال وأما فى حق الحاضر عند القبر فهل يكون كذلك أو يسمعه صلى الله عليه وسلم بغير واسطة وورد فى

ذلك حديثان أحدهما * من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على نائيا بلغته * وفى رواية نائيا منه بلغته * وفى رواية نائيا من قبرى * وفى رواية عن قبرى * والحديث الثانى * مامن عبد يسلم على عند قبرى الا وكل بها ملك ليبلغنى وكفى أمر آخرته ودنياه وكنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة * وفى رواية * من صلى على عند قبرى وكل الله بها ملكا يبلغنى وكفى أمر دنياه وآخرته وكنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة * وفى رواية * مامن عبد صلى على عند قبرى الا وكل الله به * وفيها شفيعا وشهيدا وهذان الحديثان كلاهما من رواية محمد بن مروان السدى الصغير وهو ضعيف عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أما الحديث الاول الذى فيه من صلى على عند قبرى سمعته فرواه أحمد بن على الحبرانى ويوسف بن الضحاك الفقيه ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة وأحمد ابن ابراهيم بن ملحان وعيسى بن عبد الله الطيالسى وليث بن نصر الصاغانى والحسن ابن عمر بن ابراهيم الثقفى كلهم عن العلاء بن عمرو الحنفى عن محمد بن مروان السدى بالسند المذكور وفى رواية عيسى الطيالسى حدثنا العلاء بن عمر و الحنفى حدثنا أبو عبد الرحمن عن الاعمش * قال ابن عساكر قال لنا أبو الحسن سبط البيهقى قال لنا جدى أبو بكر أبو عبد الرحمن هذا هو محمد بن مروان السدى فيما أرى وفيه نظر * القائل وفيه نظر هو البيهقى * كذا رأيته فى جزء حياة الانبياء من تصنيفه وأما الحديث الثانى فرواه محمد بن عبد الله بن ابراهيم الشافعى وأبو الحسين أحمد بن عثمان الأدمى وأبو عبد الله الصفار ومحمد بن عمر بن حفص النيسابورى كلهم عن محمد بن يونس بن موسى الكديمى وفى بعض هذا عن محمد بن موسى نسبة الى جده عن الاصمعى عبد الملك بن قريب عن محمد بن مروان السدى عن الاعمش بالسند الاول وهذا الحديث أضعف من الاول لأنه انضم فيه ضعف الكديمى الى ضعف السدى والاول ليس فيه الاضعف السدى خاصة فان ثبت ذلك فكفى بها شرفا وان لم يثبت

فهو مرجو فينبغي الحرص عليه والتعرض لاسماعه صلى الله عليه وسلم وذلك بالحضور عند قبره والقرب منه وسنذكر في الاحاديث والآثار والادلة مايدل على أنه صلى الله عليه وسلم يسمع من يسلم عليه عند قبره ويردّ عليه عالما بحضوره عنده وكفى بهذا فضلا حقيقا أن ينفق فيه ملك الدنيا حتى يتوصل اليه من اقطار الارض وسنفرد بابا لحياة الانبياء عليهم السلام بعد تمام المقصود من اقامة الدلائل على الزيارة وباثبات الحياة تتأكد الزيارة ولكني رأيت ذكره بعد لئلا يجادل فيه جدل متطرق به الى المجادلة في الزيارة وعن سليمان بن سحيم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك و يسلمون عليك أتعلم سلامهم قال نعم وأرد عليهم * وعن ابراهيم بن بشار قال حججت في بعض السنين فجئت المدينة فتقدمت الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فسمعت من داخل الحجرة وعليك السلام * فان قيل مامعنى قوله صلى الله عليه وسلم الارد الله على روحي قلت فيه جوابان أحدهما ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي أن المعنى الاوقد رد الله على روحي يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد مامات ودفن رد الله عليه روحه لأجل سلام من يسلم عليه واستمرت في جسده صلى الله عليه وسلم * والثاني يحتمل أن يكون ردا معنويا وأن يكون روحه الشريفة مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملا الأعلى من هذا العالم فاذا سلم عليه أقبلت روحه الشريفة على هذا العالم فيدرك سلام من يسلم عليه ويرد عليه

﴿ الباب الثالث فيما ورد في السفر الى زيارته صلى الله عليه وسلم صريحا وبيان أن ذلك لم يزل قديما وحديثا ﴾

وممن روى ذلك عنه من الصحابة بلال بن أبي رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر من الشام الى المدينة لزيارة قبره صلى الله عليه وسلم رويناذلك باسناد جيد

اليه وهو نص فى الباب ومن ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمه الله بالاسناد الذى سنذكره وذكره الحافظ أبو محمد عبد الغنى المقدسى رحمه الله فى الكمال فى ترجمة بلال فقال ولم يؤذن لاحد بعد النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى الامرة واحدة فى قدمة قدمها المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم طلب اليه الصحابة ذلك فأذن ولم يتم الاذان وقيل انه أذن لابى بكر الصديق رضى الله عنه فى خلافته ومن ذكر ذلك أيضا الحافظ أبو الحجاج المزى أبقاه الله وها أنا أذكر اسناد ابن عساكر فى ذلك * أنبأنا عبد المؤمن بن خلف وعلى بن محمد بن هرون وغيرهما قالوا أنبأنا القاضى أبو نصر بن هبة الله بن محمد بن مميل الشيرازى اذنا أنبأنا الحافظ أبو القاسم على بن الحسين بن هبة الله بن عساكر الدمشقى قراءة عليه وأنا أسمع قال أنبأنا أبو القاسم زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن قال أنبأنا أبو أحمد محمد بن محمد أنبأنا أبو الحسن محمد بن الفيض الغسانى بدمشق قال حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال بن أبى الدرداء حدثنى أبى محمد بن سليمان عن أبيه سليمان بن بلال عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال لما دخل (١) عمر بن الخطاب رضى الله عنه من فتح بيت المقدس فصار الى الجابية سأل بلال أن يقره بالشام ففعل ذلك قال وأخى أبو رويحة الذى آخى بينى وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل داريا فى خولان فأقبل هو وأخوه الى قوم من خولان فقال لهم قد أتيناكم خاطبين وقد كنا كافرين فهدانا الله ومملوكين فأعتقنا الله وفقيرين فأغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان تردونا فلا حول ولا قوة الا بالله فزوجوهما ثم ان بلالا رأى فى منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له ماهذه الجفوة يابلال أما آن لك أن تزورنى يابلال فانتبه حزينا وجلا خائفا فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين رضى الله عنهما فجعل يضمهما ويقبلهما فقالا له نشتهى نسمع أذانك الذى كنت تؤذن به

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ففعل فعلا سطح المسجد فوقف موقفه الذى كان يقف فيه فلما أن قال الله أكبر الله أكبر ارتجت المدينة فلما أن قال أشهد أن لا اله الا الله ازدادرجتها فلما أن قال أشهد أن محمدا رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقالوا أبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأى يوما أكبر باكيا ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم * كذا ذكره ابن عساكر فى ترجمة بلال رضى الله عنه وذكره أيضا فى ترجمة ابراهيم بسند آخر الى محمد بن الفيض أنبأ جماعة عن جماعة عن ابن عساكر قال أنبأنا أبو محمد بن الاكفانى حدثنا عبد العزيز بن أحمد حدثنا تمام بن محمد حدثنا محمد بن سليمان حدثنا محمد بن الفيض فذكره سواء الا أنه سقط منه من فتح بيت المقدس وقال آخى بينه وبينى ولم يقل خاطبين * أبو رويحة اسمه عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى وفى الطبقات أن مؤاخاته لبلال لم يثبتها محمد بن عمر وأثبتها ابن اسحق وغيره واختار أنس أن يجعل ديوانه معه فضمه عمر اليه وضم ديوان الحبشة الى خثعم لمكان بلال منهم * وسليمان بن بلال بن أبى الدرداء روى عن جدته وأبيه بلال روى عنه ابنه محمد وأيوب بن مدرك الحنفى ذكر له ابن عساكر حديثا ولم يذكر فيه تجريحا وابنه محمد بن سليمان بن بلال ذكره مسلم فى الكنى وأبو بشر الدولابى والحاكم أبو أحمد وابن عساكر * كنيته أبو سليمان قال ابن أبى حاتم سألت أبى عنه فقال ما بحديثه بأس وابنه ابراهيم بن محمد بن سليمان أبو اسحاق ذكره الحاكم أبو أحمد وقال كناه لنا محمد بن الفيض وذكره ابن عساكر وذكر حديثه ثم قال قال ابن الفيض توفى سنة اثنين وثلاثين ومائتين ومحمد بن الفيض بن محمد بن الفيض أبو الحسن الغسانى الدمشقى روى عن خلائق وروى عنه جماعة منهم أبو أحمد بن عدى وأبو أحمد الحاكم وأبو بكر ابن المقرى فى معجمه وذكره ابن زبر وابن عساكر فى التاريخ توفى سنة خمس عشرة وثلثمائة ومولده سنة تسع عشرة

ومائتين ومدار هذا الاسناد عليه فلا حاجة الى النظر فى الاسنادين الذين رواه ابن عساكر بهما وان كان رجالهما معروفين مشهورين وليس اعتمادنا فى الاستدلال بهذا الحديث على رؤيا المنام فقط بل على فعل بلال وهو صحابى لاسيما فى خلافة عمر رضى الله عنه والصحابة متوافرون ولايخفى عنهم هذه القصة ومنام بلال ورؤياه للنبى صلى الله عليه وسلم الذى لايتمثل به الشيطان وليس فيه ما يخالف ماثبت فى اليقظة فيتأكد به فعل الصحابى وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه كان يبرد البريد من الشام يقول سلم لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم * وممن ذكر ذلك ابن الجوزى ونقلته من خطه فى كتاب (مثير العزم الساكن) وقد ضبطه باسكان الباء الموحدة وكسر الراء المخففة وهو كذلك يقال أبرده فهو مبرد وذكره أيضا الامام أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبى عاصم النبيل و وفاته سنة سبع وثمانين ومائتين فى مناسك له لطيفة جردها من الاسانيد ملتزما فيها الثبوت قال فيها وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصدا من الشام الى المدينة ليقرئ النبى صلى الله عليه وسلم السلام ثم يرجع وهذه المناسك رواية شيخنا الدمياطى * أنبأنا ابن خليل أنبأنا الطرطوسى والكرانى أنبأنا الصيرفى حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن شاذان حدثنا القباب حدثنا ابن أبى عاصم * فسفر بلال فى زمن صدر الصحابة ورسول عمر بن عبد العزيز فى زمن صدر التابعين من الشام الى المدينة لم يكن الا للزيارة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن الباعث على السفر غير ذلك لا من أمر الدنيا ولا من أمر الدين لا من قصد المسجد ولا من غيره وانما قلنا ذلك لئلا يقول بعض من لاعلم له ان السفر لمجرد الزيارة ليس بسنة وسنتكلم على بطلان ذلك فى موضعه وأما من سافر الى المدينة لحاجة و زار عند قدومه أو اجتمع فى سفره قصد الزيارة مع قصد آخر فكثير وقد ورد عن يزيد بن أبى سعيد مولى المهرى قال قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لى اليك حاجة اذا

أتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام وورد هذا عن غير عمر بن عبد العزيز أيضا قال أبو الليث السمرقندي الحنفي في الفتاوى في باب الحج قال أبو القاسم لما أردت الخروج الى مكة قال القاسم بن غسان ان لي اليك حاجة اذا أتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام فلما وضعت رجلي في مسجد المدينة ذكرت * قال الفقيه فيه دليل أن من لم يقدر على الخروج فأمر غيره ليسلم عنه فانه ينال فضيلة السلام ان شاء الله تعالى انتهى * وفي فتوح الشام انه لما كان أبو عبيدة منازلا بيت المقدس ارسل كتابا الى عمر مع ميسرة بن مسروق رضي الله عنه يستدعيه الحضور فلما قدم ميسرة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلها ليلا ودخل المسجد وسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قبر أبي بكر رضي الله عنه وفيه أيضا أن عمر لما صالح أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الاحبار وأسلم وفرح عمر باسلامه قال عمر رضي الله عنه له هل لك أن تسير معي الى المدينة وتزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتتمتع بزيارته فقال لعمر يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك ولما قدم عمر المدينة أول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر المؤرخون والمحدثون منهم أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب وأحمد بن يحيى البلاذري في تاريخ الاشراف وابن عبد ربه في العقد أن زياد بن أبيه أراد الحج فأتاه أبو بكرة رضي الله عنه وهو لا يكلمه فأخذ ابنه فأجلسه في حجره ليخاطبه ويسمع زيادا فقال ان أباك فعل وفعل وانه يريد الحج وأم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك فان أذنت له فأعظم بها مصيبة وخيانة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان هي حجبته فأعظم بها حجة عليه فقال زياد ما تدع النصيحة لأخيك وترك الحج تلك السنة هكذا حكاه البلاذري وحكى ابن عبد البر ثلاثة أقوال * أحدها أنه حج ولم يزر من أجل قول أبي بكرة * والثاني أنه دخل المدينة وأراد الدخول على أم حبيبة رضي الله عنها فذكر قول أبي بكرة فانصرف عن ذلك * والثالث أن أم حبيبة حجبته

ولم تأذن له * والقصة على كل تقدير تشهد لان زيارة الحاج كانت معهودة من ذلك الوقت والا فكان زياد يمكنه أن يحج من غير طريق المدينة بل هي أقرب اليه لانه كان بالعراق والاتيان من العراق الى مكة أقرب ولكن كان اتيان المدينة عندهم أهم الا يترك * واختلف السلف رحمهم الله في أن الافضل البداءة بالمدينة قبل مكة أو بمكة قبل المدينة وممن نص على هذه المسئلة وذكر الخلاف فيها الامام أحمد رحمه الله في كتاب المناسك الكبير من تاليفه وهذه المناسك رواها الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر عن الحاجب أبي الحسن على بن محمد بن العلاف عن أبي الحسن على بن أحمد بن عمر الحمامي عن اسمعيل بن على الخطبي عن عبد الله بن أحمد عن أبيه في هذه المناسك سئل عمن يبدأ بالمدينة قبل مكة فذكر باسناده عن عبد الرحمن بن يزيد وعطاء ومجاهد قالوا اذا اردت مكة فلا تبدأ بالمدينة وابدأ بمكة واذا قضيت حجك فامرر بالمدينة ان شئت وذكر باسناده عن الاسود قال أحب أن يكون نفقتي وجهازي وسفرى أن ابدأ بمكة وعن ابراهيم النخعي اذا اردت مكة فاجعل كل شئ لها تبعا وعن مجاهد اذا أردت الحج أو العمرة فابدأ بمكة واجعل كل شئ لها تبعا وعن ابراهيم قال اذا حججت فابدأ بمكة ثم مر بالمدينة بعد * وذكر الامام أحمد أيضا باسناده عن عدي بن ثابت أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يبدؤن بالمدينة اذا حجوا يقولون نهل من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابن أبي شيبة في مصنفه هذا الاثر أيضا وذكر باسناده عن علقمة والاسود وعمرو بن ميمون أنهم بدؤا بالمدينة قبل مكة وقال الموفق بن قدامة قال يعني أحمد واذا حج الذي لم يحج قط يعني من غير طريق الشام لا يأخذ على طريق المدينة لاني أخاف أن يحدث به حدث فينبغي أن يقصد مكة من أقصى الطرق ولا يتشاغل بغيره (قلت) وهذا في العمرة متجه لانه يمكنه فعلها متى وصل الى مكة وأما الحج فله وقت مخصوص فاذا كان الوقت متسعا لم يفت عليه

بمروره بالمدينة شيء ومن نص على هذه المسئلة من الائمة أبو حنيفة رحمه الله وقال الاحسن ان يبدأ بمكة روى ذلك الحسن بن زياد عنه فيما حكاه أبو الليث السمرقندى فانظر كلام السلف والخلف فى اتيان المدينة إما قبل مكة وإما بعدها ومن أعظم ما يؤتى له المدينة الزيارة ألا ترى أن بيت المقدس لا يأتيه الا القليل من الناس وان كان مشهوداً له بالفضل والصلاة فيه مضاعفة فتوفر الهمم خلفاً عن سلف على اتيان المدينة انما هو لأجل الزيارة وان اتفق معها قصد عبادات أخر فهو مغمور بالنسبة اليها وأما ما نقل من تعليل بعض الصحابة بالاهلال من ميقات النبي صلى الله عليه وسلم فذلك أمر مقصود وليس هو كل المقصود ولعلهم رضى الله عنهم رأوا أنه ميقاتهم الاصلى لما كانوا بالمدينة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم فأحبوا ان لا يغير وا ذلك والا فالنبي صلى الله عليه وسلم وقت لأهل كل بلد ميقاتاً ولعل الاحرام منه أولى الا أن يعارضه معارض والتابعون الكوفيون الذين اختاروا البداءة بالمدينة لم ينقل عنهم تعليل فلعل سببه عندهم ايثار الزيارة ولو كانت العلة الاحرام من ميقات النبي صلى الله عليه وسلم لم يأتوها اذا اتفق لهم البداءة بمكة لفوات الاحرام فلما اتفقوا على اتيانها وانما اختلفوا فى البداءة دل على أن العلة غيره وهى ما فيها من المشاهد وأعظمها الزيارة فهى اما كل المقصود أو معظمه وغيرها منغمر فيها ومن اختار البداءة بمكة ثم اتيان المدينة والقبر الامام أبو حنيفة كما سنحكيه عنه فى الباب الرابع وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى فى كتاب الشريعة فى باب دفن أبي بكر وعمر رضى الله عنهما مع النبي صلى الله عليه وسلم ما أحد من أهل العلم قديماً ولا حديثاً ممن رسم لنفسه كتاباً نسبه اليه من فقهاء المسلمين فرسم كتاب المناسك الا وهو يأمر كل من قدم المدينة ممن يريد حجاً أو عمرة أولا يريد حجاً ولا عمرة وأراد زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والمقام بالمدينة لفضلها (١) الا وكل العلماء قد

(١) كذا فى الاصل ولا يخفى ما فيه

أمروه ورسموه فى كتبهم وعلموه كيف يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وكيف يسلم على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما علماء الحجاز قديما وحديثا وعلماء أهل العراق قديما وحديثا وعلماء أهل الشام قديما وحديثا وعلماء أهل خراسان قديما وحديثا وعلماء أهل اليمن قديما وحديثا وعلماء أهل مصر قديما وحديثا فالله الحمد على ذلك * وقال قريبا من هذا الكلام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبرى الحنبلى فى كتاب الابانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة فى باب دفن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما مع النبى صلى الله عليه وسلم أيضا قال بحسبك دلالة على اجماع المسلمين واتفاقهم على دفن أبى بكر وعمر مع النبى صلى الله عليه وسلم أن كل عالم من علماء المسلمين وفقيه من فقهائهم ألف كتابا فى المناسك ففصله فصولا وجعله أبوابا يذكر فى كل باب فقهه ولكل فصل علمه وما يحتاج الحاج الى علمه والعمل به قولا وفعلا من الاحرام والطواف والسعى والوقوف والنحر والحلق والرمى وجميع مالا يسع الحاج جهله ولا غنى بهم عن علمه حتى يذكر زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيصف ذلك فيقول ثم تأتى القبر فتستقبله وتجعل القبلة وراء ظهرك وتقول السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته حتى تصف السلام والدعاء ثم يقول وتتقدم على يمينك قليلا وتقول السلام عليك يا أبا بكر وعمر وان الناس يحجون البيت من كل فج عميق وبلد سحيق فاذا أتوا البيت لا يشكون انه بيت الله المحجوج اليه وكذلك ما يأتونه من أعمال المناسك وفرائض الحج وفضائله ينادى بعضه بعضا حتى يأتوا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلمون عليه وعلى صاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ولقد أدركنا الناس ورأيناهم وبلغنا عمن لم نره أن الرجل اذا أراد الحج فسلم عليه أهله وصحابته قالوا له وتقرأ على النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر منا السلام فلا ينكر ذلك أحد ولا يخالفه * هذا كلام ابن بطة رحمه الله تعالى * وقد أنبأنا به جماعة من شيوخنا عن الحافظ أبى الحجاج يوسف بن

خليل بسنده الى ابن بطة ومقصوده ومقصود الآجرى الرد على بعض المحدثة فى انكار دفن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما مع النبى صلى الله عليه وسلم وأما زيارته صلى الله عليه وسلم فلم ينكرها أحد وانما جاءت فى كلامهما على سبيل التبع لانه لم يظن أحد أن يقع فيها أو فى السفر اليها نزاع فى قرن الثمنمائة واستفيد من كلامهما ان سفر الحجيج اليها لم يزل فى السلف والخلف وانها تابعة للمناسك * وأبو بكر الآجرى هذا قديم توفى فى المحرم سنة ستين وثلثمائة وكان ثقة صدوقا دينا وله تصانيف كثيرة وحدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلثمائة * ثم انتقل الى مكة فسكنها حتى توفى بها * وابن بطة المذكور توفى فى المحرم سنة سبع وثمانين وثلثمائة بعكبرى من فقهاء الحنابلة كان اماما فاضلا عالما بالحديث وفقهه أكثر من الحديث وصنف التصانيف المفيدة وهكذا قال غيرهما * قال القاضى عياض قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذى كان يستند اليه وينزل جبرئيل بالوحى فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار فى ذلك كله وقد ذكرنا فى باب نصوص العلماء على استحباب الزيارة قول الباجى المالكى ان الغرباء قصدوا الذلك يعنى قصدوا المدينة من أجل القبر والتسليم ذكر هذا فى معرض الفرق بين أهل المدينة والغرباء لما فرق مالك رحمه الله بينهم كما سبق وسنذكر فى الباب الرابع من كلام العبدى المالكى فى شرح الرسالة ان المسير الى المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس وأكثر عبارات الفقهاء أصحاب المذاهب ممن حكينا كلامهم فى باب الزيارة يقتضى استحباب السفر لانهم استحبوا للحاج بعد الفراغ من الحج الزيارة ومن ضروريها السفر وحكاية الاعرابى المشهورة التى ذكرها المصنفون فى مناسكهم وفى بعض طرقها ان الاعرابى ركب راحلته وانصرف وذلك

يدل أنه كان مسافرا والحكاية المذكورة ذكرها جماعة من الأئمة عن العتبى واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان (صخر بن حرب) كان من أفصح الناس صاحب أخبار ورواية للآداب حدث عن أبيه وسفيان ابن عيينة توفى سنة ثمان وعشرين ومائتين يكنى أبا عبد الرحمن وذكرها ابن عساكر فى تاريخه وابن الجوزى فى (مثير العزم الساكن) وغيرهما بأسانيدهم الى محمد بن حرب الهلالى قال دخلت المدينة فأتيت قبر النبى صلى الله عليه وسلم فزرته وجلست بحذائه فجاء أعرابى فزاره ثم قال ياخير الرسل إن الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما * وانى جئتك مستغفرا بك من ذنوبى مستشفعا فيها بك وفى رواية وقد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى ثم بكى وأنشأ يقول

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف فرقدت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى نومى وهو يقول الحق الرجل وبشره أن الله قد غفر له بشفاعتى فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده وقد نظم أبو الطيب أحمد بن عبد العزيز بن محمد المقدسى رحمه الله وسأله بعضهم الزيادة على هذين البيتين وتضمينهما فقال ورواها ابن عساكر رحمه الله عنه

أقول والدمع من عينى منسجم * لما رأيت جدار القبر يستلم
والناس يغشونه باك ومنقطع * من المهابة أوداع فملتزم
فما تمالكت أن ناديت من حرق * فى الصدر كادت لها الاحشاء تضطرم
(ياخير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم)
(نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم)

وفيه شمس التقى والدين قد غربت * من بعد ما أشرقت من نورها الظلم
حاشى لوجهك أن يبلى وقد هديت * فى الشرق والغرب من أنواره الامم
وأن تمسك أيدى الترب لامسة * وأنت بين السموات العلى علم
لقيت ربك والاسلام صارمه * ماض وقد كان بحر الكفر ملتطم
فقمت فيه مقام المرسلين الى * أن عز فهو على الأديان يحتكم
لئن رأيناه قبرا إن باطنه * لروضة من رياض الخلد تبتسم
طافت به من نواحيه ملائكة * تغشاه فى كل ما يوم وتزدحم
لو كنت أبصرته حيا لقلت له * لاتمش الا على خدى لك القدم
هدى به الله قوما قال قائلهم * ببطن يثرب لما ضمه الرجم
ان مات أحمد فالرحمن خالقه * حى ونعبده ماأورق السلم

قال الجوهرى رحمه الله الرجم بالتحريك القبر والله تعالى أعلم

﴿ الباب الرابع فى نصوص العلماء على استحباب زيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان أن ذلك مجمع عليه بين المسلمين ﴾

قال القاضى عياض رحمه الله وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة بين المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها * وقال القاضى أبو الطيب ويستحب أن يزور النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن يحج ويعتمر وقال المحاملى فى التجريد ويستحب للحاج اذا فرغ من مكة أن يزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال أبو عبد الله الحسين ابن الحسن الحليمى فى كتابه المسمى بالمنهاج فى شعب الايمان فى تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم فذكر جملة من ذلك ثم قال وهذا كان من الذين رزقوا مشاهدته وصحبته فأما اليوم فمن تعظيمه زيارته وقال الماوردى فى الحاوى أما زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فمأمور بها ومندوب اليها وذكر الماوردى فى الاحكام السلطانية بابا

فى الولاية على الحجيج قال ولاية الحج ضربان أحدهما على تسيير الحجيج والثانى على اقامة الحج فأما الأول فشرط المتولى أن يكون مطاعا ذا رأى وشجاعة وعليه فى هذه الولاية عشرة أشياء فذكرها ثم قال فاذا قضى الناس حجهم أمهلهم الايام التى جرت عادتهم بها فاذا رجعوا سار بهم على طريق مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجمع لهم بين حج بيت الله وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم رعاية لحرمته وقياما بحقوق طاعته وذلك وان لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الحجيج المستحسنة * وقال صاحب المهذب ويستحب زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال القاضى حسين اذا فرغ من الحج فالسنة أن يقف بالملتزم ويدعو ثم يشرب من ماء زمزم ثم يأتى المدينة ويزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال الرويانى يستحب اذا فرغ من حجه أن يزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم ولا حاجة الى تتبع كلام الاصحاب فى ذلك مع العلم باجماعهم واجماع سائر العلماء عليه والحنفية قالوا ان زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم من أفضل المندوبات والمستحبات بل تقرب من درجة الواجبات * ممن صرح بذلك منهم أبو منصور محمد ابن مكرم الكرمانى فى مناسكه وعبد الله بن محمود بن بلدحى فى شرح المختار وفى فتاوى أبى الليث السمرقندى فى باب أداء الحج روى الحسن بن زياد عن أبى حنيفة أنه قال الأحسن للحاج أن يبدأ بمكة فاذا قضى نسكه مر بالمدينة وان بدأ بها جاز فيأتى قريبا من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم بين القبر والقبلة فيستقبل القبلة ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ويترحم عليهما * وقال أبو العباس السروجى فى الغاية اذا انصرف الحاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا الى طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيارة قبره فانها من أنجح المساعى * وكذلك نص عليه الحنابلة أيضا قال أبو الخطاب محفوظ بن أحمد ابن الحسن الكلوذانى الحنبلى فى كتاب الهداية فى آخر باب صفة الحج واذا فرغ

من الحج استحب له زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه * وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن القاسم بن ادريس السامري فى كتاب المستوعب باب زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم واذا قدم مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم استحب له أن يغتسل لدخولها ثم يأتى مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ويقدم رجله اليمنى فى الدخول ثم يأتى حائط القبر فيقف ناحية ويجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره وذكر كيفية السلام والدعاء الى آخره ومنه اللهم انك قلت فى كتابك لنبيك عليه السلام «ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك» الآية وانى قد أتيت نبيك مستغفرا فأسئلك أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حياته اللهم انى أتوجه اليك بنبيك صلى الله عليه وسلم وذكر دعاء طويلا ثم قال واذا أراد الخروج عاد الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فودع * وانظر هذا المصنف من الحنابلة الذين انخصم متمذهب بمذهبهم كيف نص على التوجه بالنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك أبو منصور الكرمانى من الحنفية قال ان كان أحد أوصاك بتبليغ السلام تقول السلام عليك يارسول الله من فلان بن فلان يستشفع بك الى ربك بالرحمة والمغفرة فاشفع له وسنعقد لذلك بابا فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * وقال نجم الدين بن حمدان الحنبلى فى الرعاية الكبرى ويسن لمن فرغ نسكه زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه رضى الله عنهما وله ذلك بعد فراغ حجه وان شاء قبل فراغه وقد عقد ابن الجوزى فى كتابه المسمى (مثير العزم الساكن الى أشرف الاماكن) بابا فى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر فيه حديث ابن عمر وحديث أنس رضى الله عنهم * وقال الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسى فى كتابه المغنى وهو من أعظم كتب الحنابلة التى يعتمدون عليها (فصل يستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم) وذكر حديث ابن عمر من طريق الدارقطنى ومن طريق سعيد بن منصور عن حفص وحديث أبى هريرة

رضى الله عنه من طريق أحد ما من أحد يسلم على عند قبرى وكذلك نص عليه المالكية وقد تقدم حكاية القاضى عياض الاجماع وفى كتاب تهذيب الطالب لعبد الحق الصقلى عن الشيخ أبى عمران المالكى أن زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم واجبة قال عبد الحق يعنى من السنن الواجبة وقال عبد الحق أيضا فى هذا الكتاب رأيت فى بعض المسائل التى سئل عنها الشيخ أبو محمد بن أبى زيد قيل له فى رجل استؤجر بمال ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من تلك قال يرد من الاجرة بقدر مسافة الزيارة قال الحاكى عنه ذلك وقال غيره من شيوخنا عليه أن يرجع ثانيا حتى يزور قال عبد الحق أنظر ان استؤجر للحج لسنة بعينها فههنا يسقط من الاجرة ما يخص الزيارة وان استؤجر على حجة مضمونة فى ذمته فههنا يرجع ويزور وقد اتفق النقلان وعبد الحق هذا هو عبد الحق بن محمد بن هرون السهمى القروى صقلى تفقه بشيوخ القيروان وتفقه بالصقليين أيضا منهم أبو عمران وغيره وحج ولقى عبد الوهاب رحمه الله وحج ثانيا فلقى امام الحرمين فباحثه فى أشياء وسأله عن مسائل أجابه عنها وكان مليح التأليف ألف كتبا كثيرة فى مذهب مالك توفى بالاسكندرية سنة ست وستين وأربعمائة وهذا الفرع الذى ذكره فى الاستئجار على الزيارة فرع حسن والذى ذكره أصحابنا أن الاستئجار على الزيارة لا يصح لأنه عمل غير مضبوط ولا مقدر بشرع والجعالة ان وقعت على نفس الوقوف لم يصح أيضا لأن ذلك مما لا يصح فيه النيابة عن الغير وان وقعت الجعالة على الدعاء عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم كانت صحيحة لأن الدعاء مما يصح النيابة فيه والجهل بالدعاء لا يبطلها قال ذلك الماوردى فى الحاوى فى كتاب الحج وبقى قسم ثالث لم يذكره الماوردى وهو ابلاغ السلام ولا شك فى جواز الاجارة والجعالة عليه كما كان عمر بن عبد العزيز يفعل والظاهر أن مراد المالكية هذا والا فمجرد الوقوف من الاجير لا يحصل للمستأجر غرضا وسيأتى فى كتاب ابن المواز من

نص مالك مايقتضى انه يقف و يدعو عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم كما يفعل عند وداع البيت وفى كتاب النوادر لابن أبى زيد بعد أن حكى فى زيارة القبور من كلام ابن حبيب وعن المجموعة عن مالك ومن كلام ابن القرظى ثم قال عقيبه ويأتى قبور الشهداء بأحد ويسلم عليهم كما يسلم على قبره صلى الله عليه وسلم وعلى ضجيعيه وفيه أيضا من كلام ابن حبيب ويدل على التسليم على أهل القبور ماجاء من السنة فى التسليم على النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر مقبورين وقال أبو الوليد محمد بن رشد المالكى فى شرح العينية المسمى بكتاب البيان والتحصيل فى كتاب الجامع فى سلام الذى يمر بقبر النبي صلى الله عليه وسلم وسئل عن المار بقبر النبي صلى الله عليه وسلم أترى أن يسلم كلما مر قال نعم أرى ذلك عليه أن يسلم عليه اذا مر به وقد أكثر الناس من ذلك فأما اذا لم يمر به فلا أرى ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد * فقد أكثر الناس من هذا فاذا لم يمر عليه فهو فى سعة من ذلك قال وسئل عن الغريب يأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم فقال ماهذا من الأمر ولكن اذا أراد الخروج قال محمد بن رشد المعنى فى هذا أنه يلزمه أن يسلم عليه كلما مر به متى مامر وليس عليه أن يمر به ليسلم عليه الا للوداع عند الخروج ويكره له أن يكثر المرور به والسلام عليه والاتيان كل يوم اليه لئلا يجعل القبر بفعله ذلك كالمسجد الذى يؤتى كل يوم للصلاة فيه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك لقوله * اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد * اهـ كلام ابن رشد وانظر كيف جعل عليه أن يأتيه للوداع وبطريق الاولى السلام وانما كراهة الاكثار لماذكره وأصل الاستحباب متفق عليه وقد روى القاضى عياض فى الشفاء قال حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعرى وأبو القاسم

أحمد بن بقي وغير واحد فيما أجازوا به قالوا حدثنا أحمد بن عمر بن دلهات حدثنا علي بن فهر حدثنا محمد بن أحمد بن الفرج حدثنا عبد الله بن السائب حدثنا يعقوب ابن اسحق بن أبي اسرائيل حدثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله الآية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله تعالى قال الله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله الآية فانظر هذا الكلام من مالك رحمه الله وما اشتمل عليه من الزيارة والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وحسن الأدب معه وقال القاضي عياض قال ابن حبيب وتقول اذا دخلت مسجد الرسول بسم الله وسلام على رسول الله السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني عليه بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتدعو لهما ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء وقال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني من المدينة وفيما بين ذلك وقال محمد واذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء

وقال فيه أيضا لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج الى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الايام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الامة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر أو أراده * قال ابن القاسم ورأيت أهل المدينة اذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي * قال الباجي ففرق بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم انتهى ما حكاه القاضي عياض * وانظر قول الباجي ان الغرباء قصدوا لذلك ودلالته على أن الغرباء قصدوا المدينة من أجل القبر والتسليم والمتلخص من مذهب مالك رحمه الله أن الزيارة قربة ولكنه على عادته في سد الذرائع يكره منها الاكثار الذي قد يفضي الى محذور والمذاهب الثلاثة يقولون باستحبابها واستحباب الاكثار منها لان الاكثار من الخير خير وكلهم مجمعون على استحباب الزيارة وفي كتاب النوادر ويأتي قبور الشهداء بأحد ويسلم عليهم كما يسلم على قبره صلى الله عليه وسلم وعلى ضجيعيه * وقال أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن الحسن المالكي في مناسكه التي التزم فيها مشهور مذهب مالك (فصل) اذا كمل لك حجك وعمرتك على الوجه المشروع لم يبق بعد ذلك الا اتيان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء عنده والسلام على صاحبيه والوصول الى البقيع وزيارة ما فيه من قبور الصحابة والتابعين والصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فلا ينبغي للقادر على ذلك تركه * وقال

العبدي فى شرح الرسالة وأما النذر للمشى الى المسجد الحرام أو المشى الى مكة فله أصل فى الشرع وهو الحج والعمرة والى المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس وليس عندهما حج ولا عمرة فاذا نذر المشى الى هذه الثلاثة لزمه فالكعبة متفق عليها واختلف أصحابنا وغيرهم فى المسجدين الآخرين * قلت الخلاف الذى أشار اليه فى نذر اتيان المسجدين لا فى الزيارة * فهذه نقول المذاهب الاربعة وكذلك غيرهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم فقد صح من وجوه كثيرة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه كان يأتى القبر فيسلم على النبى صلى الله عليه وسلم * أنبأنا عبد المؤمن بن خلف أنبأنا ابراهيم بن أبى الخير وأبو عبد الله محمد بن المنى منفردين فى الرحلة الاولى قالا أنبأنا شهدة أنبأنا الحسن بن أحمد بن سليمان أنبأنا الحسن بن أحمد بن شاذان أنبأنا دعلج أنبأنا محمد بن على بن زيد الصائغ حدثنا سعيد بن منصور حدثنا مالك ابن أنس عن نافع عن ابن عمر أنه كان يأتى القبر فيسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر وقال دعلج هذا الحديث فى الموطا عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر وأنبأنابه اسحق بن النحاس من طريق آخر الى سعيد بن منصور حدثنا مالك به وروى عن ابن عون قال سأل رجل نافعا هل كان ابن عمر يسلم على القبر قال نعم لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة مرة كان يأتى القبر فيقوم عنده فيقول السلام على النبى السلام على أبى بكر السلام على أبى * وفى الموطا من رواية يحيى ابن يحيى الليثى عن ابن عمر كان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر وعن ابن القاسم والقعنبى ويدعو لأبى بكر وعمر * وقال فى رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته * قال فى المبسوط ويسلم على أبى بكر وعمر قال القاضى أبو الوليد الباجى وعندى انه يدعو للنبى صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولأبى بكر

وعملا فى حديث ابن عمر من الخلاف وقال عبد الرزاق فى مصنفه باب السلام على قبر النبى صلى الله عليه وسلم وروى فيه آثارا منها باسناد صحيح أن ابن عمر كان اذا قدم من سفر أتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يارسول الله السلام عليك يا أبابكر السلام عليك يا أبتاه وروى عبد الرزاق فى هذا الباب أيضا أن سعيد بن المسيب رأى قوما يسلمون على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما مكث نبى فى الارض أكثر من أربعين يوما ثم روى عبد الرزاق فيه قوله صلى الله عليه وسلم مررت بموسى ليلة اسرى بى وهو قائم يصلى فى قبره كأنه قصد بذلك رد ماروى عن ابن المسيب وهو رد صحيح وما ورد عن ابن المسيب ورد فيه حديث نذكره فى باب حياة الأنبياء وقد روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه انه لما حصر أشار بعض الصحابة عليه بأن يلحق بالشام فقال لن أفارق دار هجرتى ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وهو مخالف لما قال ابن المسيب رحمه الله وهو الصحيح وكذلك ماذكرناه عن ابن عمر ثم لو صح قول ابن المسيب لم يمنع من استحباب زيارة القبر لشرفه بحلوله فيه ونسبته اليه كما قال الشاعر

أمر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

وابن المسيب رحمه الله لم ينكر التسليم وانما ذكر عدم الفائدة وقال القاضى عياض فى الشفاء قال بعضهم رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وفى مسند الامام أبى حنيفة رحمه الله تصنيف أبى القاسم طلحة ابن محمد بن جعفر الشاهد العدل قال حدثنا محمد بن مخلد حدثنى محمد بن يعقوب ابن اسحق بن حكيم حدثنى أحمد بن الخليل حدثنى الحسن حدثنا ابن المبارك حدثنا وهب عن أبى حنيفة قال جاء أيوب السختيانى فدنا من قبر النبى صلى الله عليه وسلم

فاستدبر القبلة وأقبل بوجهه الى القبر فبكى بكاء غير متباك * وقال ابراهيم الحربي في مناسكه تولي ظهرك القبلة وتستقبل وسطه يعني القبر وتقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته * وقال ابن بطال في شرح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة * بعد ان حكى القولين المشهورين قال واستدل الثاني بقوله ارتعوا في رياض الجنة يعني حلق الذكر والعلم قال ويكون معناه التحريض على زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده انتهى * ولو استوعبنا الآثار وأقاويل العلماء في ذلك لخرجنا الى حد الطول والملل * فان قلت قد كره مالك رحمه الله أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم * قلت قال القاضي عياض قد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهية الاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد أطلق اسم الزيارة وقيل لأن ذلك لما قيل ان الزائر أفضل من المزور وهذا أيضا ليس بشئ اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث أهل الجنة لزيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه والأولى عندي أن منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد * فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبيه بفعل أولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله أعلم هذا كلام القاضي * وما اختاره يشكل عليه قوله من زار قبري فقد أضاف الزيارة الى القبر الا أن يكون هذا الحديث لم يبلغ مالكا فحينئذ يحسن ما قاله القاضي في الاعتذار عنه لا في اثبات هذا الحكم في نفس الامر ولعله يقول ان ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم لا محذور فيه والمحذور انما هو في قول غيره وقد قال عبد الحق الصقلي عن أبي عمران المالكي

أنه قال انما كره مالك أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لأن الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم واجبة * قال عبد الحق يعني من السنن الواجبة ينبغي أن لا تذكر الزيارة فيه كما تذكر في زيارة الاحياء الذين من شاء زارهم ومن شاء ترك والنبي صلى الله عليه وسلم أشرف وأعلى من أن يسمى أنه يزار وهذا الجواب بينه وبين جواب القاضي بون في شيئين أحدهما أنه يقتضي تأكد نسبة معنى الزيارة الى القبر وان تجنب لفظها وجواب القاضي يقتضي عدم نسبتها الى القبر والثاني أنه يقتضي التسوية في كراهية اللفظ بين قوله زرت القبر وقوله زرت النبي صلى الله عليه وسلم وجواب القاضي يقتضي الفرق بينهما وقد قال أبو الوليد محمد بن رشد في البيان والتحصيل قال مالك أكره أن يقال الزيارة لزيارة البيت الحرام وأكره ما يقول الناس زرت النبي وأعظم ذلك أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يزار قال محمد بن رشد ما كره مالك هذا والله أعلم الا من وجه أن كلمة أعلى من كلمة فلما كانت الزيارة تستعمل في الموتى وقد وقع فيها من الكراهة ما وقع كره أن يذكر مثل هذه العبارة في النبي صلى الله عليه وسلم كما كره أن يقال أيام التشريق واستحب أن يقال الأيام المعدودات كما قال الله تعالى وكما كره أن يقال العتمة ويقال العشاء الاخيرة ونحو هذا وكذلك طواف الزيارة كأنه يستحب أن يسمى بالافاضة كما قال الله تعالى في كتابه فاذا أفضتم من عرفات فاستحب أن يشتق له الاسم من هذا وقيل إنه كره لفظ الزيارة في الطواف بالبيت والمضي الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم لأن المضي الى قبره عليه السلام ليس ليصله بذلك ولا لينفعه به وكذلك الطواف بالبيت وانما يفعل تأدية لما يلزمه من فعله ورغبته في الثواب على ذلك من عند الله عز وجل وبالله التوفيق انتهى كلام ابن رشد * وقد وقع فيه كراهية مالك قول الناس زرت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرد ما قاله القاضي عياض فأما كراهية اسناد الزيارة الى القبر فيحتمل

أن يكون العلة فيه ما قاله القاضي عياض ويحتمل أن يكون العلة ما قاله أبو عمران وابن رشد وأما اضافة الزيارة الى النبي صلى الله عليه وسلم ان ثبت ذلك عن مالك فيتعين أن يكون العلة فيه ما قاله أبو عمران وابن رشد والمختار في تأويل كلام مالك رحمه الله ما قاله ابن رشد دون ما قاله القاضي عياض لأن ابن المواز حكى في كتابه في كتاب الحج في باب ما جاء في الوداع قال أشهب قيل لمالك فيمن قدم معتمرا ثم أراد أن يخرج الى رباط أعليه أن يودع قال هو من ذلك في سعة ثم قال انه لا يعجبني أن يقول أحد الوداع وليس هو من الصواب وانما هو الطواف قال الله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق قال وأكره أن يقال الزيارة وأكره ما يقول الناس زرت النبي صلى الله عليه وسلم وأعظم ذلك أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يزار وقال مالك في وداع البيت ما يعرف في كتاب الله ولا سنة رسوله عليه السلام الوداع انما هو الطواف بالبيت قلت لمالك أفترى هذا الطواف الذي يودع به أهو الالتزام قال بل الطواف وانما قال فيه عمر آخر النسك الطواف بالبيت * قيل لمالك فالذي يلتزم أترى له أن يتعلق باستار الكعبة عند الوداع قال لا ولكن يقف ويدعو قيل له وكذلك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم * انتهى ما اردت نقله من الموازية وهي من أجل كتب المالكية القديمة المعتمد عليها وسياقه حكاية أشهب عن مالك ترشد الى المراد وان مالكا رحمه الله انما كره اللفظ كما كرهه في طواف الوداع أفترى يتوهم مسلم أو عاقل أن مالكا كره طواف الوداع وانظر في آخر كلام مالك كيف اقتضى انه يقف ويدعو عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم كما يقف ويدعو عند الكعبة في طواف الوداع فأي دليل أبين من هذا في أن اتيان قبر النبي صلى الله عليه وسلم والوقوف والدعاء عنده من الامور المعلومة التي لم تزل قبل مالك وبعده ولو عرف مالك رحمه الله أن أحدا يتوهم عليه ذلك من هذا اللفظ لما نطق به ولا لوم على مالك فان لفظه لا ايهام فيه وانما يلتبس

على جاهل أو متجاهل * والمختار عندنا أنه لا يكره اطلاق هذا اللفظ أيضا لقوله من زار قبرى وقد تقدم الاعتذار عن مالك فيه ولا يرد عليه قوله زور والقبور لأن زيارة قبور غير الانبياء لينفعهم ويصلهم بها وبالدعاء والاستغفار ولهذا قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر المالكى المعروف بالشارمساحى فى كتاب (تلخيص محصول المدونه) من الاحكام الملقب بنظم الدر فى كتاب الجامع فى الباب الحادى عشر فى السفر ان قصد الانتفاع بالميت بدعة الا فى زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين وهذا الذى ذكره فى الانتفاع بقبور المرسلين صحيح وكذلك سائر الانبياء وأما ماذكره فى غير الانبياء فسنتكلم عليه ان شاء الله تعالى فى زيارة قبور غير الانبياء * وأما زيارة أهل الجنة لله تعالى فان صح الحديث فيها فلا ترد على شئ من المعانى التى قالها عبد الحق وابن رشد لأنها ليست واجبة فان الآخرة ليست دار تكليف وقد انقطع الالحاق بزيارة الموتى فى توهم الكراهة فقد بان لك بهذا وجه كلام مالك رحمه الله وانه على جواب القاضى عياض انما كره زيارة القبر لا زيارة النبى صلى الله عليه وسلم وعلى جواب غيره انما كره اللفظ فقط دون المعنى وكذلك أكثر ما حكيناه من كلام أصحابه أتوا فيه بمعنى الزيارة دون لفظها فمن نقل عن مالك ان الحضور عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم لزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم والسلام عليه والدعاء عنده ليس بقربة فقد كذب عليه ومن فهم عنه ذلك فقد اخطأ فى فهمه وضل وحاشى مالكا وسائر علماء الاسلام بل وعوامهم ممن وقر الايمان فى قلبه فان قلت فقد روى عبد الرزاق فى مصنفه بسنده الى الحسن بن الحسن بن على أنه رأى قوما عند القبر فنهاهم وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبرى عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا على حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغنى * قلت

قد روى القاضى اسمعيل فى كتاب فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بسنده الى على بن الحسين بن على * وهو زين العابدين * ان رجلا كان يأتى كل غداة فيزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويصلى عليه ويصنع من ذلك ما انتهره عليه على بن الحسين فقال له على بن الحسين ما يحملك على هذا قال احب التسليم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له على بن الحسين هل لك أن أحدثك حديثا عن أبى قال نعم فقال له على بن الحسين اخبرنى أبى عن جدى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قبرى عيدا ولا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على وسلموا حيثما كنتم فسيبلغنى سلامكم وصلاتكم * وهذا الاثر يبين لنا ان ذلك الرجل زاد فى الحد وخرج عن الامر المسنون فيكون كلام على بن الحسين موافقا لما تقدم عن مالك وليس انكارا لأصل الزيارة أو يكون اراد تعليمه ان السلام يبلغ من الغيبة لما رآه يتكلف الاكثار من الحضور وعلى ذلك يحمل ما ورد عن حسن بن حسن وغيره من مالك ولم يذكر هذا الاثر ليحتج به بل للتأنيس بأمر يحتمل فى ذلك الاثر المطلق وإبداء وجه من وجوه التأويل وكيف يتخيل فى أحد من السلف منعهم من زيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى وسنذكر ذلك وما ورد من الاحاديث والآثار فى زيارتهم فالنبى صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء الذين ورد فيهم أنهم احياء كيف يقال فيهم هذه المقالة وأما قوله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قبرى عيدا فرواه أبو داود السجستانى وفى سنده عبد الله بن نافع الصائغ روى له الاربعة ومسلم * قال البخارى يعرف حفظه وينكر وقال أحمد بن حنبل لم يكن صاحب حديث كان ضعيفا فيه ولم يكن فى الحديث بذاك وقال أبو حاتم الرازى ليس بالحافظ هو لين تعرف حفظه وتنكر ووثقه يحيى بن معين وقال أبو زرعة لا بأس به وقال ابن عدى روى عن مالك غرائب وهو فى رواياته مستقيم الحديث فان لم يثبت هذا الحديث فلا كلام وان ثبت وهو الأقرب فقال الشيخ

زكى الدين المنذرى يحتمل أن يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وان لا يهمل حتى لا يزار الا فى بعض الاوقات كالعيد الذى لا يأتى فى العام الامرتين قال ويؤيد هذا التأويل ما جاء فى الحديث نفسه لا تجعلوا بيوتكم قبورا أى لا تتركوا الصلاة فى بيوتكم حتى تجعلوها كالقبور التى لا يصلى فيها (قلت) ويحتمل أن يكون المراد لا تتخذوا له وقتا مخصوصا لا تكون الزيارة الا فيه كما ترى كثيرا من المشاهد لزيارتها يوم معين كالعيد وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم ليس لها يوم بعينه بل أى يوم كان ويحتمل أيضا أن يراد أن يجعل كالعيد فى العكوف عليه واظهار الزينة والاجتماع وغير ذلك مما يعمل فى الاعياد بل لا يؤتى الا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف عنه والله أعلم بمراد نبيه صلى الله عليه وسلم

﴿ الباب الخامس فى تقرير كون الزيارة قربة ﴾

وذلك بالكتاب والسنة والاجماع والقياس * اما الكتاب فقوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما * دلت الآية على الحث على المجىء الى الرسول صلى الله عليه وسلم والاستغفار عنده واستغفاره لهم وذلك وان كان ورد فى حال الحياة فهى رتبة له صلى الله عليه وسلم لا تنقطع بموته تعظيما له (فان قلت) المجىء اليه فى حال الحياة ليستغفر لهم وبعد الموت ليس كذلك * (قلت) * دلت الآية على تعليق وجدانهم الله تعالى توابا رحيما بثلاثة أمور المجىء واستغفارهم واستغفار الرسول فأما استغفار الرسول فانه حاصل لجميع المؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر للمؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات * ولهذا قال عاصم بن سليمان وهو تابعى لعبد الله بن سرجس الصحابى رضى الله عنه أستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم ولك ثم تلا هذه الآية رواه مسلم فقد ثبت أحد الأمور

الثلاثة وهو استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لكل مؤمن ومؤمنة فاذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته وليس فى الآية ما يعين أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم بل هى محتملة والمعنى يقتضى بالنسبة الى استغفار الرسول انه سواء أتقدم أم تأخر فان المقصود ادخالهم لمجيئهم واستغفارهم تحت من يشمله استغفار النبى صلى الله عليه وسلم وانما يحتاج الى المعنى المذكور اذا جعلنا واستغفر لهم الرسول معطوفا على فاستغفروا الله أما ان جعلناه معطوفا على جاؤك لم يحتج اليه هذا كله ان سلمنا أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يستغفر بعد الموت ونحن لا نسلم ذلك لما سنذكره من حياته صلى الله عليه وسلم واستغفاره لأمته بعد موته واذا أنكر استغفاره وقد علم كمال رحمته وشفقته على أمته فيعلم انه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفرا ربه تعالى فقد ثبت على كل تقدير أن الامور الثلاثة المذكورة فى الآية حاصلة لمن يجىء اليه صلى الله عليه وسلم مستغفرا فى حياته وبعد مماته والآية وان وردت فى أقوام معينين فى حالة الحياة فتعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف فى الحياة وبعد الموت ولذلك فهم العلماء من الآية العموم فى الحالتين واستحبوا لمن أتى الى قبره صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآية ويستغفر الله تعالى وحكاية العتبى فى ذلك مشهورة وقد حكاها المصنفون فى المناسك من جميع المذاهب والمؤرخون وكلهم استحسنوها ورأوها من آداب الزائر وما ينبغى له أن يفعله وقد ذكرناها فى آخر الباب الثالث * وأما السنة * فما ذكرناه فى الباب الاول والثانى من الاحاديث وهى أدلة على زيارة قبره صلى الله عليه وسلم بخصوصه وفى السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور وقال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها * وقال صلى الله عليه وسلم زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة وقال الحافظ أبو موسى الاصبهانى فى كتابه (آداب زيارة القبور) ورد الامر بزيارة القبور من حديث

بريدة وأنس وعلى وابن عباس وابن مسعود وأبى هريرة وعائشة وأبى بن كعب وأبى ذر رضى الله عنهم انتهى كلام أبى موسى الاصبهانى * فقبر النبى صلى الله عليه وسلم سيد القبور داخل فى عموم القبور المأمور بزيارتها * وأما الاجماع * فقد حكاه القاضى عياض على ماسبق فى الباب الرابع واعلم أن العلماء مجمعون على انه يستحب للرجال زيارة القبور بل قال بعض الظاهرية بوجوبه للحديث المذكور وممن حكى اجماع المسلمين على الاستحباب أبو زكريا النووى وقد رأيت فى مصنف ابن أبى شيبة عن الشعبى قال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور لزرت قبر ابنتى وهذا ان صح يحمل على أن الشعبى لم يبلغه الناسخ مع أن الشعبى لم يصرح بقوله ومثل هذا لا يقدح وكذلك رأيت فيه عن ابراهيم قال كانوا يكرهون زيارة القبور وهذا لم يثبت عندنا ولم يبين ابراهيم الكراهة ممن ولا كيف هى فقد تكون محمولة على نوع من الزيارة مكروهة ولم أجد شيأ يمكن أن يتعلق به الخصم غير هذين الأثرين ومثلهما لا يعارض الاحاديث الصريحة الصحيحة والسنن المستفيضة المعلومة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم بل لو صح عن الشعبى والنخعى التصريح بالكراهة لكان ذلك من الاقوال الشاذة التى لا يجوز اتباعها والتعويل عليها فانا نقطع ونتحقق من الشريعة بجواز زيارة القبور للرجال وقبر النبى صلى الله عليه وسلم داخل فى هذا العموم ولكن مقصودنا اثبات الاستحباب له بخصوصه للأدلة الخاصة بخلاف غيره ممن لا يستحب زيارة قبره لخصوصه بل لعموم زيارة القبور وبين المعنيين فرق كما لا يخفى فزيارته صلى الله عليه وسلم مطلوبة بالعموم والخصوص بل أقول انه لو ثبت خلاف فى زيارة قبر غير النبى صلى الله عليه وسلم لم يلزم من ذلك اثبات خلاف فى زيارته لأن زيارة القبر تعظيم وتعظيم النبى صلى الله عليه وسلم واجب وأما غيره فليس كذلك ولهذا المعنى أقول والله أعلم إنه لا فرق فى زيارته صلى الله عليه وسلم بين الرجال

والنساء لذلك ولعدم المحذور في خروج النساء اليه وأما سائر القبور فحل الاجماع على استحباب زيارتها للرجال وأما النساء ففي زيارتهن للقبور أربعة أوجه في مذهبنا أشهرها أنها مكروهة جزم به الشيخ أبو حامد والمحاملي وابن الصباغ والجرجاني ونصر المقدسي وابن أبي عصرون وغيرهم وقال الرافعي ان الأكثرين لم يذكروا سواه وقال النووي قطع به الجمهور وصرح بأنها كراهة تنزيه والثاني أنها لا تجوز قاله صاحب المهذب وصاحب البيان والثالث لا تستحب ولا تكره بل تباح قاله الروياني والرابع ان كانت لتجديد الحزن والبكاء بالتعديد والنوح على ماجرت به عادتهن فهو حرام وعليه يحمل الخبر وان كانت للاعتبار بغير تعديد ولا نياحة كره الا أن تكون عجوزا لا تشتهى فلا يكره كحضور الجماعة في المساجد قاله الشاشي وفرق بين الرجل والمرأة بأن الرجل معه من الضبط والقوة بحيث لا يبكي ولا يجزع بخلاف المرأة واحتج المانعون بقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور * رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح ورواه ابن ماجه من حديث حسان بن ثابت واحتج المجوزون بأحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وأجاب المانعون بأن هذا خطاب الذكور ومنها قوله صلى الله عليه وسلم للمرأة التي رآها عند قبر تبكي اتقي الله واصبري ولم ينهها عن الزيارة وهو استدلال صحيح ومنها قول عائشة كيف أقول يارسول الله قال قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين * وسنذكره في خروج النبي صلى الله عليه وسلم للبقيع وهو استدلال صحيح وقد خرجنا عن المقصود فنرجع الى غرضنا وهو الاستدلال على أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم قربة ومما يدل على ذلك القياس وذلك على زيارة النبي صلى الله عليه وسلم البقيع وشهداء أحد وسنبين أن ذلك غير خاص به صلى الله عليه وسلم بل مستحب لغيره واذا استحب زيارة قبر غيره صلى الله عليه وسلم فقبره أولى لماله من

الحق ووجوب التعظيم * فان قلت الفرق ان غيره يزار للاستغفار له لاحتياجه الى ذلك كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في زيارته أهل البقيع والنبي صلى الله عليه وسلم مستغن عن ذلك قلت زيارته صلى الله عليه وسلم انما هي لتعظيمه والتبرك به ولتنالنا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه كما أنا مأمورون بالصلاة عليه والتسليم وسؤال الوسيلة وغير ذلك مما يعلم أنه حاصل له صلى الله عليه وسلم بغير سؤالنا ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أرشدنا الى ذلك لنكون بدعائنا له متعرضين للرحمة التي رتبها الله تعالى على ذلك * فان قلت الفرق أيضا أن غيره لا يخشى فيه محذور وقبره صلى الله عليه وسلم يخشى من الافراط في تعظيمه أن يعبد * قلت * هذا كلام تقشعر منه الجلود ولولا خشية اغترار الجهال به لما ذكرته فان فيه ترك ما دلت عليه الادلة الشرعية بالآراء الفاسدة الخيالية وكيف نقدم على تخصيص قوله صلى الله عليه وسلم زوروا القبور وعلى ترك قوله من زار قبري وجبت له شفاعتي وعلى مخالفة اجماع السلف والخلف بمثل هذا الخيال الذي لم يشهد به كتاب ولا سنة وهذا بخلاف النهي عن اتخاذه مسجدا وكون الصحابة احترزوا عن ذلك للمعنى المذكور لان ذلك قد ورد النهي فيه وليس لنا نحن أن نشرع أحكاما من قبلنا «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله» فمن منع زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله وقوله مردود عليه ولو فتحنا باب هذا الخيال الفاسد لتركنا كثيرا من السنن بل ومن الواجبات * والقرآن كله والاجماع المعلوم من الدين بالضرورة وسير الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين والسلف الصالحين على وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والمبالغة في ذلك ومن تأمل القرآن العزيز وما تضمنه من التصريح والايماء الى وجوب المبالغة في تعظيمه وتوقيره والأدب معه وما كانت الصحابة يعاملونه به من ذلك امتلأ قلبه ايمانا واحتقر هذا الخيال الفاسد واستنكف

أن يصغى اليه والله تعالى هو الحافظ لدينه ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلا هادى له وعلماء المسلمين مكلفون بأن يبينوا الناس ما يجب من الأدب والتعظيم والوقوف عند الحد الذى لا يجوز مجاوزته بالادلة الشرعية وبذلك يحصل الامن من عبادة غير الله تعالى ومن أراد الله ضلاله من أفراد الجهال فلن يستطيع أحد هدايته فمن ترك شيأ من التعظيم المشروع لمنصب النبوة زاعما بذلك الأدب مع الربوبية فقد كذب على الله تعالى وضيع ما أمر به فى حق رسله كما أن من أفرط وجاوز الحد الى جانب الربوبية فقد كذب على رسل الله وضيع ما أمروا به فى حق ربهم سبحانه وتعالى والعدل حفظ ما أمر الله به فى الجانبين وليس فى الزيارة المشروعة من التعظيم ما يفضى الى محذور ❁ واعلم أن زيارة القبور على أقسام * القسم الاول أن تكون لمجرد تذكر الموت والآخرة وهذا يكفى فيه رؤية القبور من غير معرفة بأصحابها ولا قصد أمر آخر من الاستغفار لهم ولا من التبرك بهم ولا من أداء حقوقهم وهو مستحب لقوله صلى الله عليه وسلم زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة وذلك لان الانسان اذا شاهد القبر تذكر الموت وما بعده وفى ذلك عظة واعتبار وهذا المعنى ثابت فى جميع القبور ودلالة القبور على ذلك متساوية كما أن المساجد غير المساجد الثلاثة متساوية لا يتعين شئ منها بالتعيين بالنسبة الى هذا الغرض * القسم الثانى زيارتها للدعاء لأهلها كما ثبت من زيارة النبى صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع وهذا مستحب فى حق كل ميت من المسلمين * القسم الثالث للتبرك بأهلها اذا كانوا من أهل الصلاح والخير وقد قال أبو محمد الشارمساحى المالكى إن قصد الانتفاع بالميت بدعة الا فى زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين وهذا الذى استثناه من قبور الانبياء والمرسلين صحيح وأما حكمه فى غيرهم بالبدعة ففيه نظر ولا ضرورة بنا هنا الى تحقيق الكلام فيه لان مقصودنا أن زيارة قبر النبى صلى الله

عليه وسلم وغيره من الانبياء والمرسلين للتبرك بهم مشروعة وقد صرح به * القسم الرابع لاداء حقهم فان من كان له حق على الشخص فينبغى له بره فى حياته وبعد موته والزيارة من جملة البر لما فيها من الاكرام ويشبه أن تكون زيارة النبى صلى الله عليه وسلم قبر أمه من هذا القبيل كما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فانها تذكركم الموت * رواه مسلم ويدخل فى هذا المعنى الزيارة رحمة للميت ورقة له وتأنيسا فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال آنس ما يكون الميت فى قبره اذا زاره من كان يحبه فى دار الدنيا * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام * ذكره جماعة وقال القرطبى فى التذكرة ان عبد الحق صححه ورويناه فى الخلعيات من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أيضا * والآثار فى انتفاع الموتى بزيارة الاحياء وما يصل اليهم منهم وادراكهم لذلك لا تحصر * اذا عرف هذا فنقول زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ثبت فيها هذه المعانى الاربعة أما الاول فظاهر وأما الثانى فلأنا مأمورون بالدعاء له صلى الله عليه وسلم وان كان هو غنيا بفضل الله عن دعائنا وأما الثالث والرابع فلانه لا أحد من الخلق أعظم بركة منه ولا أوجب حقا علينا منه فالمعنى الذى فى زيارة قبره لا يوجد فى غيره ولا يقوم غيره مقامه كما أن المسجد الحرام لا يقوم غيره مقامه ومن ههنا شرع قصده بخصوصه ويتعين بخلاف غيره من القبور وهذا لو لم يرد فى زيارته دليل خاص فكيف وقد ورد فى زيارته بخصوصه ما سبق من الأحاديث وغيره لم يرد فيه الأدلة العامة فزيارة قبره صلى الله عليه وسلم مستحبة بعينها لما ثبت فيها من الادلة الخاصة ولما فيها من المعانى العامة التى لا تجتمع فى غيره وأما زيارة قبر غيره فهى مستحبة بالاطلاق وقد

تقدمت النصوص الدالة على استحباب زيارة القبور وحكاية الاجماع على ذلك وأن من الناس من قال بوجوبها * وفى كتاب النوادر لابن أبى زيد من كتاب ابن حبيب ولا بأس بزيارة القبور والجلوس اليها والسلام عليها عند المرور بها وقد فعل ذلك النبى صلى الله عليه وسلم وقد قدم ابن عمر من سفر وقد مات أخوه عاصم فذهب الى قبره فدعا له واستغفر * وفى غير كتاب ابن حبيب ورثاه فقال

فان تك أحزان وفائض دمعة * جرين دما من داخل الجوف منقعا
تجرعتها من عاصم واحتسبتها * فأعظم منها ما احتسى وتجرعا
فليت المنايا كن خلفن عاصما * فعشنا جميعا أو ذهبن بنا معا
دفعنا بك الأيام حتى اذا أتت * تريدك لم تستطع لها عنك مدفعا

قال ابن حبيب وفعلته عائشة رضى الله عنها لما مات أخوها عبد الرحمن وهى غائبة فلما قدمت أتت قبره فدعت له واستغفرت * قال وقد خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى البقيع يستغفر لهم * وكان صلى الله عليه وسلم اذا سلم على أهل القبور يقول السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم ارزقنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم * والقول فى ذلك واسع بقدر ما يحضره منه ويدل على التسليم على أهل القبور ما جاء من السنة فى التسليم على النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر مقبورين وقد أتى النبى صلى الله عليه وسلم قبور شهداء أحد فسلم عليهم ودعا لهم * ومن المجموعة عن مالك أنه سئل عن زيارة القبور فقال قد كان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عنه ثم أذن فيه فلو فعله انسان ولم يقل الا خيرا لم أر به بأسا وليس من عمل الناس وروى عنه أنه كان يضعف زيارتها قال ابن القرطى وانما أذن فى ذلك ليعتبر بها الا القادم من سفر وقد مات وليه فى غيبته فليدعو له وليترحم عليه ويؤتى قبور الشهداء بأحد

ويسلم عليهم كما يسلم على قبره صلى الله عليه وسلم وعلى ضجيعيه انتهى كلام ابن أبي زيد في النوادر * وما وقع في كلام ابن حبيب من قوله ولا بأس قد يوهم أنه مباح ولكن ذلك لا ينافي كونه سنة ولعل زيارة القبور عنده من قبيل عيادة المرضى ونحوها من القربات التي لم توضع بأصلها عبادة على ما سيأتي عند الكلام في نذر الزيارة واذا أريد هذا المعنى فلا يبعد الموافقة عليه فان زيارة الموتى كزيارة الاحياء وزيارة الاحياء لا يقول بانها وضعت عبادة بل تفعل على قصد التقرب تارة فيثاب عليها وعلى غير قصد التقرب تارة فلا يثاب وتكون اما مباحة أو غير مباحة بحسب قصده وهكذا زيارة القبور وجهة القربة فيها على أنواع منها الاعتبار وهو مستحب لكل أحد ومنها الترحم والدعاء وهو مؤكد لمن مات قريبه في غيبته كما فعل ابن عمر حين قدم بعد موت أخيه عاصم وكان ابن عمر اذا قدم وقد مات بعض ولده قال دلوني على قبره فيدلونه عليه فينطلق فيقوم عليه ويدعو له * رواه ابن أبي شيبة وكما فعلته عائشة حين مات أخوها عبد الرحمن وكان قد مات بالحبشي والحبشي على اثني عشر ميلا من مكة هكذا في كتاب ابن أبي شيبة عن ابن جريج فحمل حتى دفن بمكة فقدمت عائشة من المدينة فأتت قبره فوقفت عليه فتمثلت بهذين البيتين

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

أما والله لو شهدتك ما زرتك ولو شهدتك ما دفنتك الا في مكانك الذي مت فيه * وروى ابن سعد في الطبقات بسنده الى ابن أبي مليكة قال رحت من منزلي وأنا أريد منزل عائشة فتلقتني على حمار فسألت بعض من كان معها قال زارت قبر أخيها عبد الرحمن * وفي السير الكبير لمحمد بن الحسن تصنيف شمس الائمة السرخسي الحنفي أنها جاءت من المدينة حاجة أو معتمرة فزارت قبره وقال في قولها لو شهدتك ما زرتك انما قالت ذلك لاظهار التأسف عليه حين مات في الغربة ولاظهار عذرها

فى زيارته فان ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور يمنع النساء من زيارة القبور قال والحديث وان كان متأولا فالحشمة ظاهرة فالت ما قالت انتهى * ومقصودنا ان زيارة ماعدا قبر النبى صلى الله عليه وسلم مما يثاب الشخص على فعله وقد يتأكد بحسب بعض الاحوال فزيارة القريب آكد من غيره ويطلب لمعنى فيه مختص به وهو القرابة وزيارة غير القريب أيضا مستحبة للاعتبار والترحم والدعاء وذلك عام فى كل المسلمين وسيأتى من نصوص المالكية فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم جملة أخرى فى الباب السابع * واذا زار قبرا معينا يكون مؤديا للسنة بما تضمنه من زيارة جنس القبور ولا يقول ان زيارة ذلك القبر المعين بخصوصه سنة حتى يرد فيها فضل خاص أو نعرف صلاحه فان زيارة جميع الصالحين قربة كما يقولون ان الصلاة فى المسجد مطلوبة ولا يقول ان الصلاة فى مسجد بعينه مطلوبة الا فى الثلاثة التى شهد الشرع بها ويقوم ماهو الافضل منها كالمسجد الحرام عن غيره واذا ظهر لك تنظير زيارة القبور باتيان المساجد فتى كان المقصود بالزيارة تذكر الموت لا يشرع فيها قصد قبر بعينه وان صح عن أحد من العلماء أنه يمنع من شد الرحال الى زيارة القبور كما نقل عن ابن عقيل وكما وقع فى شرح مسلم فليحمل على هذا القسم وكذلك اذا كان المقصود التبرك ممن لا يقطع له بذلك وان كنا نستحب زيارة قبور الصالحين من حيث الجملة ونرجو البركة بزيارتها أكثر مما نستحب زيارة مطلق القبور وأما من يقطع ببركته كقبور الانبياء ومن شهد الشرع له بالجنة كأبى بكر وعمر فيستحب قصده ثم هم فى ذلك على مراتب أعظمهم النبى صلى الله عليه وسلم كما أن المساجد المشهود لها بالفضل على مراتب أعظمها المسجد الحرام ولا تشد الرحال فى هذا القسم الى قبر أحد غير الانبياء واذا كان المقصود الدعاء من غير حق خاص لذلك الميت فلا يتعين أيضا نعم لو نذره لميت بعينه ممن يجوز الدعاء له وجب الوفاء بالدعاء لتعلق حقه به ولا يقوم غيره مقامه كما لو نذر الصدقة على

وقبر بعينه وفى وجوب الوفاء بالزيارة مع الدعاء كما نذره نظر والاقرب وجوب الوفاء
لان الدعاء عند القبور مقصود كما فى الدعاء لاهل البقيع وحينئذ يجوز شد الرحل
لاداء هذا الواجب بعد لزومه بالنذر ولا يستحب شد الرحل لهذا الغرض قبل النذر
فان الدعاء لذلك الميت بعينه عند قبره لم يطلبه الشارع ولا يعلو به حق الميت وأما
الزيارة لاداء الحق كزيارة قبر الوالدين فيظهر أن قصد ذلك بعينه مشروع ويجوز
بل يستحب شد الرحال اليه تأدية لهذا الحق وأعظم الحقوق حق النبي صلى الله
عليه وسلم على كل مسلم فيستحب شد الرحال اليه لذلك * هذا ولم يرد فيه دليل خاص
فكيف وقد قام الاجماع على فعله خلفا عن سلف فان قلت ما قولكم فيمن نذر زيارة
قبر النبي صلى الله عليه وسلم هل ينعقد نذره ويلزمه ذلك أم لا فان مقتضى قولكم
باستحبابها ان يلزم بالنذر * قلت نعم نقول بانعقاد نذره ولزوم الزيارة به وبه صرح
القاضى ابن كج من أصحابنا ولم نر لغيره من الاصحاب خلافه وقد قدمنا فى الباب
الرابع عن العبدى المالكى لزومه على أنه لا يلزم أن كل مستحب أو قربة يلزم بالنذر
فان القربات نوعان أحدهما قربة لم توضع لتكون عبادة وانما هى أعمال وأخلاق
مستحسنة رغب الشارع فيها العموم فائدتها وقد يبتغى فيها وجه الله تعالى فينال
الثواب كعيادة المرضى وزيارة القادمين وافشاء السلام وما أشبه ذلك فهذا النوع
فى لزومه بالنذر وجهان أصحهما اللزوم لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر أن يطيع
الله فليطعه * ومن هذا النوع تشييع الجنائز وتشميت العاطس والنوع الثانى
فى العبادات المقصودة وهى التى وضعت للتقرب بها وعرف من الشرع الاهتمام
بتكليف الخلق بايقاعها عبادة كالصلاة والصوم والصدقة والحج فهذا النوع يلزم
بالنذر بالاجماع الا فيما يستثنى ومنهم من يعبر عن النوع الاول بما لم يوجبه الشرع
ابتداء وعن الثانى بما أوجبه وأدرجوا الاعتكاف فى النوع الثانى وان كان لم يجب
ابتداء وقالوا الاعتكاف لبث فى مكان مخصوص ومن جنسه ما هو واجب شرعا

وهو الوقوف بعرفات وجعلوا من النوع الاول تجديد الوضوء فانه ليس فى الشرع وضوء واجب بغير حدث وليس الوضوء مقصود النفسه بل للصلاة والأصح لزوم تجديده بالنذر والمستثنى مما أجمع عليه صور منها ما اذا أفرد صفة الواجب بالالزام كتطويل القراءة واقامة الفرائض فى جماعة ففى لزومه بالنذر وجهان أصحهما اللزوم ومنها ما فيه ابطال رخصة شرعية كنذر صوم رمضان فى السفر ففى لزومه وجهان أصحهما المنع وكذلك نذر المريض القيام بتكلف المشقة فى الصلاة ونذر صوم بشرط أن لا يفطر فى المرض فلا يلزم بالشرط على الاصح وأجرى الرافعى الوجهين فيمن نذر القيام فى النوافل أو استيعاب الرأس بالمسح أو التثليث فى الوضوء أو أن يسجد للتلاوة والشكر ونحو ذلك وجعل نذر فعل السنة الراتبة كالوتر وسنة الفجر على الوجهين فيما اذا أفردت الصفة بالنذر والذى يتجه التسوية بين هذا وبين استيعاب الرأس بالمسح ونحوه * واذا نذر التيمم لا ينعقد نذره على المذهب لأنه انما يؤتى به عند الضرورة * ولو نذر الصلاة فى موضع لزمه الصلاة قطعا * وهل يتعين ذلك الموضع * ان كان المسجد الحرام تعين وان كان مسجد المدينة تعين على الاصح هو او المسجد الحرام وان كان المسجد الأقصى تعين على الأصح هو أو المسجدان وان كان ما سواها من المساجد والمواضع لم يتعين * ولو نذر اتيان المسجد الحرام لزمه الا على وجه ضعيف * ولو نذر إتيان مسجد المدينة أو المسجد الأقصى ففيه قولان للشافعى أظهرهما عند الشافعية عدم اللزوم * قال الشافعى (فى الام) لان البر باتيان بيت الله فرض والبر باتيان هذين نافلة واستدلوا لهذا القول بما روى أبو داود فى سننه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رجلا قام يوم الفتح فقال يارسول الله انى نذرت لله إن فتح الله عليك مكة أن أصلى فى بيت المقدس ركعتين قال صل ههنا ثم أعاد قال صل ههنا ثم أعاد عليه فقال صل ههنا

ثم أعاد عليه فقال شأنك اذا * وعن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن رجال
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخبر زاد فقال النبي صلى الله عليه
وسلم والذى بعث محمدا بالحق لو صليت ههنا لاجزأ عن صلاتك فى بيت المقدس *
واعلم أن الصلاة فى مكة مجزى عن الصلاة فى بيت المقدس كما قدمناه بلا خلاف
وان قلنا بتعينه فقد يقال ان الحديث محمول على ذلك وانه لا دلالة له فيه على
المدعى من عدم لزوم الاتيان ووجه الدلالة ان الصلاة فى مكة تقوم مقام الصلاة
فى بيت المقدس لانهما جنس واحد والصلاة بمكة أفضل فالتضعيف الذى ألزمه
فى بيت المقدس يحصل له فى مكة وزيادة وأما المشى فأمر زائد على الصلاة وهو
عبادة أخرى فلو لزم لما قامت الصلاة بمكة مقامه فمن لزمه الصلاة ببيت المقدس من
غير مشى بأن كان وقت النذر ببيت المقدس فلا شك ان الصلاة بمكة تجزيه ومن
نذر المشى الى بيت المقدس والصلاة فيه فهما عبادتان فان قلنا بعدم لزوم إتيانه لم يبق
عليه الا الصلاة فيجزيه الصلاة بمكة وان قلنا يجب اتيانه فيظهر أن الصلاة لا تقوم
مقامه ولو مشى الى مكة من مسافة مثل المسافة التى بينه وبين بيت المقدس أجزأه
وصيغة الحديث كما رويناه لم يصرح فيه باتيان بيت المقدس فيحتمل أن يقال
انما التزم الصلاة فلذلك قامت الصلاة فى مكة مقامها ويحتمل أن يقال ان الناذر
لما لم يكن فى بيت المقدس فهو بنذره الصلاة ملتزم إتيانه بناء على أن ما لا يتم
الواجب الا به فهو واجب وحينئذ يكون الاتيان ملتزما كما لو صرح به فلما أفتاه
النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة فى مكة دل على عدم لزوم الاتيان بالنذر كما استدل
به الشافعى والاصحاب وقد أطلنا فى هذا الفصل أكثر مما يحتمله هذا المكان
وظهر لك منه أن القربات منها ما يلزم بالنذر بلا خلاف ومنها ما يلزم على الصحيح
ومنها ما لا يلزم على الصحيح وظهر لك مأخذ كل قسم منها والصحيح عندنا أنه
لا يشترط فى المنذور أن يكون جنسه واجبا وهو مذهب مالك والوجه الثانى

لأصحابنا اشتراطه وينقل عن الحنفية اذا عرفت هذا فزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم قربة لحث الشرع عليها وترغيبه فيها وقد قدمنا أن فيها جهتين جهة عموم وجهة خصوص فأما من جهة الخصوص وكون الادلة الخاصة وردت فيها بعينها فيظهر القطع بلزومها بالنذر الحاقا لها بالعبادات المقصودة التي لا يؤتى بها الا على وجه العبادة كالصلاة والصدقة والصوم والاعتكاف ولهذا المعنى والله أعلم قال القاضي ابن كج رحمه الله اذا نذر أن يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم فعندي أنه يلزمه الوفاء وجها واحدا ولو نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان قلت وما قاله من القطع بلزوم الوفاء بها هو الحق لما قدمناه من الأدلة الخاصة عليها وتردده في قبر غيره يحتمل أن يكون محله عند الاطلاق وسواء عين أم لا تشبيها لذلك بزيارة القادمين وإفشاء السلام ونحو ذلك مما لم يوضع قربة مقصودة وان كان قربة وعلى هذا يكون الاصح لزومه بالنذر كما في تلك المسائل ويحتمل أن يكون محله عند التعيين فان زيارة قبر معين من غير الانبياء لا قربة فيها بخصوصها كما سبق عند الكلام في أغراض الزيارة وأما اذا نظرنا الى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من جهة العموم خاصة واجتماع المعاني التي تقصد بالزيارة فيه فيظهر أن يقال أيضا إنه يلزم بالنذر قولا واحدا ويحتمل على بعد أن يقال إنه كالو نذر زيارة القادمين وافشاء السلام فيجري في لزومها بالنذر ذلك الخلاف مع كونها قربة في نفسها قبل النذر وبعده وقد بان لك بهذا أنها تلزم بالنذر وأنه على تقدير أن يقال لا يلزم بالنذر لا يخرجها ذلك عن كونها قربة ومن يشترط في المنذور أن يكون مما وجب جنسه بالشرع ويقول ان الاعتكاف كذلك لوجوب الوقوف فقد يقول ان زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وجب جنسها وهي الهجرة اليه في حياته فقد ظهر بهذا أن كل ما يلزم بالنذر قربة وليس كل قربة يلزم وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من القرب التي تلزم بالنذر ولو ثبت عن أحد من العلماء أنه يقول لا تلزم

بالنذر لم يكن فى ذلك ما يقتضى انه يقول انها ليست بقربة وقد وقفت على كلام لبعض المتعصبين للباطل قال فيه ان القاضى اسمعيل قال فى المبسوط انه روى عن مالك أنه سئل عمن نذر أن يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان كان أراد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليأته وليصل فيه وان كان انما أراد القبر فلا يفعل للحديث الذى جاء لا تعمل المطى الا الى ثلاثة مساجد وهذه الرواية ان صحت عن مالك يجب تأويلها على وجه لا يمنع كون الزيارة قربة جمعا بينها وبين ماثبت عنه وعن جميع العلماء وجميع المسلمين وهذه الرواية تحتمل وجوها * أحدها ان يكون من القرب التى لا تلزم بالنذر كما أن اتيان مسجد قباء لمن كان فى المدينة أو قريبا منها قربة عند جميع العلماء ولا يلزم بالنذر عند جمهور العلماء الا ماروى عن محمد بن مسلم المالكى أنه قال بلزومه بالنذر * الثانى الجواب المذكور ولكن بالنسبة الى البعيد خاصة كما دل عليه بقية الكلام من الاستدلال بالحديث الذى جاء لا تعمل المطى الا الى ثلاثة مساجد * فيكون المراد أنه اذا نذر السفر اليه لا يلزم ولا يمنع ذلك كون السفر اليه قربة بغير النذر كمسجد قباء فى حق القريب عند غير محمد بن مسلم ولا يمنع أيضا من لزوم الزيارة فى حق القريب كما قاله محمد ابن مسلم فى مسجد قباء وهذا الوجه هو أقرب التأويلات على قواعد مالك رحمه الله تعالى * قال فى (التهذيب لمسائل المدونة) من قال على أن آتى المدينة أو بيت المقدس أو المشى الى المدينة أو بيت المقدس فلا يأتيهما حتى ينوى الصلاة فى مسجديهما أو يسميهما فيقول الى مسجد الرسول أو مسجد ايلياء وان لم ينو الصلاة فيهما فليأتهما راكبا ولا هدى عليه وكأنه لما سماهما قال لله على أن أصلى فيهما ولو نذر الصلاة فى غيرهما من مساجد الامصار صلى بموضعه ولم يأته * ومن نذر أن يرابط أو يصوم بموضع يتقرب باتيانه الى الله تعالى كعسقلان والاسكندرية

لزمه ذلك فيه وان كان من أهل مكة والمدينة ولا يلزم المشي الا من قال على المشي الى مكة أو بيت الله أو المسجد الحرام أو الكعبة أو الحجر أو الركن انتهى كلام التهذيب * وهو يدل على أنه انما يلزم اتيان المدينة اذا سمى مسجدها أو نوى الصلاة فيه فما عدا هذا لا يلزم بالنذر وان كان قربة * الثالث * انا قدمنا ان زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم مطلوبة بالخصوص للاحاديث التي صدرنا بها هذا الكتاب ولعمل السلف والخلف ومطلوبة بالعموم لاندراجها تحت الاحاديث الصحيحة المشهورة في زيارة القبور واللزوم بالنذر ظاهر من الجهة الاولى وأما من الجهة الثانية فقد قدمنا ان مقاصد الزيارة متعددة وزيارة القبور من حيث الجملة كزيارة القادمين وقد قدمنا في لزوم زيارة القادمين بالنذر خلافا مع القطع بكونها قربة وزيارة القبور من حيث الجملة مثله وزيارة قبر معين ان قصد بها الدعاء له أو اداء حقه ظهر اللزوم لحق الميت وان قصد التبرك ظهر اللزوم أيضا في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتعينه دون غيره وان قصد الاتعاظ لم يتعين وكان لزوم أصل الزيارة على الخلاف وان لم يقصد شيأ فأبعد عن اللزوم والسائل لمالك رحمه الله انما ذكر مجرد الاتيان فلعل مالكا لم يلزمه لذلك ولعل مالكا رحمه الله لم تبلغه الأحاديث الخاصة الواردة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم على الخصوص وانما يدرجه تحت الاحاديث الواردة في زيارة القبور وان كان هو أشرفها وأحقها بالزيارة ولا يلزمه بالنذر لذلك في حقه ولا في حق غيره * الرابع * ان اتيان القبر قد يقصد لزيارة من فيه وهو الذي نقول بانه قربة وهو الذي يقصده الناس غالبا وقد يقصد زيارة المكان في نفسه لشرفه وهذا لا نقول بأنه قربة الا فيما شهد الشرع به فلعل مالكا رحمه الله أجاب على ذلك ويدل على أن هذا مراده استدلاله بالحديث الذي جاء لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد * وسنبين بيانا واضحا ان الحديث انما هو في السفر للامكنة لا للمقاصد التي فيها ومالك أجل وأعلم وأوسع

باعوا أعلى كعبا من أن يخفى عنه ذلك فاستدلاله به يدل على أنه أراد المكان فيكون مراده أن زيارة القبر من حيث هو تلك البقعة ليس بقربة وهو يوافق ما حمل القاضى عياض عليه قوله زرت قبر النبى صلى الله عليه وسلم وحينئذ فاما أن يوافق مالك رحمه الله على ذلك عملا بقوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد * ويحمل قوله من زار قبرى على أن المراد من زارنى فى قبرى كما هو الظاهر المتبادر الى الفهم وإما أن يقال إن زيارة قبره أيضا قربة بقوله من زار قبرى * وهذا أخص من قوله لا تشد الرحال فيخصص به الا أن كلا منهما أعم وأخص من وجه فلا يقضى بتخصيص أحدهما للآخر * والاولى أن المراد بقوله من زار قبرى من زارنى فى قبرى ويكون قصد البقعة نفسها ليس بقربة كما اقتضاه كلام مالك رحمه الله فقد بان بهذا معنى كلام مالك رحمه الله وأنه ليس فيه ما يقتضى أن الزيارة ليست بقربة ولا أن السفر اليها ليس بقربة بل هى قربة عند جميع العلماء ولهذا لو نذر الاتيان الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا بانه يلزمه وأنه يشترط ضم قربة الى الاتيان قال الشيخ أبو على السنجى من اصحابنا إنه يكتفى بالزيارة وقال الرافعى إنه الظاهر وتوقف فيه الامام من جهة أن الزيارة لا تتعلق بالمسجد وتعظيمه وليس توقفه لكون الزيارة ليست قربة هذا لم يقله أحد وقد قدمنا فى الباب الرابع من كلام العبدى المالكى التصريح بأن المشى الى المدينة للزيارة أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس *

الباب السادس فى كون السفر اليها قربة

وذلك من وجوه * أحدها * الكتاب العزيز فى قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك الآية وقد تقدم تقريرها فى الباب الخامس والمجىء صادق

على المجيء من قرب ومن بعد بسفر و بغير سفر ولا يقال ان جاؤك مطلق والمطلق لا دلالة له على كل فرد وان كان صالحا لها لانا نقول هو في سياق الشرط فيعم فمن حصل منه الوصف المذكور وجد الله توابا رحيما * الثاني * السنة من عموم قوله من زار قبري * فانه يشمل القريب والبعيد والزائر عن سفر وعن غير سفر كلهم يدخلون تحت هذا العموم لاسيما قوله في الحديث الذي صححه ابن السكن * من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتي * فان هذا ظاهر في السفر بل في تمحيض القصد اليه وتجريده عما سواه وقد تقدم أن حالة الموت مرادة منه اما بالعموم واما انها هي المقصود * والثالث * من السنة أيضا النصها على الزيارة ولفظ الزيارة يستدعي الانتقال من مكان الزائر الى مكان المزور كلفظ المجيء الذي نصت عليه الآية الكريمة فالزيارة اما نفس الانتقال من مكان الى مكان بقصدها واما الحضور عند المزور من مكان آخر وعلى كل حال لا بد في تحقيق معناها من الانتقال ولهذا أن من كان عند الشخص دائما لا يحصل الزيارة منه ولهذا نقول زرت فلانا من المكان الفلاني وتقول زرنا النبي صلى الله عليه وسلم من مصر أو من الشام فتجعل ابتداء زيارتك من ذلك المكان فالسفر داخل تحت اسم الزيارة من هذا الوجه فاذا كانت كل زيارة قربة كان كل سفر اليها قربة وأيضا فقد ثبت خروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة لزيارة القبور واذا جاز الخروج الى القريب جاز الى البعيد * فما ورد في ذلك خروجه الى البقيع كما هو ثابت في الصحيح وقد ذكرته في الباب السابع من هذا الكتاب وخروجه صلى الله عليه وسلم لقبور الشهداء روى أبو داود في سننه عن طلحة بن عبيد الله قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريد قبور الشهداء حتى اذا أشرفنا على حرة واقم فلما تدلينا منها فاذا قبور بمحنية قال قلنا يارسول الله أقبور اخواننا هذه قال قبور أصحابنا فلما جئنا قبور الشهداء قال هذه قبور اخواننا * واذا ثبت مشروعية الانتقال

الى قبر غيره فقبره صلى الله عليه وسلم أولى «الرابع» الاجماع لاطباق السلف والخلف فان الناس لم يزالوا فى كل عام اذا قضوا الحج يتوجهون الى زيارته صلى الله عليه وسلم ومنهم من يفعل ذلك قبل الحج هكذا شاهدناه وشاهده من قبلنا وحكاه العلماء عن الاعصار القديمة كما ذكرناه فى الباب الثالث وذلك أمر لا يرتاب فيه وكلهم يقصدون ذلك و يعرجون اليه وان لم يكن طريقهم و يقطعون فيه مسافة بعيدة و ينفقون فيه الاموال و يبذلون فيه المهج معتقدين أن ذلك قربة وطاعة واطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الارض ومغاربها على ممر السنين وفيهم العلماء والصلحاء وغيرهم يستحيل أن يكون خطأ وكلهم يفعلون ذلك على وجه التقرب به الى الله عز و جل ومن تأخر عنه من المسلمين فانما يتأخر بعجز أو تعويق المقادير مع تأسفه عليه و وده لو تيسر له ومن ادعى أن هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ فهو المخطئ (فان قلت) إن هذا ليس مما يسلمه الخصم لجواز أن يكون سفرهم ضم فيه قصد عبادة أخرى الى الزيارة بل هو الظاهر كما ذكر كثير من المصنفين فى المناسك أنه ينبغى أن ينوى مع زيارته التقرب بالتوجه الى مسجده صلى الله عليه وسلم والصلاة فيه والخصم ما أنكر أصل الزيارة انما أراد أن يبين كيفية الزيارة المستحبة وهى أن يضم اليها قصد المسجد كما قاله غيره (قلت) أما المنازعة فيما يقصده الناس فمن أنصف من نفسه وعرف ما الناس عليه علم أنهم انما يقصدون بسفرهم الزيارة من حين يعرجون الى طريق المدينة ولا يخطر غير الزيارة من القربات الا ببال قليل منهم ثم مع ذلك هو مغمور بالنسبة الى الزيارة فى حق هذا القليل وغرضهم الأعظم هو الزيارة حتى لو لم يكن ربما لم يسافروا ولهذا قل القاصدون الى بيت المقدس مع تيسر اتيانه وان كان فى الصلاة فيه من الفضل ما قد عرف فالمقصود الأعظم فى المدينة الزيارة كما أن المقصود الاعظم فى مكة الحج أو العمرة وهو المقصود أو معظم المقصود من التوجه اليها وانكار هذا مكابرة ودعوى كون هذا

الظاهر أشد وصاحب هذا السؤال ان شك فى نفسه فليسأل من كل من توجه الى المدينة ما قصد بذلك وأما ماذكره المصنفون فى المناسك فانهم لم يريدوا به انه شرط فى كون السفر للزيارة قربة ما قال هذا أحد منهم ولا توهمه ولا اقتضاه كلامه وانما أرادوا أنه ينبغي أن يقصد قربة أخرى ليكون سفرا الى قربتين فيكثر الاجر بزيادة القرب حتى لو زاد من قصد القربات زادت الاجور كأن يقصد مع ذلك زيارة شهداء أحد وغير ذلك من القرب التى هنالك وأرادوا بالتنبيه على ذلك انه قد يتوهم ان قصد قربة أخرى قادح فى الاخلاص فى نية الزيارة فنبهوا بذلك على هذا المعنى ولهذا قال أبو عمرو بن الصلاح ولا يلزم من هذا خلل فى زيارته على ما لا يخفى فمن تخيل ان مرادهم ان شرط كون سفر الزيارة قربة ضم قصد قربة أخرى اليه فقد أخطأ خطأ لا يخفى على أحد ممن له فهم * وقوله ان الخصم انما أراد أن يبين كيفية الزيارة المستحبة وهو أن يضم اليها قصد المسجد كما قاله غيره * ان غيره لم يقل ذلك ولا دل عليه كلامه ولا أراده (الخامس) ان وسيلة القربة قربة فان قواعد الشرع كلها تشهد بأن الوسائل معتبرة بالمقاصد قال صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يارسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط « رواه مسلم » والخطا الى المساجد انما شرفت لكونها وسيلة الى عبادة وقال صلى الله عليه وسلم اذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة رواه البخارى ومسلم * وقال صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى « رواه البخارى ومسلم » وقال رجل ما يسرنى أن منزلى الى جنب المسجد انى أريد أن يكتب لى ممشاى الى المسجد ورجوعى اذا رجعت الى أهلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع الله لك

ذلك كله «رواه مسلم» وقال جابر كانت ديارنا نائية عن المسجد فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقرب من المسجد فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لكم بكل خطوة درجة «رواه مسلم» وقال صلى الله عليه وسلم من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه احداهما تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة «رواه مسلم» وقال صلى الله عليه وسلم من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له نزلا كلما غدا أو راح «رواه البخاري ومسلم» وقال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج الى التسبيح الضحى لا ينصبه الا اياه فأجره كأجر المعتمر «رواه أبو داود» وقال صلى الله عليه وسلم بشر المشائين فى الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة «رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه» وفى رواية «أولئك الخواضون فى رحمة الله» وقال صلى الله عليه وسلم من غسل واغتسل وغدا وابتكر ودنا من الامام ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة صيامها وقيامها «رواه أبو داود» وفى رواية «ومشى ولم يركب» وقال صلى الله عليه وسلم من أتى أخاه المريض عائدا مشى فى مخرفة الجنة حتى يجلس فاذا جلس غمرته الرحمة * وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار أخاله فى الله ناداه مناد من السماء أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا «رواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن غريب» فهذه الاحاديث كلها تدل على أن وسائل القربة قربة وكيف يتأتى نزاع فى ذلك والشريعة كلها طافحة به والقرآن ناطق به قال تعالى «ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله» * وهذه الآية يحسن أن تكون دليلا على المقصود فان المسافر لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله وقال تعالى «ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ

الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون » * فهذه الامور كلها انما كتبت لهم وكتب لهم بها أجر لانها وسيلة الى الجهاد فى سبيل الله بل الجهاد نفسه انما شرف لكونه سببا لاعلاء كلمة الله ولذلك جميع ما طلبه الشرع مما هو معقول المعنى فهو وسيلة لذلك المعنى المعقول منه وبسببه طلب وقد نقل الاصوليون الاجماع على ان من مشى من مكان بعيد حتى حج كان أفضل ممن حج من مكة وفى الحديث عن الله تعالى بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى * ولا شك ان المتوصل الى قربة بمباح فيه مشقة كالسفر وغيره متحمل لتلك المشقة من أجل الله تعالى فهو بعين الله تعالى والله ناظر اليه وجازيه على سعيه بل المباح الذى لا مشقة فيه وفيه راحة للنفس اذا قصد به التوسل الى قربة حصل له به أجر كمن نام ليتقوى على قيام الليل أو أكل ليتقوى على الطاعة ولهذا ورد فى الاثر انى أحتسب نومتى كما أحتسب قومتى * وتكلم العلماء فى ان الثواب فى هذا القسم على القصد خاصة أو على الفعل والأقرب الثانى ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح انك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله حتى اللقمة ترفعها الى فى امرأتك الا ازددت رفعة ودرجة * فهذا يشهد لأنه يؤجر على المباح اذا اقترن بالنية وكذلك الحديث الصحيح أنه يضع شهوته فى الحلال وله فيها أجر * وحاصلها أن العبادات أربعة أقسام « أحدها » ما وضعه الشرع عبادة إما تعبدا وإما لمعنى يحصل بها كالصلاة والصوم والصدقة والحج فهذا متى صح كان قربة ولا يمكن وجوده شرعا على غير وجه القربة « وثانيها » ما طلبه الشرع من مكارم الاخلاق كافشاء السلام ونحوه لما فيه من المصالح وهذا مقصود الشارع فاذا وجد منه الامتثال كان قربة وان وجد بدونها كان من جملة المباحات « وثالثها » ما لا يستقل بتحصيل

مصلحة ولا يفعل الا على وجه التوصل به الى غيره كالمشى ونحوه فهذا لا يقع غالبا الا على وجه الوسيلة فيكون بحسب ما يقصد به ان قصد به حرام كان حراما أو مباح كان مباحا أو قربة كان قربة وان وقع من المكلف لا بقصد أصلا كان عبثا فيكون مكروها ولا نزاع فى هذا القسم أنه اذا قصد به القربة كان قربة وهو القسم الذى نحن بصدده وتصدينا التقرير كونه قربة « ورابعها » ماوضع مباحا مقصودا لتحصيل المصالح الدنيوية كالأكل والشرب والنوم لمصلحة الأبدان فهذا ان حصل بغير نية أو بنية دنيوية كان مستوى الطرفين وان حصل بنية دينية حصل الاجر إما على النية وحدها كما ذكره بعض العلماء وإما على النية مع الفعل وهو الحق لما سبق وهذا القسم الرابع أخفض رتبة من الوسيلة كما أن الوسيلة أخفض رتبة من القسمين الاولين فقد تقرر بهذا ان وسيلة القربة قربة والسفر لقصد الزيارة وسيلة اليها فيكون قربة (فان قلت) قد يقول الخصم الزيارة قربة فى حق القريب خاصة أما البعيد الذى يحتاج الى سفر فلا وحينئذ لا يكون السفر اليها وسيلة الى قربة فى حقه وانما تكون الوسيلة قربة اذا كانت يتوصل بها الى قربة مطلوبة من ذلك الشخص المتوسل (قلت) الزيارة قربة مطلقا فى حق القريب والبعيد فان الأدلة الدالة عليها غير مفصلة ومن ادعى تخصيص العام بغير دليل قطعنا بخطئه (فان قلت) فالصلاة مطلقا قربة والسفر اليها ليس بقربة الا الى المساجد الثلاثة (قلت) قد يكون الشئ قربة وانضمامه الى غيره ليس بقربة فالصلاة فى نفسها قربة وكونها فى مسجد بعينه غير الثلاثة ليس بقربة فالسفر اليه وسيلة الى ماليس بقربة (فان قلت) لو كانت وسيلة القربة قربة مطلقا لكان النذر قربة لانه وسيلة الى ايقاع العبادة واجبة والواجب أفضل من النفل والنذر مكروه ولأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا يأتى بخير وانما يستخرج به من البخيل (قلت) جعل النفل فرضا ليس بقربة بل هو مكروه لما فيه

من الخطر والتعرض للاثم بتقدير الترك ووقوع العبادة ممكن بغير النذر فلم يحصل بالنذر الا التعرض للخطر والحرج على أنا نقول ان وسيلة القربة قربة من حيث هي موصلة لذلك المطلوب وقد يقترن بها أمر عارض يخرجها عن ذلك كمن مشى الى الصلاة فى طريق مغصوب والمدعى أن الفعل اذا كان مباحا ولم يقترن به الا قصد القربة به كان قربة وهذا لا يستثنى منه شئ (فان قلت) كيف تجزمون بهذا وقد اشتهر خلاف الاصوليين فى أن الامر بالشئ أمر بما لا يتم الا به أولا ومقتضى ذلك أن يجرى خلاف فى أن وسيلة المندوب هل هى مندوبة أولا (قلت) سنبين فى آخر الكلام ان كون الفعل قربة أعم من كونه مأمورا به ونبدأ أولا بالكلام على كون هذا السفر مأمورا به أمر ندب فنقول ما لا يتم المأمور به الا به ينقسم الى شرط فى وجوده والى ما هو تابع يشترط للعلم بوجوده كغسل جزء من الرأس للعلم بغسل الوجه والخلاف فى القسم الثانى قوى وليس مما نحن فيه وأما القسم الاول وهو ما كان شرطا أو سببا لوجود المأمور به كالذى نحن فيه ونعبر عنه بالمقدمة فالجمهور على انه مأمور به واجب لوجوب المقصد وخالف فى ذلك فريقان من الاصوليين فرقة خالفوا فى الشرط ولم يخالفوا فى السبب وفرقة خالفوا فى الشرط والسبب جميعا وربما نقل الخلاف فى ذلك عن الواقفية وانهم لم يجزموا فى ذلك بشئ بل توقفوا على عادتهم وربما نقل الجزم بعدم الوجوب وكلا القولين ان أخذ بالنسبة الى دلالة اللفظ وان دلالة لفظ الأمر بالمقصود قاصرة عن دلالته على الامر بالمقدمة فيسهل الامر فيه ولا يمنع عدم دلالة غيره ولا ينفى ذلك كون مقدمة المأمور به مأمورا بها لدليل عقلى وان أخذ بالنسبة الى انه اذا ترك يعاقب على ترك المقصد خاصة ولا يعاقب على ترك المقدمة فقريب أيضا ولكنه انما ينفى الوجوب لا الندب وكلامنا فى الندب وان أخذ بالنسبة الى أن المشروط الذى ورد الأمر به مطلقا

لايجب الاعند وجود شرطه كما صرح به بعض متأخرى الاصوليين فهذا قول باطل لم يتحقق القول به عن أحد من الائمة المعتمد على كلامهم وقواعد الشريعة تقطع ببطلانه ولاشك ان الائمة المعتبرين الذين هم أئمة الفتيا على خلافه ومستند من فرق بين السبب والشرط ان ايجاب المسبب لو كان مقيدا بحال وجود السبب لكان ايجابا لتحصيل الحاصل لان المسبب حاصل مع السبب بخلاف الشرط وقد أطلنا فى ذلك والمقصود أن الزيارة اذا كانت مندوبة فى حق البعيد والسفر شرط لها كان مندوبا وهذا لم يحصل فيه نزاع بين العلماء * فان قلت * هل يقولون ان كل سفر للزيارة مندوب أو مطلق السفر لها * قلت * قد تقرر فى أصول الفقه أن الامر بالماهية الكلية ليس أمرا بشئ من جزئياتها ولكنه مأمور بجزئى من الجزئيات لابعينه لانه لايتحقق الاتيان بالكلى بدونه وهو مخير فى تعيين ذلك الجزئى فاذا أتى بجزئى معين خرج عن عهدة الامر ونقول انه أتى بالمأمور به وهو الكلى والجزئى لابعينه وأما هذا الجزئى المعين فلانقول انه مأمور به لانه مخير فيه ولكنه قربة وطاعة لانه فعل لامتثال الامر فكل سفر يقع بقصد الزيارة ولم يقترن به قصد محرم أو مكروه فهو قربة لكونه موصلا الى قربة وبه يحصل أداء السفر المأمور به لأنه حاصل فى ضمن ذلك المشخص ولانقول ان ذلك المشخص هو المأمور به لأن الامر انما يتعلق بكلى وهذا جزئى لكنه قربة لكونه قصد به القربة ووسيلة اليها فالقربة تصدق على الكلى والجزئى والطلب لايتعلق الابكلى والسفر المعين وسيلة الى الزيارة وليس شرطا فيها ومطلق السفر للزيارة وسيلة وشرط ومطلق السفر شرط وقد لايقصد به التوسل فلا يسمى وسيلة * فان قلت * هل المقدمة هى الوسيلة أو غيرها * قلت * المقدمة ما يتوقف عليها الشئ وقد علمت خلاف الاصوليين فى أنها هل تجب بوجوب ذلك الشئ أولا وذلك خارج عن كونها قربة أو ليست بقربة فان الذى يتوقف عليه الفعل قد يفعل بقصد القربة

فيكون قربة وقد يفعل لا بقصد القربة فلا يكون قربة فمن مشى الى مكة لمقصد غير صالح ثم حج لم يكن سفره قربة ولكن سقط عنه الأمر بالمقدمة لزوال السبب المقتضي لوجوبها * وأما الوسيلة فقال الجوهري الوسيلة ما يتقرب به الى الغير والجمع الوسل والوسائل والتوسيل والتوسل واحد يقال وسل فلان الى ربه وسيلة وتوسل اليه بوسيلة اذا تقرب اليه بعمل * انتهى كلام الجوهري * فاسم الوسيلة اذا أطلق على المقدمة فهو من حيث كونها يتقرب بها الامن حيث كونها متوقفا عليها بل قد يكون المقصد متوقفا على الوسيلة بعينها فيجري في وجوبها الخلاف السابق وقد لا يتوقف المقصد عليها بعينها بل على ماهو أعم منها ويختارها العبد للتوسل بها وقد لا يتوقف المقصد عليها أصلا في نفس الامر ولكن يقصد العبد أو يتوهم توقفه أو خطر بباله انها موصلة اليه ولم يخطر بباله أمر آخر في كل هذه الاحوال تسمى وسيلة وقربة لا يجري فيها الخلاف الاصولي * فالوسيلة لا تطلق على المقدمة حتى يقصد بها التقرب الى المقصود ولا تسمى وسيلة بدون هذا القصد الا على سبيل المجاز بمعنى انها صالحة للتوسل ومراد الاصوليين بالمقدمة ما يتوقف عليها الشئ سواء اقصد بها التوصل اليه أم لا فبينهما عموم وخصوص من وجه ولو سلمنا ان الوسيلة مرادفة للمقدمة فلا شك أنها لا تكون قربة حتى يقصد بها التقرب الى قربة فمرادنا بقولنا وسيلة القربة قربة هذا المعنى ومن ههنا يظهر أن كون الشئ قربة غير كونه واجبا ومندوبا فان الحكم بالايجاب أو الندب انما هو على الماهية الكلية وكل ما وجد في الخارج مشخص لا يتعلق الطلب به بخصوصه فلا يحكم عليه بخصوصه بانه واجب لكنه مؤد للواجب في ضمنه والحكم بكون الشئ قربة تارة يكون باعتبار حقيقته وهو ما وضع لان يتقرب به فيكون كذلك وتارة يكون باعتبار ما قصد به التقرب فيطلق على الفعل بعد تشخصه اذا عرف ذلك فههنا اعتبارات * أحدها مطلق السفر * والثاني السفر

الى المدينة * والثالث * السفر الى المدينة بقصد القربة وكل واحد من القسمين الاولين ليس مطلوبا ولا قربة من حيث هو هو وانما قد يطلب طلب الوسائل لغيره والقسم الثالث مطلوب وقربة وتتفاوت مراتبه بحسب تفاوت القربة المقصودة به فانها قد تكون الزيارة وقد تكون قربة أخرى كالصلاة فى المسجد ونحوها وقد تكون مجموع ذلك أو القدر المشترك بينها وهو مطلق القربة وكل من هذه الاربعة قربة لما قررناه ولان السفر الى المدينة لم يكن قربة لمطلق كونه سفرا ولا سفرا الى المدينة وانما كان لعلة وهى قصد القربة وحيث وجدت العلة وجد المعلول ولا فرق فى الحكم بالقربة على كل واحد من الاربعة بين أن يوجد كليا أو جزئيا مشخصا لما قدمناه * وأما الحكم بكونه مطلوبا أو مندوبا اليه بخصوصه فلا يتعلق بالمشخص منها ولا بواحد من الاربعة بعينه وانما يتعلق بواحد منها لا بعينه ومهما وجد منها كان قربة يتأدى المأمور به فى ضمنه وهذا التقسيم وحكم كل واحد منها لا يتأتى فيه نزاع بين العقلاء سواء قلنا مقدمة المأمور به مأمور بها أم لا وهكذا حكم كل كلى طلبه الشرع ولم ينص على أنواعه * وأما خصال الكفارة فقيل ان الواجب فيها القدر المشترك بين الخصال فيأتى فى أنواع الخصال ما قلناه فى الجزئيات والمشهور أن كل خصلة واجبة بعينها على تقدير أن لا يأتى بغيرها فتى فعلها وقعت واجبة بخصوصها النص الشرع عليها أعنى خصوص العتق مثلا بالنسبة الى الاطعام والكسوة وأما اعتاق الرقبة المعينة فهو كأشخاص الكلى بلا اشكال فيأتى فيه ما سبق من البحث * فان قلت * السفر ينقسم الى ما يقصد به المسافر ضم عبادة أخرى الى الزيارة كصلاة واعتكاف فى مسجده صلى الله عليه وسلم ولا اشكال فى كونه قربة والى ما يقصد به قصره على قصد الزيارة لا غير والنزاع انما هو فى هذا والى ما يعرى عن القصدين واستدلالكم بكون وسيلة القربة قربة فيه نظر لان توقف الشئ على الاعم لا يستلزم توقفه على الاخص وزيارة من كان على مسافة

بعيدة انما تتوقف على سفر من الاسفار الثلاثة المذكورة المقصودة لا على القسم الثانى ليتم ماذكرتم *(قلت)* هذا خلف من الكلام لانك ان لم تقل بان وسيلة القربة قربة فلا حاجة بك الى هذا الاستدلال والتقسيم وقل ان وسيلة القربة ليست بقربة وحينئذ يرد عليك مالا قبل لك به مما قدمناه من الاستدلال على كون وسيلة القربة قربة وذلك أمر معلوم من الشرع ثم يلزمك أن السفر للزيارة وقربة أخرى لا يكون قربة على زعمك لأنه انما يكون قربة لكونه وسيلة الى قربة وان كنت تقول بان وسيلة القربة قربة فما وجه النظر بعد تقرر كون الزيارة قربة واحتجاجك بان توقف الشئ على الاعم لا يستلزم توقفه على الاخص عجيب جدا لانك ان فسرت الوسيلة بما يفعل بقصد التقرب الى المقصود كما فسرناه كان كل واحد من السفر الذى قصد به الزيارة مع قربة أخرى والسفر الذى قصد به الزيارة فقط قربة لانه قصد به التوسل الى قربة فوجب أن يكون قربة سواء كانت الزيارة متوقفة على عينه أم لا فالفرق بين القسمين باطل قطعا وان فسرت الوسيلة بما يتوقف عليه المقصود كما يشعر به ظاهر كلامك فان أخذته بشرط قصد القربة معه وجعلت علة القربة ذلك القصد عاد الكلام وكان كل من القسمين قربة لان الموجب لجعله قربة قصد القربة وهو موجود فى القسمين وان جعلت العلة التوقف وقلت انه يتوقف على الاعم لا على الاخص لزمك ان تقول القربة ماهو أعم من السفرين وخصوص كل منهما ليس بقربة ففرقك بين القسمين لا وجه له وان أخذته مجردا فهو باطل لانه يدخل فيه مطلق السفر ولم يقل أحد بأنه قربة فان السفر من حيث هو هو مباح وإنما تعرض له القربة بعلة قصد القربة فحيث حصلت تلك العلة حصل معلولها وحيث لا فلا ففرقك بين قربة وقربة لا وجه له فقد بان بهذا انه بعد العلم بكون الزيارة قربة و بكون وسيلة القربة قربة يقطع بأن السفر للزيارة قربة سواء ضم معه قصد قربة أخرى أم لا والشك فى ذلك انما يكون للشك فى احدى المقدمتين وتقرير السؤال

محتمل على كل تقدير وليس لك أن تقول إن السفر للزيارة المجردة داخل تحت النهى بقوله لا تشد الرحال والسفر لها وللمسجد سفر للمسجد فكان مباحا لحديث لأنا سنبين معنى الحديث وأنه لا يشمل الزيارة وبتقدير أن يكون السفر للزيارة منهيا عنه فالسفر لها وللمسجد ينبغي أن يكون منهيا عنه على هذا البحث لتركيبه من منهى عنه وغيره وأيضا فان هذا يدل على أنك لا تقول بأن وسيلة القربة قربة فكان يكفيك من الاول أن تقول ان وسيلة القربة ليست قربة وانما كان السفر فى القسم الاول قربة لدليل آخر فانتقالك الى هذا التطويل لا فائدة فيه فعلى كل تقدير هذا الكلام ساقط * وأما السفر العارى عن القصدين المذكورين فيدخل فيه السفر لقربة غير الزيارة فقط والسفر المباح والسفر لغيرهما ولا حاجة بنا الى الكلام فى ذلك وأما قولك فى القسم الثانى من أقسام السفر ما يقصد به قصره على قصد الزيارة لا غير فهذه العبارة تحتمل أمرين أحدهما أن يقصد الزيارة ويقصد أن لا يفعل معها قربة أخرى من تحية المسجد ولا غيرها وهذا الامر لا يقصده عاقل غالبا وليس هو المسؤل عنه فان الناس انما يسألون عن الواقع منهم وبهم حاجة الى معرفة حكمه فذكر هذا القسم هوس وارادته فى فتيا العامة بعبارة يفهمون منها العموم تضليل ثم انا نقول ولو فرض ذلك كان سفره قربة لانه قصد به قربة ولكن قصده ترك غيرها من القربات ليس بقربة * الامر الثانى * أن يقصد الزيارة ولا يخطر بباله أمر آخر بنفى ولا اثبات ولا وجه للتوقف فى كون ذلك قربة بعد العلم بكون الزيارة قربة ووسيلة القربة قربة والظاهر من صاحب هذا السؤال أنه أراد هذا الأمر الثانى فانه الذى قال ان الخصم انما أراد أن يبين كيفية الزيارة المستحبة وهى أن تضم اليها قصد المسجد كما قاله غيره وقدمنا الكلام على ذلك ففى هذه القطعة من كلامه بيان ان شرط الاستحباب فى الزيارة عند الخصم وغيره ضم قصد المسجد اليها ومقتضى ذلك ان

عند عدم الضم ينتفي الاستحباب سواء أراد عدم ماسواها من القرب أم لا وهو يبين أن مراده فيما تقدم بما يقصد به قصره على قصد الزيارة لا غير المعنى الثاني الذي قدمناه وهو عدم قصد سواها لا قصد عدمه وقد قدمنا أنه لا وجه للتوقف في كون ذلك قربة لأنه وسيلة الى قربة ولم يقترن به قصد صارف ولا مانع من الحكم بالقربة عليه بالمعنى الثاني ان اطلاق قوله يقتضي أن الخصم وغيره انما يستحبون الزيارة مطلقا من غير سفر اذا ضم اليها قصد المسجد وحينئذ لا تكون الزيارة وحدها قربة سواء كانت عن سفر أم عن غير سفر وهو مخالف للادلة الدالة على أن الزيارة قربة وكأنه انما أراد السفر للزيارة وانما أطلق العبارة وأياما كان فهو باطل لما قدمناه ❁ واعلم أن هذا السؤال المبني على تقسيم السفر ضعيف وكذلك السؤال المبني عليه الذي قدمته في الاستدلال بعمل السلف والخلف على السفر وانما ذكرتهما لأني وقفت على كلام لبعض الفضلاء ذكرهما فيه فاحتجت الى جوابهما والخصم الذي النزاع معه لعله لا يرتضيهما والعجب ممن أوردهما مع موافقته على أن السفر لمجرد الزيارة قربة فان كان قال ذلك بغير دليل فهو باطل وان كان قاله لاحد الدليلين المذكورين فالقدح فيما قدح فيه فلا يمكنه الجزم به وان كان قاله لدليل آخر فكان ينبغي أن يبينه حتى يظهر أنه يفترق الحال فيه بين الاسفار أولا * بل الأعجب منه قوله بهذه الامور مع قوله بان كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر وقد بان بما ذكرناه أن لزوم كون السفر لمجرد الزيارة قربة لازم لكون الزيارة قربة وأن اللزوم بينهما بين ليس بالخفي والعلم بالملزوم مع التوقف في اللازم البين مستحيل فالقول باثبات الملزوم مع التوقف في اثبات اللازم البين لا يجتمعان فمن توقف في كون السفر لمجرد الزيارة قربة لزمه التوقف في كون الزيارة قربة ومن قال بأن كون السفر لمجرد الزيارة قربة من الامور الخفية لزمه أن يقول بذلك

فى الزيارة فانه تقرر أن الملازمة بينهما بينة معلومة من الشرع « فان قلت » فما تقولون فى السفر الى زيارة ما عدا قبر النبي صلى الله عليه وسلم « قلت » قال الفقيه الامام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر المالكى المعروف بالشارمساحى فى كتاب (تلخيص محصول المدونة من الاحكام) الملقب (بنظم الدر) فى كتاب الجامع فى الباب الحادى عشر فى السفر وهو أحد أبوابه قال فى هذا الباب * والسفر قسمان هرب وطلب أما الهرب فالخروج من أرض الحرب وأرض البدعة وأرض غلب عليها الحرام ومن خوف الأذى فى البدن ومن الارض الغمة وأما الطلب فيكون للحج والجهاد والعمرة والمعاش والاتجار وقصد البقاع الشريفة وهى المساجد الثلاثة ومواضع الرباط تكثير الأهلها ولطلب العلم وانتقاد أحوال الاخوان وزيارة الموتى لينتفعوا بترحم الاحياء وقصد الانتفاع بالميت بدعة الافى زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين انتهى * فأما استثناؤه قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وسائر المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين واقتصاره أن قصدها للانتفاع بهم سنة فصحيح والظاهر أن ذلك عام فى زيارتها والسفر اليها كما يقتضيه صدر كلامه وأما السفر لزيارة غيرهم من الموتى لينتفعوا بترحم الاحياء فقد عده الشارمساحى كما ترى من أقسام سفر الطلب والظاهر أن قصده أنه سنة والامر كذلك وان كان عد معه سفر التجارة الذى هو مباح وأما قوله إن قصد الانتفاع بالميت غير الانبياء بدعة ففيه نظر فان ثبت فينبغى أن يخرج منه من يتحقق صلاحه كالعشرة المشهود لهم بالجنة وغيرهم وحينئذ يكون السفر لهم كالقسم الثانى فخرج من هذا أن الزيارة حيث استحبت استحب السفر لها وذلك عام فى قصد انتفاع الميت بالترحم وخاص فى قصد الانتفاع بالميت *

﴿الباب السابع فى دفع شبه الخصم وتتبع كلماته﴾

* وفيه فصلان *

﴿الاول فى شبهه﴾

وله ثلاث شبه (احداها) فهم قوله صلى الله عليه وسلم لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد فتوهم الخصم ان فى هذا منع السفر للزيارة وليس كما توهمه ونحن نذكر ألفاظ الحديث ثم نذكر معناه ان شاء الله تعالى فنقول هذا الحديث متفق على صحته عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وورد بألفاظ مختلفة أشهرها لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا ومسجد الحرام ومسجد الاقصى وهذه رواية سفيان بن عيينة عن الزهرى والآخر تشد الرحال الى ثلاثة مساجد من غير حصر وهذه رواية معمر عن الزهرى والآخر انما يسافر الى ثلاثة مساجد مسجد الكعبة ومسجدى ومسجد إيلياء وهذه من طريق غير الزهرى وهذه الروايات الثلاث ذكرها مسلم فى فضل المدينة عن أبى هريرة وذكر قبل ذلك فى سفر المرأة عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم لاتشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى ولفظه كما ذكرنا بصيغة النهى واللفظ السابق بصيغة الخبر وورد فى خبر أبى سعيد أيضا انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد مسجد ابراهيم ومسجد محمد ومسجد بيت المقدس رواه اسحق بن راهويه فى مسنده وورد فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه بصيغة النهى لاتشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس رواه الطبرانى فى معجمه هذه ألفاظ المرويات وأما معناها فاعلم أن هذا الاستثناء مفرغ تقديره لاتشد الرحال الى مسجد الا الى المساجد الثلاثة

أولا تشد الرحال الى مكان الا الى المساجد الثلاثة ولا بدمن أحد هذين التقديرين ليكون المستثنى مندرجا تحت المستثنى منه والتقدير الاول أولى لانه جنس قريب ولما سنبينه من قلة التخصيص أوعدمه على هذا التقدير (ثم اعلم) أن السفر فيه أمران أحدهما غرض باعث عليه كالحج أو طلب العلم أو الجهاد أو زيارة الوالدين أو الهجرة وما أشبه ذلك (والثانى) المكان الذى هو نهاية السفر كالسفر الى مكة أو المدينة أو بيت المقدس أو غيرها من الاماكن لأى غرض كان ولا شك أن شد الرحال الى عرفة لقضاء النسك واجب باجماع المسلمين وليس من المساجد الثلاثة وشد الرحال لطلب العلم الى أى مكان كان جائز باجماع المسلمين وقد يكون مستحبا أو واجبا على الكفاية أو فرض عين وكذلك السفر الى الجهاد ومن بلاد الكفر الى بلاد الاسلام للهجرة واقامة الدين وكذلك السفر لزيارة الوالدين وبرهما وزيارة الاخوان والصالحين وكذلك السفر للتجارة وغيرها من الأغراض المباحة فانما معنى الحديث أن السفر الى المساجد مقصور على الثلاثة على التقدير الاول الذى اخترناه أو ان السفر الى الأماكن مقصور على الثلاثة على التقدير الثانى ثم على كلا التقديرين اما أن يجعل المساجد أو الامكنة غاية فقط وعلة السفر أمر آخر كالاشتغال بالعلم ونحوه من الأمثلة التى ذكرناها فهذا جائز الى كل مسجد والى كل مكان فلا يجوز أن يكون هو المراد وقد يقال على بعد انخرج تلك المسائل بادلة على سبيل التخصيص للعموم فلا يمنع من ارادته فى الباقى وهذا لو قيل به فتقدير المساجد أيضا أولى من تقدير الأمكنة لقلة التخصيص اذ التخصيص على تقدير اضمار الامكنة أكثر فيكون مرجوحا ثم على هذا التقدير فالسفر بقصد زيارة النبى صلى الله عليه وسلم غايته مسجد المدينة لانه مجاور للقبر الشريف فلم يخرج السفر للزيارة عن أن يكون غايته أحد المساجد الثلاثة وهو المراد على هذا التقدير واما أن يجعل المساجد أو الامكنة علة فقط ويكون قد عبر بالى عن اللام

أوغاية وعلة من باب تخصيص العام بأحد حاليه لأن غاية السفر قد يكون هو العلة وقد لا يكون فيكون المراد النوع الاول وهو ما يكون علة مع كونه غاية ومعنى كونه علة أنه يسافر لتعظيمها أو التبرك بالحلول فيها أو بان يوقع فيها عبادة من العبادات التي يمكنه ايقاعها في غيرها من حيث إن ايقاعها فيها أفضل من ايقاعها في غيرها وكل ذلك انما ينشأ من اعتقاد فضل في البقعة زائد على غيرها فنهى عن ذلك الا في المساجد الثلاثة وهذا هو المراد وغيرها من الاماكن والمساجد لا يؤتى الا لغرض خاص لا يوجد في غيره كالثغر للرباط الذي لا يوجد في غيره وعلى هذا التقدير أيضا المسافر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل في الحديث لانه لم يسافر لتعظيم البقعة وانما سافر لزيارة من فيها كما لو كان حيا وسافر اليه فيها أو في غيرها فانه لا يدخل في هذا العموم قطعا وملخص ما قلناه على طوله أن النهى عن السفر مشروط بأمرين (أحدهما) أن يكون غايته غير المساجد الثلاثة (والثاني) أن يكون علته تعظيم البقعة والسفر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم غايته أحد المساجد الثلاثة وعلته تعظيم ساكن البقعة لا البقعة فكيف يقال بالنهى عنه بل أقول ان السفر المطلوب سببين (أحدهما) ما يكون غايته أحد المساجد الثلاثة (والثاني) ما يكون لعبادة وان كان الى غيرها والسفر لزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه الامران فهو في الدرجة العليا من الطلب ودونه ما وجد فيه أحد الامرين وان كان السفر الذي غايته أحد الاماكن الثلاثة لابد في كونه قربة من قصد صالح وأما السفر لمكان غير الاماكن الثلاثة لتعظيم ذلك المكان فهو الذي ورد فيه الحديث ولهذا جاء عن بعض التابعين أنه قال قلت لابن عمر اني أريد أن آتي الطور فقال انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى ودع الطور فلا تأته وفي مثل هذا تكلم الفقهاء في شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة فنقل امام الحرمين عن شيخه انه كان

يفتى بالمنع عن شد الرحال الى غير هذه المساجد قال وربما كان يقول يكره وربما كان يقول يحرم أخذا بظاهر النهى وقال الشيخ أبو على لا يكره ولا يحرم ولكن أبان رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القربة المقصودة فى قصد المساجد الثلاثة وما عداها ليس فى قصد أعيانها قربة (قال) وهذا احسن لا يصح عندى غيره (قلت) ويمكن أن يقال ان قصد بذلك التعظيم فالحق ما قاله الشيخ أبو محمد لانه تعظيم لما لم يعظمه الشرع وان لم يقصد مع عينه أمرا آخر فهذا قريب من العبث فيترجح فيه ما قاله الشيخ أبو على ولا نعلم فى مذهبنا غير ذلك وذهب الداودى الى ان ما قرب من المساجد الفاضلة من المصر فلا بأس أن يؤتى مشيا وركوبا استدلالا بمسجد قباء ولا يدخل تحت النهى فى إعمال المطى لان الاعمال وشد الرحال لا يكون لما قرب غالبا ونقل القاضى عياض عن بعضهم أنه انما يمنع إعمال المطى للناذر أما غير الناذر ممن يرغب فى فضل مشاهد الصالحين فلا فهذه أربعة مذاهب فى إتيان ما سوى الثلاثة من المساجد وعلى المذهب الرابع المفصل بين أن يكون بالنذر أو بغيره حمل بعضهم اتيان النبى صلى الله عليه وسلم مسجد قباء لانه كان بغير نذر ولا حرج فيه بل متى خف عليه فعل القربة فيجئ فى نذر ما سوى الثلاثة من المساجد ثلاثة مذاهب (أحدها) أنه لا يصح وهو مذهبنا ومذهب الجهور (والثانى) يصح مطلقا وهو مذهب الليث بن سعد (والثالث) يلزم ما لم يكن بشد رحل كمسجد قباء وهو قول محمد بن مسلمة المالكى وقد روى مالك عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم ان عبد الله ابن عباس سئل عن جعل على نفسه مشيا الى مسجد قباء وهو بالمدينة فألزمه ذلك وأمره أن يمشى قال عبد الملك بن حبيب فى (كتاب الواضحة) فكذلك من نذر أن يمشى الى مسجده الذى يصلى فيه جمعته أو مكتوبته فعليه أن يمشى اليه وليس ذلك بلازمه فيما نأى عنه من المساجد لا ماشيا ولا راكبا وكذلك روى ابن وهب وغيره عن مالك الا المساجد الثلاثة فيلزمه فى المسجد الحرام ما نذر من مشى أو ركوب

ولا يلزمه فى المسجدين مسجد النبى صلى الله عليه وسلم و بيت المقدس المشى اليهما ويلزمه أن يأتيهما راكبا للصلاة فيهما هذا كله فى قصد المكان بعينه أو قصد عبادة فيه تمكن فى غيره أما قصده بغير نذر لغرض فيه كالزيارة وشبهها فلا يقول أحد فيه بتحريم ولا كراهة (فان قلت) فقد قال النووى فى شرح مسلم فى باب سفر المرأة مع محرم الى الحج اختلف العلماء فى شد الرحال واعمال المطى الى غير المساجد الثلاثة كالذهاب الى قبور الصالحين والى المواضع الفاضلة ونحو ذلك فقال الشيخ أبو محمد من أصحابنا هو حرام وهو الذى أشار القاضى عياض الى اختياره والصحيح عند أصحابنا وهو الذى اختاره امام الحرمين والمحققون أنه لا يحرم ولا يكره قالوا والمراد أن الفضيلة التامة انما هى فى شد الرحال الى هذه الثلاثة خاصة والله أعلم اه كلام النووى وقد جعل الذهاب الى قبور الصالحين من محل الخلاف (قلت) رحم الله النووى لو اقتصر على المنقول أو نقده حق النقد لم يحصل خلل وانما زاد التمثيل فحصل الخلل من زيادته والذى نقله الامام والرافعى والنووى فى غير شرح مسلم عن الشيخ أبى محمد رحمه الله ليس فيه هذه الزيادة بل فيه ما يبين ان مراده ما قدمناه فان الامام قال اذا نذر أن يأتى مسجدا من المساجد سوى المسجد الحرام قال العلماء فان كان المسجد الذى عينه غير مسجد المدينة ومسجد المقدس فلا يلزم بالنذر شئ أصلا فانه ليس فى قصد مسجد بعينه غير المساجد الثلاثة قربة مقصودة وما لا يكون قربة ولا عبادة مقصودة فهو غير ملتزم بالنذر وكان شيخى يفتى بالمنع عن شد الرحال الى غير هذه المساجد وذكر ما قدمناه وكذلك الرافعى قال اذا نذر اتيان مسجد آخر سوى الثلاثة لم ينعقد نذره قال الامام وكان شيخى يفتى وذكر ما تقدم وكذلك النووى فى شرح المهذب وكذلك فى شرح مسلم فى باب فضل المساجد الثلاثة كلامه مشعر بما قلناه ومع ذلك قال ان ما قاله الشيخ أبو محمد غلط ففى كلام كل من الامام والرافعى والنووى فى غير شرح مسلم وفى شرح مسلم

فى غير هذا الباب ما يبين ان فرض المسئلة فى قصد المساجد فيحمل كلام أبي محمد عليه أما قصد الاغراض الصحيحة فى المساجد وغيرها من الامكنة من الزيارة والاشتغال بالعلم والجهاد وغيرها فلم يتكلم فيه أبو محمد ولا يجوز أن ينسب اليه المنع منه ولو قاله هو أو غيره ممن يقبل كلامه الغلط لحكمنا بغلطه وأنه لم يفهم مقصود الحديث لكنه بحمد الله لم يثبت عندنا انه قال ذلك ولا نقله عنه أحد غير ما وقع فى شرح مسلم من التمثيل على سبيل السهو والغفلة ولهذا أجللنا مالكا رحمه الله عن ان يستدل بالحديث على هذا المقصود وأوجبنا تأويل كلامه على ارادة البقعة لعينها وهكذا القاضى عياض فانه قال فى الاكمال قوله عليه الصلاة والسلام لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد فيه تعظيم هذه المساجد وخصوصها بشد الرحال اليها لأنها مساجد الانبياء عليهم السلام ولفضل الصلاة فيها وتضعيف أجرها ولزوم ذلك لمن نذره بخلاف غيرها مما لا يلزم ولا يباح شد الرحال اليها لا للناذر ولا للمتطوع بهذا النهى الا ما ألحقه محمد بن مسلمة من مسجد قباء وهذا الكلام من القاضى عياض ليس فيه تعرض لزيارة الموتى أصلا ولا يجوز أن ينقل ذلك عنه بتصريح ولا باشارة وانما أشار به الى غير الثلاثة من المساجد (فان قلت) قد قال ابن قدامة الحنبلى فى (كتاب المغنى) فصل فان سافر لزيارة القبور والمشاهد فقال ابن عقيل لا يباح له الترخص لانه منهى عن السفر اليها قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد والصحيح إباحته وجواز القصر فيه لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأتى قباء ماشيا وراكبا وكان يزور القبور وقال زوروها تذكركم الآخرة وأما قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد فيحمل على نفى الفضيلة لا على التحريم وليست الفضيلة شرطا فى اباحة القصر ولا يضر انتفاؤها (قلت) قد وقفت على كلام ابن قدامة المذكور وترجمته بالسفر لزيارة القبور والمشاهد ولم أقف على كلام ابن عقيل فان كان فى المشاهد أوفى

قصدها مع الزيارة فلا يرد علينا لانه من باب قصد الامكنة وهذا هو الظاهر من استدلاله بالحديث على ما تقرر وكلامنا انما هو في مجرد قصد الزيارة للميت من غير قصد البقعة أصلا وليس في كلام ابن عقيل ولا ابن قدامة تصريح بذلك بل كلامه يشير الى أنه انما تكلم في القبور التي بنيت عليها المشاهد وقبر النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل في ذلك لان مكانه لا يسمى مشهدا (ولو سلمنا) اندراجه في مدلول كلامه فيجب تخصيصه وحمل كلامه على ما سواه واذا كنا نخصص كلام الله وكلام رسوله بالأدلة فأي شئ كلام ابن عقيل حتى لا نخصص اذا احسنا الظن به والموجب لتخصيص هذا القبر الشريف عن سائر القبور الادلة الواردة في زيارته على الخصوص واطباق الناس على السفر اليه فان لم يعتبر ابن عقيل هذه الأدلة لفوقت سهام التخطئة اليه ورد كلامه عليه ولكنه لم يثبت بحمد الله عندنا ذلك عنه (فان قلت) قد أكثرت من التفرقة بين قصد البقعة وقصد من فيها وسلمت أن قصد البقعة داخل تحت الحديث والزيارة لا بد فيها من قصد البقعة فان السلام والدعاء يحصل من بعد كما يحصل من قرب وهو مقصود الزيارة (قلت) قصد البقعة لما اشتملت عليه ليس بمحذور ولا نقول بنفي الفضيلة عنه وانما قلنا ذلك في قصد البقعة لعينها أو لتعظيم لم يشهد به الشرع على أنا نقول إنه لا يلزم من الزيارة أن يكون للبقعة مدخل في القصد الباعث بل تارة يكون ذلك مقصودا وتارة بمجرد قصد الشخص المزور من غير شعور بما سواه وقوله ان مقصود الزيارة يحصل من بعد ممنوع فان الميت يعامل معاملة الحي فالحضور عنده مقصود ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج في ليلة عائشة الى البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات الحديث المشهور وفيه ان عائشة سألته فقال ان جبرائيل أتاني فقال ان ربك عز وجل يأمرك أن تأتي أهل البقيع وتستغفر لهم قالت فقلت كيف أقول لهم يا رسول الله قال قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين يرحم الله

المستقدمين مناو المستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون (رواه مسلم) فانظر كيف خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى البقيع بأمر الله تعالى يستغفر لأهله ولم يكتف بذلك من الغيبة وهذا أصل في الاتيان الى القبور لزيارة أهلها للاستغفار لهم وقد سألت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم كيف تقول تعني اذا فعلت كفعله وعلمها وفي ذلك دليل على أنه يجوز لها وللنساء الاتيان الى القبور لهذا الغرض لأن سؤالها ذلك كان بعد رجوعهما الى البيت فلم يكن المقصود منه كيف أقول الآن وانما معناه كيف أقول مرة أخرى فلو كان لا يجوز لها ذلك لبينه لها وليس هذا المقصود هنا فانا نذكره ان شاء الله تعالى في موضع آخر وانما المقصود هنا أن الحضور عند القبر لسبب زيارة من فيه والدعاء مطلوب وليس ذلك من باب قصد الأمكنة ولا دل الحديث على امتناعه ولا قال به أحد من العلماء وقد أحضر الى بعض الناس صورة فتاوى منسوبة لبعض علماء بغداد في هذا الزمان لا أدري هل هي مختلقة من بعض الشياطين الذين لا يحسنون أو هي صادرة ممن هو متسم بسمة العلم وليس من أهله فأولها فتيا مالكي قال فيها قد نص الشيخ أبو محمد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور وهو اختيار القاضي الامام عياض في اكماله ولقد كذب في هذا النقل عن الشيخ أبي محمد والقاضي عياض جميعا ثم أطال الكلام بما لا فائدة فيه وثانيها فتيا شافعي قال فيها ان المفهوم من كلام العلماء ونظار العقلاء أن الزيارة ليست عبادة وطاعة بمجردها فان أراد المفهوم عنده فلا علينا منه ونقول له المفهوم عند العلماء خلافه ثم نقول ان من اعتقد جواز الشد الى غير ما ذكر أو وجوبه أو ندبيته كان مخالفا لصريح النهي ومخالفة النهي معصية اما كفر أو غيره على قدر المنهي عنه ووجوبه وتحريمه ويكفي هذا الكلام ضحكة على من قاله أن يجعل المنهي عنه منقسما الى وجوب وتحريم دع سوء فهمه للحديث وثالثها فتيا آخر شارك فيها الاول في النقل عن الشيخ أبي محمد والقاضي عياض

وقد تقدم جوابه وأساء الفهم فى الحديث كما أساءه غيره ورابعها فتيا آخر ليس فيها طائل وكلهم خلط مع ذلك ما لا طائل تحته والاقرب أنها مختلقة وان مثلها لا يصدر عن عالم وانما ذكرتها هنا لتضمنها النقل عن الشيخ ابى محمد والقاضى عياض الذى تعرضت هنا لافساده ﴿تنبيه﴾ قد يتوهم من استدلال الخصم بهذا الحديث ان نزاعه قاصر على السفر للزيارة دون أصل الزيارة وليس كذلك بل نزاعه فى الزيارة أيضا لما سنذكره فى الشبهتين الثانية والثالثة وهما كون الزيارة على هذا الوجه المخصوص بدعة وكونها من تعظيم غير الله المفضى الى الشرك وما كان كذلك كان ممنوعا وعلى هاتين الشبهتين بنى كلامه وأصل الخيال الذى سرى اليه منهم لا غير وهو عام فى الزيارة والسفر اليها ولهذا يدعى هو أن الاحاديث الواردة فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم كلها ضعيفة بل موضوعة ويستدل بقوله لا تتخذوا قبرى عيدا وبقوله لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وبأن هذا كله محافظة على التوحيد وأن أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد كما سنذكر ذلك فى نص كلامه المنقول عنه وقد رأيت أيضا فتيا بخطه ونقلت منها ما أنا ذاكره قال فيها ومن خطه نقلت وأما السفر للتعريف عند بعض القبور فهذا أعظم من ذلك فان هذا بدعة وشرك فان أصل السفر لزيارة القبور ليس مشروعا ولا استحبه أحد من العلماء ولهذا لو نذر ذلك لم يجب عليه الوفاء به بلا نزاع بين الائمة ثم قال ولهذا لم يكن أحد من الصحابة والتابعين بعد ان فتحوا الشام ولا قبل ذلك يسافرون الى زيارة قبر الخليل عليه السلام ولا غيره من قبور الانبياء التى بالشام ولا زار النبى صلى الله عليه وسلم شيأ من ذلك ليلة اسرى به والحديث الذى فيه هذا قبر أبيك ابراهيم فانزل فصل فيه وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه كذب لا حقيقة له وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين سكنوا الشام أو دخلوا اليه ولم يسكنوه مع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

وغيره لم يكونوا يزورون شيأ من هذه البقاع والآثار المضافة الى الانبياء ثم قال ولم يتخذ الصحابة شيأ من آثاره مسجدا ولا مزارا غير ما بيناه من المساجد ولم يكونوا يزورون غار حراء ولا غار ثور ثم قال حتى إن قبر النبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظ بزيارته وانما صح عنه الصلاة عليه والسلام موافقة لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ثم قال ولهذا لم يكن على عهد الصحابة والتابعين مشهد يزار لا على قبر نبي ولا غير نبي فضلا عن أن يسافر اليه لا بالحجاز ولا بالشام ولا اليمن ولا العراق ولا مصر ولا المشرق * ثم قال ولهذا كانت زيارة القبور على وجهين زيارة شرعية وزيارة بدعية فالزيارة الشرعية مقصودها السلام على الميت والدعاء له ان كان مؤمنا وتذكر الموت سواء كان الميت مؤمنا أم كافرا وقال بعد ذلك فالزيارة لقبر المؤمن نبيا كان أو غير نبي من جنس الصلاة على جنازته يدعى له كما يدعى اذا صلى على جنازته * وأما الزيارة البدعية فمن جنس زيارة النصارى مقصودها الاشراك بالميت مثل طلب الحوائج منه أو به أو التمسح بقبره وتقبيله أو السجود له ونحو ذلك فهذا كله لم يأمر الله به ورسوله ولا استحبه أحد من ائمة المسلمين ولا كان أحد من السلف يفعله لا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره ثم قال ولم يكونوا يقسمون على الله بأحد من خلقه لا نبي ولا غيره ولا يسألون ميتا ولا غائبا ولا يستغيثون بميت ولا غائب سواء كان نبيا أو غير نبي بل كان فضلاؤهم لا يسألون غير الله شيأ انتهى ما اردت نقله من كلام ابن تيمية رحمه الله من خطه وأنا عارف بخطه وهو يدل على ماذكرناه من ان نزاعه في السفر والزيارة جميعا غير انه كلام مختبط في صدره ما يقتضي منع الزيارة مطلقا وفي آخره ما يقتضي انها ان كانت للسلام عليه والدعاء له جازت وان كانت على النوع الآخر الذي ذكره لم يجز وبقي قسم لم يذكره وهو أن تكون للتبرك به من غير اشراك به فهذه ثلاثة أقسام أولها السلام

والدعاء له وقد سلم جوازه وأنه شرعى ويلزمه أن يسلم جواز السفر له فان فرق فى هذا القسم بين أصل الزيارة وبين السفر محتجا بالحديث المذكور فقد سبق جوابه والقسم الثانى التبرك به والدعاء عنده للزائر وهذا القسم يظهر من فحوى كلام ابن تيمية رحمه الله أنه يلحقه بالقسم الثالث ولا دليل له على ذلك بل نحن نقطع ببطلان كلامه فيه وان المعلوم من الدين وسير السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين فكيف بالانبياء والمرسلين ومن ادعى ان قبور الانبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء فقد أتى أمرا عظيما نقطع ببطلانه وخطئه فيه وفيه حط لرتبة النبى صلى الله عليه وسلم الى درجة من سواه من المسلمين وذلك كفر متيقن فان من حط رتبة النبى صلى الله عليه وسلم عما يجب له فقد كفر فان قال ان هذا ليس بحط ولكنه منع من التعظيم فوق ما يجب له (قلت) هذا جهل وسوء أدب وقد تقدم فى أول الباب الخامس الكلام فى ذلك ونحن نقطع بأن النبى صلى الله عليه وسلم يستحق من التعظيم أكثر من هذا المقدار فى حياته وبعد موته ولا يرتاب فى ذلك من كان فى قلبه شئ من الايمان وأما القسم الثالث وهو أن يقصد بالزيارة الاشراك بالله تعالى فنعوذ بالله منها وممن يفعلها ونحن لا نعتقد فى أحد من المسلمين ان شاء الله ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ودعاؤه صلى الله عليه وسلم مستجاب وقد أيس الشيطان ان يعبد فى جزيرة العرب فهذا شئ لا نعتقده ان شاء الله فى أحد ممن يقصد زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وانما التمسح بالقبر وتقبيله والسجود عليه ونحو ذلك فانما يفعله بعض الجهال ومن فعل ذلك ينكر عليه فعله ذلك و يعلم آداب الزيارة ولا ينكر عليه أصل الزيارة ولا السفر اليها بل هو مع ما صدر منه من الجهل محمود على زيارته وسفره مذموم على جهله وبدعته وأما طلب الحوائج عند قبره صلى الله عليه وسلم فسنذكره فى باب الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم * ولنتكلم على الشبهة الثانية والثالثة التين

بنى ابن تيمية رحمه الله كلامه عليهما أما الشبهة الثانية وهى كون هذا ليس مشروعا وأنه من البدع التى لم يستحبها أحد من العلماء لا من الصحابة ولا من التابعين ومن بعدهم فقد قدمنا سفر بلال من الشام الى المدينة لقصد الزيارة وأن عمر بن عبد العزيز كان يجهز البريد من الشام الى المدينة للسلام على النبى عليه الصلاة والسلام وان ابن عمر كان يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيسلم عليه وعلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهم وكل ذلك يكذب دعوى ان الزيارة والسفر اليها بدعة ولو طولب ابن تيمية رحمه الله باثبات هذا النفى العام واقامة الدليل على صحته لم يجد اليه سبيلا فكيف يحل لذى علم أن يقدم على هذا الامر العظيم بمثل هذه الظنون التى مستنده فيها أنه لم يبلغه و ينكر به ما أطبق عليه جميع المسلمين شرقا وغربا فى سائر الاعصار مما هو محسوس خلفا عن خلف ويجعله من البدع فان قال ان الذى كان يفعله السلف من النوع الاول وهو السلام والدعاء له دون النوع الثانى والثالث قلنا أما الثالث فلا استرواح اليه لانا نبعد كل مسلم منه وأما النوع الاول والثانى فدعوى كون السلف كلهم كانوا مطبقين على النوع الاول وانه شرعى وكون الخلف كلهم مطبقين على الثانى وانه بدعة من التخرص الذى لا يقدر على اثباته فان المقاصد الباطنة لا يطلع عليها الا الله تعالى فمن اين له أن جميع السلف لم يكن أحد منهم يقصد التبرك أو أن جميع الخلف لا يقصدون الا ذلك ثم انه قال فيما سنحكيه من كلامه ان أحدا لا يسافر اليها الا لذلك يعنى لاعتقاده انها قربة وانه متى كان كذلك كان حراما ولا شك أن بلالا وغيره من السلف وان سلمنا أنهم ما قصدوا الا السلام فانهم يعتقدون ان ذلك قربة فلو شعر ابن تيمية رحمه الله أن بلالا وغيره من السلف فعل ذلك لم ينطق بما قال ولكنه قام عنده خيال أن هذه الزيارة فيها نوع من الشرك ولم يستحضر أن أحدا فعلها من السلف فقال ما قال وغلط رحمه الله فيما حصل له من الخيال وفى عدم الاستحضار ودعواه أنه لو نذر ذلك لم يجب عليه الوفاء به بلا نزاع من الائمة نحن

نطالبه بنقل هذا عن الائمة وتحقيق أنه لا نزاع بينهم فيه ثم بتقرير كون ذلك عاما فى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره ليحصل مقصوده فى هذه المسئلة التى تصدينا لها ومتى لم تحصل هذه الامور الثلاثة لا يحصل مقصوده وليس الى حصولها سبيل ونحن قد نقلنا أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم تلزم بالنذر وعلى مقتضاه يلزم السفر اليها أيضا بالنذر على الضد مما قال وأما قوله ان الصحابة لما فتحوا الشام لم يكونوا يسافرون الى زيارة قبر الخليل وغيره من قبور الانبياء التى بالشام فلعله لانه لم يثبت عندهم موضعها فانه ليس لنا قبر مقطوع به الا قبره صلى الله عليه وسلم وأما قوله ولا زار النبي صلى الله عليه وسلم شيأ من ذلك ليلة اسرى به فلعله لاشتغاله بما هو أهم وقد تحققنا زيارته صلى الله عليه وسلم القبور بالمدينة وغيرها فى غير تلك الليلة فليس ترك زيارته فى تلك الليلة دليلا على أن الزيارة ليست بسنة فالتشاغل بالاستدلال بذلك تشاغل بما لا يجدى وأما قوله ان الحديث الذى فيه هذا قبر أبيك ابراهيم فانزل فصل فيه وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه كذب لا حقيقة له فصدق فيما قال وهذا الحديث يرويه بكر بن زياد الباهلى قال ابن حبان شيخ دجال يضع الحديث على الثقات لا يحل ذكره فى الكتب الا على سبيل القدح فيه وذكر ابن حبان من طريقه الحديث المذكور وفيه ثم أتى بى الى الصخرة فقال يا محمد من ههنا عرج ربك الى السماء وذكر كلاما طويلا كره ابن حبان ذكره قال ابن حبان وهذا شئ لا يشك عوام أصحاب الحديث انه موضوع فكيف البزل فى هذا الشأن هذا كلام ابن حبان وقد ذكر هذا الحديث أبو القاسم المكى بن عبد السلام بن الحسين ابن القاسم المقدسى الرميلى فى كتاب صنفه فى فضائل زيارة قبر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام والرميلى هذا بضم الراء وفتح الميم وسكون الياء نسبة الى الرميلة من الارض المقدسة ذكره أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور بن السمعانى فى كتاب الانساب فقال كان حافظا مكثرا رحل الى مصر والشام والعراق

والبصرة قال ابن ناصر وصنف كتابا فى تاريخ بيت المقدس وسمع من الخطيب بالشام و بغداد وكان فاضلا صالحا ثبتا وعاد الى بيت المقدس وأقام بها يدرس الفقه على مذهب الشافعى و يروى الحديث الى أن غلبت الفرنج على بيت المقدس ثم قتل شهيدا قال ابن السمعانى روى عن مكى بن عبد السلام محمد بن على الاسفراينى وأبو سعيد عمار التاجر ولم يحدث عنه سواهما وقال ابن النجار عزم على أن يعمل تاريخا لبيت المقدس فحالت دونه منيته فقتلته الفرنج بالحجارة فى اليوم الثانى عشر من شوال سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وذكر أبو القاسم عمر بن أبى جرادة فى تاريخ حلب أنه ولد فى المحرم يوم عاشوراء سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ببيت المقدس (قلت) وذكر فى هذا التصنيف آثارا فى زيارة قبر ابراهيم الخليل منها الحديث المذكور قال أنبأنا الشيخ الصالح الثقة أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن عمر بن ابراهيم المقدسى قراءة عليه رحمه الله أنبأنا محمد بن أحمد أبو بكر بن محمد الواسطى الخطيب قراءة عليه حدثنا أبو القاسم عيسى بن عبيد الله بن عبد العزيز الموصلى المعروف بالمصاحفى حدثنا أبو الحسن على بن جعفر بن محمد الرازى وكيل المسجد الاقصى حدثنا العباس بن أحمد بن عبد الله وأنا سألته حدثنا عبد الله بن أبى عمرة المقدسى حدثنا بكر بن زياد الباهلى عن عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن زرارة بن أبى أوفى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى بى الى بيت المقدس مر بى جبرئيل الى قبر ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فقال انزل صل ههنا ركعتين فان ههنا قبر أبيك ابراهيم عليه السلام ثم مر بى الى بيت لحم فقال انزل صل ههنا ركعتين فان ههنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثم أتى بى الى الصخرة قال وذكر الحديث ورواه ابن حبان عن محمد بن أحمد ابن ابراهيم حدثنا ابن عبد الله بن سليمان بن عمرة حدثنا بكر بن زياد وانما تكلمنا على هذا الحديث للتنبيه على الفائدة فيه وليس بنا ضرورة الى اثباته أو

نفيه في تحقيق المقصود ولما سبق أن عدم الزيارة في وقت خاص لا يدل على عدم الاستحباب وقوله ان الصحابة لم يكونوا يزورون شيأ من هذه البقاع والآثار فكلامنا انما هو في زيارة ساكن البقعة لا في زيارة البقعة وقد تقدم التنبيه على الفرق بينهما ثم ان هذه شهادة على نفي يصعب اثباتها وان كنا مستغنين عن منعها أو تسليمها وقوله حتى ان قبر النبي صلى الله عليه وسلم هذا هو المقصود في هذه المسئلة وقوله لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظ بزيارته قد تقدم ابطال هذه الدعوى وتحقيق ثبوت الحديث فيها وقوله ولهذا لم يكن على عهد الصحابة والتابعين مشهد يزار على قبر نبي ولا غير نبي فضلا عن أن يسافر اليه الى آخر كلامه ان أراد ما يسمى مشهدا فموضع قبره صلى الله عليه وسلم لا يسمى مشهدا وكلامنا انما هو فيه وان أراد أنه لم يكن في ذلك الزمان زيارة لقبر نبي من الانبياء فهذا باطل لما قدمناه وبقية كلامه وتقسيمه الزيارة الى شرعية وبدعية سبق الكلام عليه وفيه اعتراف بمطلق الزيارة و يلزمه الاعتراف بالسفر اليها ولا يمنع من ذلك كون نوع منها يقترن به من بعض الجهال ما هو منهي عنه فمن ادعى أن الزيارة من غير انضمام شيء آخر اليها بدعة فقد كذب وجهل ومن حرمها فقد حرم ما أحله الله تعالى ومن أطلق التحريم عليها لان بعض أنواعها محرم أو يقترن به محرم فهو جاهل وهكذا من امتنع من اطلاق الاستحباب على الزيارة من حيث هي لوقوع بعض أنواعها من بعض الناس على وجه التحريم فهو جاهل أيضا فان الصلاة قد تقع على وجه منهي عنه كالصلاة في الدار المغصوبة وما أشبه ذلك ولا يمنع ذلك من اطلاق القول بأن الصلاة قربة أو واجبة فهكذا أيضا الزيارة من حيث هي قربة لقوله صلى الله عليه وسلم زوروا القبور وان كان بعض أنواعها يقع على وجه منهي عنه فيكون ذلك الوجه منهيا عنه وحده والحكم بالابتداع على هذا النوع لا يضرنا ونحن نسلمه ونمنع من يفعله والحكم بالابتداع على

المطلق عن الابتداع وأما الشبهة الثالثة وهي ان من أصول الشرك بالله تعالى اتخاذ القبور مساجد كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قالوا كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوها وتخيل ابن تيمية أن منع الزيارة والسفر اليها من باب المحافظة على التوحيد وأن فعلها مما يؤدي الى الشرك وهذا تخيل باطل لان اتخاذ القبور مساجد والعكوف عليها وتصوير الصور فيها هو المؤدي الى الشرك وهو الممنوع منه كما ورد في الاحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا وقوله صلى الله عليه وسلم لما أخبر بكنيسة بأرض الحبشة أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله وأما الزيارة والدعاء والسلام فلا تؤدي الى ذلك ولهذا شرعه الله تعالى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ثبت من الاحاديث المتقدمة عنه صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وتواتر ذلك وإجماع الامة عليه فلو كانت زيارة القبور من التعظيم المؤدي الى الشرك كالتصوير ونحوه لم يشرعها الله تعالى في حق أحد من الصالحين ولا فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في حق شهداء أحد والبقيع وغيرهم وليس لنا أن نحرم الا ما حرمه الله وان تخيلنا انه يفضي الى محذور ولا نبيح الا ما أباحه الله وان تخيلنا أنه لا يفضي الى محذور ولما أباح الزيارة وشرعها وسنها رسوله وحظر اتخاذ القبور مساجد وتصوير الصور عليها قلنا باباحة الزيارة ومشروعيتها وتحريم اتخاذ القبور مساجد والتصوير فمن قاس الزيارة على التصوير في التحريم كان مخالفا للنص كما أن شخصا لو قال باباحة اتخاذ القبور مساجد اذا لم يفض الى الشرك كان مخالفا للنص أيضا والوسائل

التي لا يتحقق بها المقصود ليس لنا ان نجري حكم المقصود عليها الا بنص من الشارع فان هذا من باب سد الذرائع الذي لم يقم عليه دليل فالمفضي الى الشرك حرام بلا اشكال وأما الامور التي قد تؤدي اليه وقد لا تؤدي فما حرمه الشرع منها كان حراما وما لم يحرمه كان مباحا لعدم استلزامه للمحذور وهذه الامور التي نحن فيها من هذا القبيل حرم الشرع منها اتخاذ القبور مساجد والتصوير والعكوف على القبور وأباح الزيارة والسلام والدعاء وكل عاقل يعلم الفرق بينهما و يتحقق أن النوع الثاني اذا فعل مع المحافظة على آداب الشريعة لا يؤدي الى محذور وان القائل بمنع ذلك جملة سدا للذريعة متقول على الله وعلى رسوله منتقص ماثبت لذلك المزور من حق الزيارة (واعلم) أن ههنا أمرين لا بد منهما (أحدهما) وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر الخلق و(الثاني) افراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه فمن اعتقد في أحد من الخلق مشاركة الباري تعالى في ذلك فقد أشرك وجنى على جانب الربوبية فيما يجب لها وعلى الرسول فيما أدى الى الامة من حقها ومن قصر بالرسول عن شئ من رتبته فقد جنى عليه فيما يجب له وعلى الله تعالى بمخالفته فيما أوجب لرسوله ومن بالغ في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بانواع التعظيم ولم يبلغ به ما يختص بالباري تعالى فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا وذلك هو العدل الذي لا افراط فيه ولا تفريط ومن المعلوم أن الزيارة بقصد التبرك والتعظيم لا تنتهي في التعظيم الى درجة الربوبية ولا تزيد على ما نص عليه في القرآن والسنة وفعل الصحابة من تعظيمه في حياته وبعد وفاته وكيف يتخيل امتناعها انا لله وانا اليه راجعون وهذا الرجل قد يتخيل أن الناس بزيارتهم متعرضون للاشراك بالله تعالى وبنى كلامه كله على ذلك وكل دليل ورد عليه يصرفه الى غير هذا الوجه وكل شبهة عرضت له يستعين بها

على ذلك فهذا داء لا دواء له الا بان يلهمه الله الحق ايرى هو لما زار قصد ذلك وأشرك مع الله غيره

﴿ الفصل الثانى فى تتبع كلماته ﴾ وقد سبق تتبع ما نقلته من خطه فى فتيا لم يسئل فيها عن الزيارة قصدا بل جاء ذكرها تبعا الكلام فى المشاهد والذى اتصل عنه بالدولة نسخة فتيا نقلت من خطه وعلى رأسها بخط قاضى القضاة جمال الدين ما صورته قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب دونه فى هذه الورقة على خط تقى الدين بن تيمية فصح سوى ما علم عليه بالاحمر فان مواضعه من الورقة التى بخطه وجدتها واهية وليس ذلك بجزائها المحز جعله زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبور سائر الانبياء عليهم السلام معصية بالاجماع مقطوعا بها وكتب محمد ابن عبد الرحمن القزوينى الشافعى وقد علم عليها الآن بالاسود فى هذه النسخة

* بسم الله الرحمن الرحيم ما تقول السادة العلماء أئمة الدين نفع الله بهم المسلمين فى رجل نوى زيارة قبر نبى من الأنبياء مثل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره فهل يجوز له فى سفره أن يقصر الصلاة وهل هذه الزيارة شرعية أم لا وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من حج ولم يزرنى فقد جفانى ومن زارنى بعد موتى كمن زارنى فى حياتى وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تشد الرحال الا الى المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا افتونا مأجورين (صورة ما وجد بخط تقى الدين بن تيمية رحمه الله مكتوبا تحت هذا السؤال جوابا عنه) الحمد لله أما من سافر لمجرد زيارة قبور الانبياء والصالحين فهل يجوز له قصر الصلاة على قولين معروفين (أحدهما) وهو قول متقدمى العلماء من الذين لا يجوزون القصر فى سفر المعصية كأبى عبد الله بن بطة وابى الوفاء بن عقيل وطوائف كثيرين من العلماء المتقدمين أنه لا يجوز القصر فى مثل هذا السفر لانه سفر منهى عنه ومذهب مالك والشافعى وأحمد أن السفر المنهى عنه فى الشريعة لا يقصر فيه

(والقول الثانى) أنه يقصر فيه وهذا يقوله من يجوز القصر فى السفر المحرم كأبى حنيفة رحمه الله ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعى وأحمد ممن يجوز السفر لزيارة قبور الانبياء والصالحين كأبى حامد الغزالى وأبى الحسين بن عبدوس الحرانى وأبى محمد بن قدامة المقدسى وهؤلاء يقولون إن هذا السفر ليس بمحرم لعموم قوله زوروا القبور وقد يحتج بعض من لا يعرف الاحاديث بالاحاديث المروية فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم كقوله من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى رواه الدارقطنى وابن ماجه وأما ما يذكره بعض الناس من قوله من حج ولم يزرنى فقد جفانى فهذا لم يروه أحد من العلماء وهو مثل قوله من زارنى وزار أبى ابراهيم فى عام واحد ضمنت له على الله الجنة فان هذا أيضا باطل باتفاق العلماء لم يروه أحد ولم يحتج به واحد وانما يحتج بعضهم بحديث الدارقطنى وقد احتج أبو محمد المقدسى على جواز السفر لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبور الانبياء بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يزور مسجد قباء وأجاب عن حديث لا تشد الرحال بأن ذلك محمول على نفى الاستحباب وأما الاولون فانهم يحتجون بما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا وهذا الحديث اتفق الائمة على صحته والعمل به فلو نذر الرجل أن يصلى فى مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه أو يسافر اليه غير هذه الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتفاق الائمة ولو نذر أن يأتى المسجد الحرام بحج أو عمرة وجب عليه ذلك باتفاق العلماء ولو نذر أن يأتى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم أو المسجد الاقصى لصلاة أو اعتكاف وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعى وأحمد ولم يجب عند أبى حنيفة لانه لا يجب عنده بالنذر الا ما كان من جنسه واجب بالشرع وأما الجمهور فيوجبون الوفاء بكل طاعة لما ثبت فى صحيح البخارى عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن

نذرأن يعصى الله فلا يعصه والسفر الى المسجدين طاعة فلهذا وجب الوفاء به وأما السفر الى بقعة غير المساجد الثلاثة فلم يوجب أحد من العلماء السفر اليه اذا نذره حتى نص العلماء على أنه لا يسافر الى مسجد قباء لانه ليس من الثلاثة مع أن مسجد قباء يستحب زيارته لمن كان فى المدينة لان ذلك ليس بشد رحل كما فى الحديث الصحيح من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه كان كعمرة

* قالوا ولأن السفر الى زيارة قبور الانبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة ولاجماع الامة وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بطة فى (ابانته الصغرى) من البدع المخالفة للسنة والاجماع وبهذا يظهر ضعف حجة أبى محمد فان زيارة النبى صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء لم تكن بشد رحل وهو يسلم لهم ان السفر اليه لا يجب بالنذر وقوله ان قوله لا تشد الرحال محمول على نفى الاستحباب يحتمل وجهين أحدهما ان هذا تسليم منه ان هذا السفر ليس بعمل صالح ولا قربة ولا طاعة ولا هو من الحسنات فاذا من اعتقد فى السفر لزيارة قبور الانبياء والصالحين انها قربة وعبادة وطاعة فقد خالف الاجماع واذا سافر لاعتقاده أنها طاعة كان ذلك محرما باجماع المسلمين فصار التحريم من الامر المقطوع به ومعلوم أن أحدا لا يسافر اليها الا لذلك وأما اذا قدر أن الرجل يسافر اليها لغرض مباح فهذا جائز وليس من هذا الباب الوجه الثانى أن النفى يقتضى النهى والنهى يقتضى التحريم وما ذكره من الاحاديث فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث بل هى موضوعة لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيأ منها ولم يحتج أحد من الائمة بشئ منها بل مالك امام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسئلة كره أن يقول زرت قبر النبى صلى الله عليه وسلم ولو

كان هذا اللفظ معروفا عندهم أومشروعا أومأثورا عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه عالم المدينة والامام أحمد أعلم الناس فى زمانه بالسنة لما سئل عن ذلك لم يكن عنده ما يعتمده عليه الاحديث أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن رجل يسلم على الارد الله على روحى حتى أرد عليه السلام وعلى هذا اعتمد أبوداود فى سننه وكذلك مالك فى الموطا روى عن عبد الله بن عمر أنه كان اذا دخل المسجد قال السلام عليك يارسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت ثم ينصرف وفى سنن أبى داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تتخذوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيث ما كنتم وفى سنن سعيد بن منصور أن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رأى رجلا يختلف الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عنده فقال ياهذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبرى عيدا وصلوا على حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغنى فما أنت ورجل بالاندلس الا سواء وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فى مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مافعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا فهم دفنوه فى حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن فى الصحراء لئلا يصلى أحد عند قبره ويتخذه مسجدا فيتخذ قبره وثنا وكان الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد الى زمان الوليد بن عبد الملك لايدخل أحد الى عنده لا لصلاة هنالك ولا لمسح بالقبر ولا دعاء هنالك بل هذا جميعه انما يفعلونه فى المسجد وكان السلف من الصحابة والتابعين اذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلى القبلة ولم يستقبلوا القبر وأما وقت السلام عليه فقال أبو حنيفة رحمه الله يستقبل القبلة أيضا ولا يستقبل القبر وقال أكثر الائمة بل يستقبل القبر عند السلام خاصة ولم يقل أحد من الائمة انه يستقبل القبر عند الدعاء الا فى حكاية مكذوبة تروى عن مالك ومذهبه بخلافها

واتفق الائمة على انه لا يتمسح بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقبله وهذا كله محافظة على التوحيد فان من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قالوا هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الامد فعبدوها وقد ذكر هذا المعنى البخاري في صحيحه عن ابن عباس وذكره ابن جرير الطبري وغيره في التفسير عن غير واحد من السلف وذكره وثيمة وغيره في قصص الانبياء من عدة طرق وقد بسط الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا وأول من وضع الاحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور هم أهل البدع من الرافضة ونحوهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد يدعون بيوت الله التي أمر أن يذكر فيها اسمه ويعبد وحده لا شريك له ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب فيها ويبتدع فيها ومالم ينزل الله به سلطانا فان الكتاب والسنة انما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد كما قال الله تعالى قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين وقال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة الآية وقال الله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وقال الله تعالى ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد وقال الله تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها الآية وقد ثبت عنه في الصحيح انه كان يقول ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك والله سبحانه أعلم كتبه أحمد بن تيمية هذا صورة خطه من أول الجواب الى هنا (قلت) أما قوله من سافر لمجرد زيارة قبور الانبياء والصالحين فهل يجوز له قصر الصلاة على قولين معروفين فيرد عليه فيه أسئلة (أحدها) ان زيارة قبور الانبياء والصالحين اما أن

تكون عنده قربة أومباحة أومعصية فان كانت معصية فلاحاجة الى قوله مجرد فان القولين فى سفر المعصية سواء تجرد قصد المعصية أم انضم اليه قصد آخر وان كان قربة لم يجر فيها القولان بل يقصر بلاخلاف وان كانت مباحة فالمسافر لذلك له حالتان احداهما أن يسافر معتقدا ان ذلك من المباحات المستوية الطرفين فيجوز القصر أيضا بلاخلاف ولا اشكال فى ذلك كالسفر لسائر الامور المباحة والثانية أن يسافر معتقدا ان ذلك قربة وطاعة وهذا سيأتى الكلام فيه وعلى تقدير أن يسلم له ما يقول يكون كلامه هنا مطلقا فى موضع التفصيل فهو على التقديرين الاولين خطأ صريح وعلى التقدير الثالث خطأ بالاطلاق فى موضع التفصيل (السؤال الثانى) انه بنى كلامه فى ذلك على ان هذا السفر مختلف فى تحريمه نقد قدمنا انكار هذا الخلاف وانه لم يتحقق صحته الا ما وقع فى كلام ابن عقيل وقد قدمنا الكلام عليه وعلى تقدير صحته وعدم تأويله لم يتعرض فيه لقبر النبى صلى الله عليه وسلم ولا يجوز أن ينقل عنه فيه بخصوصه شئ مع اطباق الناس على السفر اليه وابن تيمية رحمه الله نقل المنع من القصر فيه عن ابن بطة وابن عقيل وطوائف كثيرين من العلماء المتقدمين وهو مطلوب بتحقيق هذا النقل وتبيين هؤلاء الطوائف الكثيرين من المتقدمين (السؤال الثالث) انه جعل المنع من القصر قول متقدمى العلماء كابن بطة وابن عقيل فجعل ابن عقيل من المتقدمين ثم جعل القول بجواز القصر قول أبى حنيفة رحمه الله وبعض المتأخرين من أصحاب الشافعى وأحمد كالغزالى وغيره والغزالى فى طبقة ابن عقيل بل تأخرت وفاته عنه فان وفاة الغزالى فى سنة خمس وخمسمائة ووفاة ابن عقيل فى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة فكيف يجعل ابن عقيل من المتقدمين والغزالى من المتأخرين وليس ابن تيمية رحمه الله ممن يخفى عنه طبقتهما فان كان مراده بجعله ابن عقيل من المتقدمين أن ينفق قوله عند العوام لاختياره اياه وبجعله الغزالى من المتأخرين أن يضعف قوله عند العوام

فليس ذلك صنيع أهل العلم (وقوله) ان من زارني بعد مماتي فكأنما زارني
في حياتي رواه ابن ماجه ليس كذلك لم أره في سنن ابن ماجه (وقوله) من حج
ولم يزرني فقد جفاني لم يروه أحد من العلماء ليس بصحيح وقد قدمنا من رواه وان
كان ضعيفا (وقوله) لو نذر الرجل أن يصلي في مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه
أو يسافر اليه غير هذه الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتفاق الائمة ليس بصحيح فان
في مذهب الشافعي وجهين مشهورين فيما اذا نذر الاعتكاف في مسجد معين غير
المساجد الثلاثة هل يتعين كما تتعين المساجد الثلاثة أولا (وقوله) حتى نص
العلماء على انه لا يسافر الى مسجد قباء لانه ليس من الثلاثة ليس كذلك عن العلماء
كلهم فان المنقول عن الليث بن سعد انه متى نذر مسجدا لزمه من المساجد الثلاثة
وغيرها والمنقول عن بعض المالكية أنه يجوز اعمال المطي لغير الناذر مطلقا وحمل
على ذلك اتيان النبي صلى الله عليه وسلم مسجد قباء فانه كان بغير نذر فهذان
المذهبان يردان قوله ان العلماء نصوا على انه لا يسافر الى مسجد قباء (وقوله) قالوا
ولان السفر الى زيارة قبور الانبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من
الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا استحب ذلك
أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة
ولاجماع الامة هذا من البهت الصريح وقد قدمنا من فعل ذلك من
الصحابة والتابعين ومن استحبه من علماء المسلمين وائمتهم فجعد ذلك مباهتة (ثم
قوله) قالوا وجعله ذلك على لسان غيره ان كان مراده به ان يخلص من تبعته عند
المخالفة فليس ذلك من دأب العلماء ثم هو مطلوب بنقل هذا القول برمته عن
المتقدمين الذين نسبه اليهم أو عن بعضهم ثم نسبة ذلك الى غيره لا تخلصه لانه انما
حكاه حكاية من يرتضيه وينتصر له ويفتي به العوام ويغريهم على اعتقاده ولا يفرق
العامي الذي يسمع هذه الفتيا بين أن يذكره عن نفسه أو حاكيا عن غيره (وقوله)

وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بطة فى ابانته الصغرى قلنا فقد ذكرنا عن ابن بطة فى الابانة ما يخالف هذا فى حق قبر النبى صلى الله عليه وسلم ورأيت من يذكر ان لابن بطة ابانتين وان الذى نقله ابن تيمية رحمه الله من الصغرى والذى نقلناه من الكبرى فان صح ذلك وصح مانقله ابن بطة فى الصغرى فيحمل على غير قبر النبى صلى الله عليه وسلم توفيقا بين الكلامين وان قال ابن بطة خلاف ذلك لم يلتفت اليه وقد ذكر الخطيب ابن بطة فى تاريخ بغداد وحكى كلام المحدثين فيه من جهة دعوى سماع مالم يسمع وقول أبى القاسم الازهرى فيه انه ضعيف ضعيف ليس بحجة وذكر عنه عن البغوى عن مصعب عن مالك عن الزهرى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال انه باطل من حديث مالك ومن حديث مصعب عنه ومن حديث البغوى عن مصعب وهو موضوع بهذا الاسناد والحمل فيه على ابن بطة هكذا قال فى التاريخ وحكى مع ذلك أيضا انه كان شيخا صالحا مستجاب الدعوة فالله تعالى يسلمنا من اثمه وانما أردنا أن نبين حاله ليعلم الناظر انه على تقدير صحة النقل عنه ليس ممن يعد فى كلامه الخطا (وقوله) ان قول أبى محمد المقدسى ان قوله لا تشد الرحال محمول على نفى الاستحباب يحتمل وجهين أحدهما أن هذا تسليم منه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ولا قربة ولا طاعة ولا هو من الحسنات فاذا من اعتقد فى السفر لزيارة قبور الانبياء والصالحين أنها قربة وعبادة وطاعة فقد خالف الاجماع اعلم أن هذا الكلام فى غاية الايهام والفساد أما الايهام فلان بعض من يراه يتوهم انه استنتج مما سبق انعقاد الاجماع على أن ذلك ليس بقربة ونحن قد قدمنا عن الليث بن سعد وبعض المالكية ما يقتضى أن السفر الى غير المساجد الثلاثة قربة فبطل التعرض لدعوى الاجماع وانما مقصود ابن تيمية رحمه الله الزام أبى محمد المقدسى على قوله ان لا تشد الرحال محمول على نفى الاستحباب وعلى تقدير ان هذا تسليم منه لان هذا السفر

ليس بعمل صالح وغاية ما يلزم من هذا أن هذا السفر ليس بقربة وان من اعتقد أنه قربة فقد خالف أبا محمد وأين ذلك من مخالفة الاجماع وأما افساده فلان أبا محمد انما تكلم في جواز القصر ومقصوده اثبات الاباحة فانها كافية فيه فنفي توهم التحريم بحمل الحديث على نفي الفضيلة أي لا يستحب شد الرحال الى مكان الا الى الثلاثة ومع هذا لا بد فيه من تأويل لان السفر مستحب لطلب العلم وغيره الى غيرها فالمقصود لا يستحب اليها من حيث هي وقد يكون هناك أمر آخر يقتضي الاستحباب أو الوجوب ولا مانع أن يكون قصد زيارة شخص مخصوص أو اشخاص مما يقتضي الاستحباب ولم يتعرض أبو محمد لذلك لانه لم يتكلم فيه وانما تكلم في جواز القصر فاقتصر على ما يكفي فيه وهو اثبات الاباحة (وقوله) واذا سافر لاعتقاده انها طاعة كان ذلك محرما باجماع المسلمين فصار التحريم من الامر المقطوع به هذا أيضا موهم وفاسد أما ايهامه فلان كثيرا من يسمعه يظن أن هذا كلام مبتدأ ادعى فيه انعقاد الإجماع على التحريم وان ذلك مقطوع به وكان ابن تيمية أراد ذلك وجعله معطوفا على الزام الشيخ أبي محمد حتى اذا حوقق فيه يخلص من دركه بجعله معطوفا وليس هذا دأب من يبغي الارشاد بل من يبغي الفساد وأما افساده فلانا لو سلمنا أن السفر ليس بطاعة بالاجماع فسافر شخص معتقدا انه طاعة كيف يكون سفره محرما باجماع المسلمين أو على قول عالم من علماء المسلمين فان من فعل مباحا معتقدا انه قربة لا يأثم ولا يوصف ذلك بكونه محرما بل ان كان اعتقاده ذلك لما ظنه دليلا وليس بدليل وقد بذل وسعه في ذلك كان مثابا عليه بمقتضى ظنه والا كان جهلا ولا اثم عليه فيه ولا أجر وفعله موصوف بالاباحة على حاله فمن أين يأتي وصفه بالتحريم وانما يأتي هذا الكلام في المباح اذا فعله على وجه العبادة مع اعتقاده انها ليس بعبادة فهذا يأثم به ويكون حراما لانه تقرب الى الله تعالى بما ليس بقربة عند الله تعالى ولا في ظنه ومن هنا نشأ الغلط في هذه المسئلة وهكذا سائر البدع ومن ابتدع عبادة

فعليه اثم ابتداعه لانه ادخل فى الدين ماليس منه واثم فعله لانه تقرب بما يعتقد انه ليس من الدين وأما من قلده من العوام فان كان ذلك مما يسوغ فيه التقليد كالفروع وفعله معتقدا انه عبادة شرعية فلا اثم عليه وان كان مما لا يسوغ فيه التقليد كاصول الدين فعليه الاثم ومسئلتنا هذه من الفروع فلو فرضنا انه لم يقل أحد باستحباب السفر وفعله شخص على جهة الاستحباب معتقدا ذلك لشبهة عرضت له لم يحرم ولم يأثم فكيف وكل الناس قائلون باستحبابه (وقوله) ومعلوم أن أحدا لا يسافر اليها الا لذلك هذا يقتضى أن كلامه ليس فى أمر مفروض بل فى الواقع الذى عليه الناس وان الناس كلهم انما يسافرون لاعتقادهم أنها طاعة والامر كذلك و يقتضى على زعمه أن سفر جميعهم محرم باجماع المسلمين فانا لله وانا اليه راجعون أيكون جميع المسلمين فى سائر الاعصار من سائر أقطار الارض مرتكبين لأمر محرم مجمعين عليه فهذا الكلام من ابن تيمية رحمه الله يقتضى تضليل الناس كلهم القاصدين لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم ومعصيتهم وهذه عثرة لا تقال ومصيبة عظيمة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (وقوله) وأما اذا قدر ان الرجل يسافر اليها لغرض مباح فهذا جائز وليس من هذا الباب مفهوم هذا الكلام أن غرض الزيارة ليس بمباح (وقوله) الوجه الثانى أن النفى يقتضى النهى والنهى يقتضى التحريم ظاهر صدر كلامه ان كلام أبى محمد يحتمل وجهين هذا ثانيهما وانما يتجه هذا الوجه الثانى على سبيل الرد لقول أبى محمد يعنى أن حمله على نفى الاستحباب خلاف الظاهر لانه نفى والنفى يقتضى النهى والنهى يقتضى التحريم وجواب هذا بالدليل المانع من حمله على التحريم وتعين المصير الى المجاز على أن هذه العبارة فاسدة لان النفى لا يقتضى النهى وانما يستعمل فيه على سبيل المجاز ثم قد يقال بأن النهى يقتضى النفى على العكس مما قال أما كون النفى يقتضى النهى فلا يقول به أحد وانما مراده انه نفى بمعنى النهى واذا عرف هذا فلابى محمد أن يقول لا شك

أن حقيقة النفي خبر لا يقتضي تحريما ولا كراهة والنهي له معنيان أحدهما هو فيه حقيقة وهو التحريم والآخر هو فيه مجاز وهو الكراهة فاذا صرف النفي عن حقيقته الخبرية الى معنى النهي احتمل أن يستعمل في التحريم أو الكراهة وأيا ما كان فاستعماله فيه مجاز لان الخبر غير موضوع له فان رجح استعماله في التحريم لبعض المرجحات كان ذلك من باب ترجيح بعض المجازات على بعض وقد يكون ذلك الترجيح معارضا بترجيح آخر فلأبي محمد أن يمنع كون اللفظ المذكور حقيقة في التحريم أو ظاهرا فيه فان الخبر ليس مستعملا في لفظ النهي بل في معناه ومعناه منقسم الى الحقيقي والمجازي فان قيل النهي النفساني شئ واحد وهو طلب الترك الجازم المانع من النقيض وما سواه ليس بنهي حقيقة فاذا ثبت أن المراد بالخبر النهي ثبت التحريم قلنا حينئذ يمنع أن المراد بالخبر النهي (وقوله) ان ما ذكروه من الاحاديث في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم كلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث بل هي موضوعة لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيأ منها قد بينا بطلان هذه الدعوى في أول هذا الكتاب ماروى عن مالك من كراهة قوله زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم بينا مراده في الباب الرابع (وقوله) ولو كان هذا اللفظ مشروعا عندهم الخ كلام في غير محل النزاع لان النزاع ليس في اللفظ ولم يسئل عنه وانما هو في المعنى وما ذكره عن أحمد وابي داود ومالك في الموطا فكله حجة عليه لاله لان المقصود معنى الزيارة وهو حاصل من تلك الآثار وأما حديث لا تتخذوا قبري عيدا فقد تقدم الكلام عليه وحديث لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يدل على مدعاه لانا لم نتخذه مسجدا فان أراد قياس الزيارة عليه فقد سبق الكلام في ذلك (وقوله) فهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء لئلا يصلي أحد عند قبره و يتخذه مسجدا فيتخذ قبره وثنا هذا ليس بصحيح وانما دفنوه في حجرة عائشة لما روى لهم أن

الانبياء يدفنون حيث يقبضون بعد اختلافهم فى أين يدفن فلما روى لهم الحدث المذكور دفنوه هنالك وهذا من الأمور المشهورة التى يعرفها كل أحد ولم يقل أحد انهم دفنوه هنالك للغرض الذى ذكره (قوله) وكان الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد لايدخل أحد الى عنده لا الصلاة هنالك ولا لمسح بالقبر ولا دعاء هنالك فنقول ان هذا لايدل على مقصوده ونحن نقول ان من أدب الزيارة ذلك وننهى عن التمسح بالقبر والصلاة عنده على أن ذلك ليس مما قام الاجماع عليه فقد روى أبو الحسين يحيى بن أبى الحسن بن جعفر بن عبيد الله الحسينى فى كتاب أخبار المدينة قال حدثنى عمر ابن خالد حدثنا أبو نباتة عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال أقبل مروان بن الحكم فاذا رجل ملتزم القبر فأخذ مروان برقبته ثم قال هل تدرى ماذا تصنع فأقبل عليه فقال نعم انى لم آت الحجر ولم آت اللبن انما جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتبكوا على الدين اذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه اذا وليه غير أهله قال المطلب وذلك الرجل أبو أيوب الانصارى رضى الله عنه قلت وأبو نباتة يونس بن يحيى ومن فوقه ثقات وعمر بن خالد لم أعرفه فان صح هذا الاسناد لم يكره مس جدار القبر وانما أردنا بذكره القدح فى القطع بكراهة ذلك (قوله) وكان السلف من الصحابة والتابعين اذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلى القبلة ولم يستقبلوا القبر هذا فيه اعتراف بدعاء السلف عند السلام وتركهم الدخول الى الحجرة مبالغة فى الادب وتركهم استقبال القبر عند الدعاء ان صح لايدل على انكار الزيارة ولا على انكار السفر لها (قوله) وأما وقت السلام عليه فقال أبو حنيفة رحمه الله يستقبل القبلة أيضا هو كذلك ذكره أبو الليث السمرقندى فى الفتاوى عطفا على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن أبى حنيفة رحمه الله وقال السروجى الحنفى يقف عندنا مستقبل القبلة قال الكرمانى وعن أصحاب الشافعى

وغـيره يقف وظهره الى القبلة ووجهه الى الحظيرة وهو قول ابن حنبـل واسـتدلت الحنفية بأن ذلك جمع بين عبادتين وقول أكثر العلماء استقبال القبلة عنـد السلام وهو الاحسن والادب فان الميت يعامل معامـلة الحى والحى يسلم عليـه مستقبلا فكذلك الميت وهذا لا ينبغى أن يتردد فيـه (وقوله) ان أكثر العلماء قالوا يستقبله عند السلام خاصة التقييد بقوله خاصة يطلب بنقـله بل مقتضى كلام أكثر العلماء من الشافعية والمالكية والحنابلة الاستقبال عنـد السلام والدعاء وذكر النقـل فى استقبال القبـلة عن أبى حنيفة رحمـه الله ليس فى المشهور من كتب الحنفية بـل غالب كتبهم ساكتـة عن ذلك وقـد قدمنا عن أبى حنيفة رحمـه الله أنه قال جاء أيوب السختيانى فـدنا من قـبر النبى صلى الله عليه وسلم فاستدبر القبـلة وأقبل بوجهه الى القـبر وقال ابراهيم الحربى فى مناسكه تولى ظهرك القبـلة وتسـتقبل وسطه يعنى القبر ذكره الآجرى عنـه فى كتاب الشريعة وذكر السلام والدعاء (قوله) ولم يقل أحد من الائمة انه يسـتقبل القـبر عند الدعاء الا فى حكاية مكذوبة تروى عن مالك ومذهبه بخلافها وأما انكاره ذلك عن أحد من الائمـة فقـد قدمنا عن أبى عبـد الله السامرى الحنبلى صاحب كتاب المستوعب فى مـذهب أحـمد أنه قال يجعل القبر تلقاء وجهه والقبـلة خلف ظهره والمنـبر عن يساره وذكر كيفيـة السلام والدعاء الى آخره وظاهر ذلك أنه يسـتقبل القـبر فى السلام والدعاء جميعا وهكذا أصحابنا وغـيرهم اطـلاق كلامهـم يقتضى أنه لا فرق فى استقبال القبر بين حالتى السلام والدعاء وكـذا ما قدمناه الآن عن ابراهيم الحربى وقد صرح أصحابنا بأنه يأتى القبر الكريم فيستدبر القبـلة ويستقبل جـدار القبر ويبعـد من رأس القـبر نحو أربع أذرع فيسـلم عـلى النبى صـلى الله عليـه وسـلم ثم يتأخر صوب يمينـه فيسلم على أبى بكر رضى الله عنـه ثم يتأخر أيضا فيسلم على عمر رضى الله عنـه ثم يرجع الى موقفـه الاول قبالة وجـه رسول الله صـلى الله عليـه وسلم

الانبياء يدفنون حيث يقبضون بعد اختلافهم فى أين يدفن فلما روى لهم الحدث المذكور دفنوه هنالك وهذا من الأمور المشهورة التى يعرفها كل أحد ولم يقل أحد انهم دفنوه هنالك للغرض الذى ذكره (قوله) وكان الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد لايدخل أحد الى عنده لاالصلاة هنالك ولا لمسح بالقبر ولادعاء هنالك فنقول ان هذا لايدل على مقصوده ونحن نقول ان من أدب الزيارة ذلك وننهى عن التمسح بالقبر والصلاة عنده على أن تلك ليس مما قام الاجماع عليه فقد روى أبو الحسين يحيي بن أبى الحسن بن جعفر بن عبيد الله الحسينى فى كتاب أخبار المدينة قال حدثنى عمر ابن خالد حدثنا أبو نباتة عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال أقبل مروان بن الحكم فاذا رجل ملتزم القبر فأخذ مروان برقبته ثم قال هل تدرى ماذا تصنع فأقبل عليه فقال نعم انى لم آت الحجر ولم آت اللبن انما جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتبكوا على الدين اذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه اذا وليه غير أهله قال المطلب وذلك الرجل أبو أيوب الانصارى رضى الله عنه قلت وأبو نباتة يونس بن يحيي ومن فوقه ثقات وعمر بن خالد لم أعرفه فان صح هذا الاسناد لم يكره مس جدار القبر وانما أردنا بذكره القدح فى القطع بكراهة ذلك (قوله) وكان السلف من الصحابة والتابعين اذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلى القبلة ولم يستقبلوا القبر هذا فيه اعتراف بدعاء السلف عند السلام وتركهم الدخول الى الحجرة مبالغة فى الادب وتركهم استقبال القبر عند الدعاء ان صح لايدل على انكار الزيارة ولا على انكار السفر لها (قوله) وأما وقت السلام عليه فقال أبو حنيفة رحمه الله يستقبل القبلة أيضا هو كذلك ذكره أبو الليث السمرقندى فى الفتاوى عطفا على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن أبى حنيفة رحمه الله وقال السروجى الحنفى يقف عندنا مستقبل القبلة قال الكرمانى وعن أصحاب الشافعى

وغيره يقف وظهره الى القبلة ووجهه الى الحظيرة وهو قول ابن حنبل واستدلت الحنفية بأن ذلك جمع بين عبادتين وقول أكثر العلماء استقبال القبلة عند السلام وهو الاحسن والادب فان الميت يعامل معاملة الحي والحي يسلم عليه مستقبلا فكذلك الميت وهذا لا ينبغي أن يتردد فيه (وقوله) ان أكثر العلماء قالوا يستقبله عند السلام خاصة التقييد بقوله خاصة يطلب بنقله بل مقتضى كلام أكثر العلماء من الشافعية والمالكية والحنابلة الاستقبال عند السلام والدعاء وذكر النقل في استقبال القبلة عن أبي حنيفة رحمه الله ليس في المشهور من كتب الحنفية بل غالب كتبهم ساكتة عن ذلك وقد قدمنا عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال جاء أيوب السختياني فدنا من قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاستدبر القبلة وأقبل بوجهه الى القبر وقال ابراهيم الحربي في مناسكه تولى ظهرك القبلة وتستقبل وسطه يعني القبر ذكره الآجري عنه في كتاب الشريعة وذكر السلام والدعاء (قوله) ولم يقل أحد من الائمة انه يستقبل القبر عند الدعاء الا في حكاية مكذوبة تروى عن مالك ومذهبه بخلافها وأما انكاره ذلك عن أحد من الائمة فقد قدمنا عن أبي عبد الله السامري الحنبلي صاحب كتاب المستوعب في مذهب أحمد أنه قال يجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره وذكر كيفية السلام والدعاء الى آخره وظاهر ذلك أنه يستقبل القبر في السلام والدعاء جميعا وهكذا أصحابنا وغيرهم اطلاق كلامهم يقتضي أنه لا فرق في استقبال القبر بين حالتي السلام والدعاء وكذا ما قدمناه الآن عن ابراهيم الحربي وقد صرح أصحابنا بأنه يأتي القبر الكريم فيستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر ويبعد من رأس القبر نحو أربع أذرع فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يتأخر صوب يمينه فيسلم على أبي بكر رضي الله عنه ثم يتأخر أيضا فيسلم على عمر رضي الله عنه ثم يرجع الى موقفه الاول قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويتوسل به فى حق نفسه ويستشفع به الى ربه سبحانه وتعالى ويقول حكاية العتبى ثم يتقدم الى رأس القبر فيقف بين القبر والاسطوانة التى هناك ويستقبل القبلة ويحمد الله تعالى ويمجده ويدعو لنفسه ولوالديه ومن شاء بما أحب وحاصله أن استقبال القبلة فى الدعاء حسن واستقبال القبر أيضا حسن لاسيما حالة الاستشفاع به ومخاطبته ولا اعتقد أن أحدا من العلماء كره ذلك ومن ادعى ذلك فليثبته (وقوله) ان الحكاية عن مالك مكذوبة فقد قدمنا أن هذه الحكاية رواها القاضى عياض عن القاضى أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعرى وأبى القاسم أحمد بن تقى الحاكم وغير واحد فيما أجازوه قالوا حدثنا أحمد بن عمر بن دلهاث حدثنا على بن بهر حدثنا محمد بن أحمد بن أبى الفرج حدثنا أبو الحسن عبد الله ابن المنتاب حدثنا يعقوب بن اسحق بن أبى اسرائيل حدثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرها الى أن قال أبو جعفر يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى * هكذا ذكرها القاضى عياض فى الشفاء فى الباب الثالث فى تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره صلى الله عليه وسلم ولم يعقبها بانكار ولا قال ان مذهبه بخلافها بل قال فى الباب الرابع فى فصل فى حكم زيارة قبره قال مالك فى رواية ابن وهب وهو اذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده فهذا نص عن مالك من طريق أجل أصحابه وهو عبد الله بن وهب أحد الائمة الاعلام صريح فى انه يستقبل عند الدعاء القبر لا القبلة وذكر القاضى عياض انه قال فى المبسوط لا أرى أن يقف عند القبر يدعو ولكن يسلم ويمضى قلت فالاختلاف بين المبسوط ورواية ابن وهب فى كونه يقف للدعاء أولا وليس فى الاستقبال وقد

قدمنا عن كثير من كتب المالكية أنه يقف و يدعو ولم نر أحدا منهم قال بأنه اذا
وقف عند القبر يستدبره و يدعو ولا يجعله الى جانبه فكيف يحل لذى علم أن
يدعى أن مذهب مالك بل مذهب جميع العلماء بخلاف الحكاية المذكورة و يجعل
ذلك وسيلة الى تكذيبها وتكذيب ناقليها بمجرد الوهم والخيال من غير دليل
اقتضى له ذلك الا مجرد شئ قام فى نفسه وقد ذكر القاضى عياض اسنادها
وهو اسناد جيد أما القاضى عياض فناهيك به نبلا وجلالة وثقة وأمانة وعلما
ومجمعا عليه وشيخه أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن
ابن أحمد بن بقى بن مخلد من بيت العلم والجلالة ذكره ابن بشكوال وذكر شيوخه
الذين سمع منهم ثم قال وكتب اليه أبو العباس العذرى بالاجازة وشوور بالاحكام
بقرطبة فصار صدر المفتين بها السنه وتقدمه وهو من بيت علم ونباهة وفضل
وصيانة وكان ذاكرا للمسائل والنوازل دريا بالفتوى بصيرا بعقد الشروط
وعللها مقدما فى معرفتها أخذ الناس عنه وولد فى شعبان سنة ست وأربعين
وأربعمائة وتوفى فى سلخ سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة «وذكر ابن بشكوال»
أيضا أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على بن سعيد بن عبد الله بن سيرين يكنى
أبا عبد الله كان من أهل العلم والمعرفة والفهم عالما بالفروع والاصول واستقضى
باشبيلية وحمدت سيرته توفى سنة ثلاث وخمسمائة كتب الى القاضى أبو الفضل
بوفاته قلت والظاهر أنه الذى وصفه القاضى عياض بالاشعرى وشيخهم
أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث العذرى قال أبو القاسم خلف بن عبد
الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال رحل الى المشرق مع أبويه سنة سبع
وأربعمائة ووصلوا الى بيت الله الحرام فى شهر رمضان سنة ثمان وجاوروا أعواما
وانصرف عن مكة سنة ست عشرة فسمع بالحجاز سماعا كثيرا وصحب الشيخ الحافظ

أباذر الهروى وسمع منه صحيح البخارى سبع مرات وكان معتنيا بالحديث ونقله وروايته وضبطه مع ثقته وجلالة قدره وعلو اسناده سمع الناس منه وحدث عنه كبار العلماء ابن عبد البر وابن حزم وأبو على الغسانى وجماعة قال أبو على أخبرنى أبو العباس أن مولده فى ذى القعدة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وتوفى فى آخر شعبان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ودفن بالمدينة وشيخه أبو الحسن على بن الحسن بن على بن فهر الرازى المصرى الحافظ روى عن الحسن بن رشيق واسمعيل بن أبى محمد الازدى وروى مسند الموطا عن مؤلفه الجوهرى وسمعه منه بمصر روى عنه البيهقى وشيخه محمد بن أحمد بن محمد بن الفرج أبو بكر المعرى الجزائرى القماح توفى فى ذى القعدة سنة ثمان وستين وثلثمائة وذكره ابن السمعانى فى الجزائريين ذكره التراب عن الماليني قال وقال ابن المنذر هو ثقة وشيخه أبو الحسن عبد الله ابن المنتاب هو عبد الله بن محمد بن المنتاب القاضى روى عنه أبو الحسن الجوزى أحد أئمة أصحابنا مقرونا بأبى بكر النيسابورى حديث الاسلام أن يسلم وجهك فتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت وتعتمر وشيخه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم بن كامجرا المعروف والده باسحق بن أبى اسرائيل حدث عن أبيه وداود ابن رشيد وأحمد بن عبد الصمد الانصارى والحسن بن شبيب وعمر بن شبيه النميرى روى عنه المفضل بن سلمة وعبد الصمد الطنيمى وأبو القاسم الطبرانى قال الدارقطنى لا بأس به ذكره الخطيب وشيخه ابن حميد أظن أنه أبو سفيان محمد ابن حميد المعمرى قال الخطيب ذكره فى الرواة عن مالك وأنه قال لما كتب مالك موطاه أرانيه فجعل يعرضه على ويقول قلت فى كسوة المسلمين فى كفارة اليمين كذا أليس هذا حسنا فأر بكه فهو ثقة روى له مسلم توفى سنة اثنين ومائتين وقيل له المعمرى لانه رحل الى معمر فانظر الى هذه الحكاية وثقة رواتها وموافقتها لما رواه ابن وهب عن مالك وحسبك ابن وهب فقد قيل كان الناس بالمدينة يختلفون

فى الشئ عن مالك فينظرون قدوم ابن وهب حتى يسألوه عنه وقال ابن بكير ابن وهب أفقه من ابن القاسم ولنا ههنا طرق (احداها) الاخذ برواية ابن وهب فقط لرجحانها (الثانية) الاعتراف بالروايتين وان هذا ليس من الاختلاف فى حلال وحرام ولا فى مكروه فان استقبال القبلة حسن واستقبال القبر حسن (الثالثة) لو ثبت له ما زعمه من استقبال القبلة خاصة وعدم استقبال القبر عند الدعاء فأى شئ يلزم من ذلك وهل هذا الا كما اذا قلت المصلى يستقبل القبلة ولا يستقبل القبر فهل لهذا مدخل فى الزيارة (٢) ولفظه من العوام ربا لنفسه عن هذا الكلام فضلا عن علماء الاسلام وقد طالعت عدة كتب من كتب المالكية فلم أر فيها عن أحد المنع من استقبال القبر فى الدعاء ولا كراهة ذلك ولا أنه خلاف الاولى غير ما قدمته عن المبسوط وليس ذلك فى أنه يدعو غير مستقبل كما ادعاه ابن تيمية والذى ادعى ابن تيمية انه مذهب مالك ومذهب جميع العلماء وأنه اذا سلم مستقبل القبر وأراد الدعاء استدبر القبر ولاجله ردا الحكاية المذكورة عنه لم ألقه فى شئ من كتب المالكية ولا من كتب غيرهم وقد قدمت فى الباب الرابع من كلام المالكية فى الزيارة جملة وبقيت جملة أذكرها ههنا * قال أبو الحسن اللخمى فى التبصرة فى باب من جاء مكة ليلا أو بعد العصر أو الصبح ويبتدئ فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بركعتين تحية المسجد قبل أن يأتى القبر ويسلم وهذا قول مالك وقال ابن حبيب يقول اذا دخل بسم الله وسلام على رسول الله يريد أنه يبتدئ بالسلام من موضعه ثم يركع ولو كان دخوله من الباب الذى بناحية القبر ومروره عليه فوقف فسلم ثم تمادى الى موضع يصلى فيه لم يكن ضيقا انتهى كلام اللخمى * وقال ابن بشير المالكى فى كتاب التنبيه على مبادى التوجيه فى باب حكم دخول مكة وحكم الطواف والركوع والسعى والأولى لمن دخل المدينة الابتداء بالركوع فى مسجده ثم ينصرف الداخل الى القبر فيسلم على

الرسول صلى الله عليه وسلم ويكثر من الصلاة عليه ثم يدعو في نفسه بما أحب ثم يسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويستحب له أن يفعل ذلك عند خروجه من المدينة وظاهر هذا الكلام أنه يدعو مستقبل القبر * وقال ابن يونس المالكي في باب فرائض الحج والغسل لها ودخول المدينة وصفة الاحرام والتلبية قال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله السلام على رسول الله السلام علينا من ربنا صلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيه ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله تعالى وتسأله تمام ماخرجت له والعون عليه وان كانت ركعتان في غير الروضة أجزأتا عنك وفي الروضة أفضل وقد قال عليه السلام ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة * قال ابن حبيب ثم اقصد اذا قضيت ركعتيك الى القبر من وجاه القبلة فادن منه ثم سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثن عليه وعليك السكينة والوقار فانه صلى الله عليه وسلم يسمع ويعلم وقوفك بين يديه وتسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتدعو لهما وأكثر الصلاة في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالليل والنهار ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء انتهى وناهيك بهذا الكلام من ابن حبيب رحمه الله وتصريحه وجزمه بأن النبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلام المسلم عليه ويعلم وقوفه بين يديه وابن حبيب رحمه الله من أجلة العلماء وقال النووي في كتاب رؤس المسائل عن الحافظ أبي موسى الاصبهاني انه روى عن مالك بن أنس الامام رحمه الله أنه قال اذا أراد الرجل أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيستدبر القبلة ويستقبل النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي عليه ويدعو ورأيت في شرح كتاب عبد الله بن عبد الحكم الكبير لابي بكر بن محمد بن عبد الله بن صالح الابهري

فى كتاب الجامع قال ابن وهب سئل مالك أين يقف من أراد التسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبر قال عند الزاوية التى تلى القبلة مما يلى المنبر مستقبل القبلة ولا أحب أن يمس القبر بيده انما قال ذلك لانه شاهد الناس يسلمون على النبى صلى الله عليه وسلم فاستحب الاقتداء بهم ولا يمس قبره ولا حائطه تعظيما له ولان ذلك لم يكن عليه فعل من مضى وهذه النسخة يحتمل أن تكون غلطا الان رواية ابن وهب عن مالك كما تقدم أن المسلم يستقبل القبر لا القبلة ويشهد لها رواية أبى موسى وكلام المالكية ويحتمل أن يكون عنه فى ذلك روايتان (احداهما) كمذهب أبى حنيفة رحمه الله (والاخرى) هى المشهورة ولو ثبت عن مالك وعن غيره ان الاولى استقبال القبلة فى الدعاء لا القبر لم يكن فى ذلك شئ من منع الزيارة ولا السفر ولا مانعا من تعظيم القبر ومن اعتقد ذلك فقد ضل وكل ماذكره بعد ذلك تقدم الجواب عنه وأنه لا يدل على مقصوده

﴿ الباب الثامن فى التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبى صلى الله عليه وسلم ﴾

اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبى صلى الله عليه وسلم الى ربه سبحانه وتعالى وجواز ذلك وحسنه من الامور المعلومة لكل ذى دين المعروفة من فعل الانبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين ولم ينكر أحد ذلك من أهل الاديان ولا سمع به فى زمن من الازمان حتى جاء ابن تيمية فتكلم فى ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الاغمار وابتدع ما لم يسبق اليه فى سائر الاعصار ولهذا طعن فى الحكاية التى تقدم ذكرها عن مالك فان فيها قول مالك للمنصور واستشفع به ونحن قد بينا صحتها ولذلك أدخلنا الاستغاثة فى هذا الكتاب لما يعرض اليها مع الزيارة وحسبك أن انكار ابن تيمية للاستغاثة

والتوسل قول لم يقله عالم قبله وصار به بين أهل الاسلام مثله وقد وقفت له على كلام طويل في ذلك رأيت من الرأى القويم أن أميل عنه الى الصراط المستقيم ولا أتتبعه بالنقض والابطال فان دأب العلماء القاصدين لايضاح الدين وارشاد المسلمين تقريب المعنى الى افهامهم وتحقيق مرادهم وبيان حكمه ورأيت كلام هذا الشخص بالضد من ذلك فالوجه الاضراب عنه (وأقول) ان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم جائز في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة وهو على ثلاثة أنواع (النوع الاول) أن يتوسل به بمعنى ان طالب الحاجة يسأل الله تعالى به أو بجاهه أو ببركته فيجوز ذلك في الاحوال الثلاثة وقد ورد في كل منها خبر صحيح أما الحالة الاولى قبل خلقه فيدل لذلك آثار عن الانبياء الماضين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اقتصرنا منها على ما تبين لنا صحته وهو مارواه الحاكم أبو عبد الله بن البيع في المستدرك على الصحيحين أو أحدهما قال حدثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل حدثنا أبو الحسن محمد بن اسحق بن ابراهيم الحنظلى حدثنا أبو الحرث عبد الله بن مسلم الفهرى حدثنا اسمعيل بن مسلمة أنبأنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم عليه السلام الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لى فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يارب لانك لما خلقتنى بيدك ونفخت فىّ من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله صدقت يا آدم انه لأحب الخلق الى اذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك * قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب ورواه

البيهقي أيضا في دلائل النبوة وقال تفرد به عبد الرحمن وذكره الطبراني وزاد فيه وهو آخر الانبياء من ذريتك (وذكر الحاكم) مع هذا الحديث أيضا عن علي بن حماد العدل حدثنا هرون بن العباس الهاشمي حدثنا جندل ابن والق حدثنا عمرو بن أوس الانصاري حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال أوحى الله الى عيسى عليه السلام ياعيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ماخلقت آدم ولولاه ماخلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله فسكن قال الحاكم هذا حديث حسن صحيح الاسناد ولم يخرجاه انتهى ما قاله الحاكم والحديث المذكور لم يقف عليه ابن تيمية بهذا الاسناد ولا بلغه أن الحاكم صححه فانه قال أعني ابن تيمية أما ماذكره في قصة آدم من توسله فليس له أصل ولا نقله أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد يصلح للاعتماد عليه ولا الاعتبار ولا الاستشهاد ثم ادعى ابن تيمية أنه كذب وأطال الكلام في ذلك جدا بما لا حاصل تحته بالوهم والتخرص ولو بلغه أن الحاكم صححه لما قال ذلك أو لتعرض للجواب عنه وكأني به ان بلغه بعد ذلك يطعن في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم راوي الحديث ونحن نقول قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم وأيضا عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم لا يبلغ في الضعف الى الحد الذي ادعاه وكيف يحل لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الامر العظيم الذي لا يرده عقل ولا شرع وقد ورد فيه هذا الحديث وسنزيد هذا المعنى صحة وتثبيتا بعد استيفاء الاقسام وأما ماورد من توسل نوح وابراهيم وغيرهما من الانبياء فذكره المفسرون واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته وتصحيح الحاكم له ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ التوسل أو الاستغاثة أو التشفع أو التجوه والداعي بالدعاء المذكور وما في معناه متوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لانه جعله وسيلة لاجابة الله دعاءه ومستغيث

به والمعنى أنه استغاث الله به على ما يقصده فالباء ههنا للسببية وقد ترد للتعدية كما تقول من استغاث بك فأغثه ومستشفع به ومتجوه به ومتوجه فان التجوه والتوجه راجعان الى معنى واحد «فان قلت» المتشفع بالشخص من جاء به ليشفع له فكيف يصح أن يقال يتشفع به قلت ليس الكلام فى العبارة وانما الكلام فى المعنى وهو سؤال الله بالنبى صلى الله عليه وسلم كما ورد عن آدم وكما يفهم الناس من ذلك وانما يفهمون من التشفع والتوسل والاستغاثة والتجوه ذلك ولا مانع من اطلاق اللغة هذه الالفاظ على هذا المعنى والمقصود جواز أن يسأل العبد الله تعالى بمن يقطع أن له عند الله قدرا ومرتبة ولا شك أن النبى صلى الله عليه وسلم له عند الله قدر على ومرتبة رفيعة وجاه عظيم وفى العادة ان من كان له عند الشخص قدر بحيث انه اذا شفع عنده قبل شفاعته فاذا انتسب اليه شخص فى غيبته وتوسل بذلك وتشفع به فان ذلك الشخص يجيب السائل اكراما لمن انتسب اليه وتشفع به وان لم يكن حاضرا ولا شافعا وعلى هذا التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل خلقه ولسنا فى ذلك سائلين غير الله تعالى ولا داعين الا اياه ويكون ذكر المحبوب أو العظيم سببا للاجابة كما فى الادعية الصحيحة المأثورة أسألك بكل اسم هو لك وأسألك بأسمائك الحسنى وأسألك بأنك أنت الله وأعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك وحديث الغار الذى فيه الدعاء بالاعمال الصالحة وهو من الاحاديث الصحيحة المشهورة فالمسؤل فى هذه الدعوات كلها هو الله وحده لا شريك له والمسؤل به مختلف ولم يوجب ذلك اشراكا ولا سؤال غير الله كذلك السؤال بالنبى صلى الله عليه وسلم ليس سؤالا للنبى صلى الله عليه وسلم بل سؤال لله به واذا جاز السؤال بالاعمال وهى مخلوقة فالسؤال بالنبى صلى الله عليه وسلم أولى ولا يسمع الفرق بأن الاعمال تقتضى المجازاة عليها لان استجابة الدعاء لم تكن عليها والا لحصلت بدون ذكرها وانما كانت على الدعاء بالاعمال وليس هذا

المعنى مما يختلف فيه الشرائع حتى يقال إن ذلك شرع من قبلنا فانه لو كان ذلك مما يخل بالتوحيد لم يحل فى ملة من الملل فان الشرائع كلها متفقة على التوحيد وليت شعرى ما المانع من الدعاء بذلك فان اللفظ انما يقتضى أن للمسؤل به قدرا عند المسؤل وتارة يكون المسؤل به أعلى من المسؤل أما البارى سبحانه وتعالى فكما فى قوله من سألكم بالله فأعطوه وفى الحديث الصحيح فى حديث أبرص وأقرع وأعمى أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن الحديث وهو مشهور وأما بعض البشر فيحتمل أن يكون من هذا القسم قول عائشة لفاطمة أسألك بما لى عليك من الحق وتارة يكون المسؤل أعلى من المسؤل به كما فى سؤال الله تعالى بالنبى صلى الله عليه وسلم فانه لاشك أن النبى صلى الله عليه وسلم قدرا عنده ومن أنكر ذلك فقد كفر فمتى قال أسألك بالنبى صلى الله عليه وسلم فلاشك فى جوازه وكذا اذا قال بحق محمد والمراد بالحق الرتبة والمنزلة والحق الذى جعله الله على الخلق أو الحق الذى جعله الله بفضله له عليه كما فى الحديث الصحيح قال فما حق العباد على الله وليس المراد بالحق الواجب فانه لايجب على الله شئ وعلى هذا المعنى يحمل ما ورد عن بعض الفقهاء فى الامتناع من اطلاق هذه اللفظة (الحالة الثانية) التوسل به بذلك النوع بعد خلقه صلى الله عليه وسلم فى مدة حياته فمن ذلك ما رواه أبو عيسى الترمذى فى جامعه فى كتاب الدعوات قال حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبى جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافينى قال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى ليقضى لى اللهم شفعه فى * قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب لانعرفه الا من هذا الوجه من حديث

أبي جعفر الخطمي ورواه النسائي في اليوم والليلة عن محمود بن غيلان باسناده نحوه وعن محمد بن معمر عن حبان عن حماد عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة عن عثمان ابن حنيف نحوه وعن زكريا بن يحيى عن ابن مثنى عن معاذ بن هشام عن أبيه عن أبي جعفر عن أبي امامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بنحوه وأخرجه ابن ماجه في الصلاة عن أحمد بن منصور بن سيار عن عثمان بن عمر باسناده نحوه * ورويناه في دلائل النبوة للحافظ أبي بكر البيهقي ثم قال البيهقي وزاد محمد بن يونس في روايته فقال فقام وقد أبصر قال البيهقي ورويناه في كتاب الدعوات باسناد صحيح عن روح بن عبادة عن شعبة قال ففعل الرجل فبرأ قال وكذلك رواه حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي ثم روى باسناده عن روح بن القاسم عن أبي جعفر المدني وهو الخطمي عن أبي امامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف فذكره وفي آخره يامحمد اني أتوجه بك الى ربي فيجلي عن بصري اللهم شفعه في وشفعني في نفسي قال عثمان فوالله ماتفرقنا ولا طال الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط وسنذكر هذا الحديث أيضا في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته من طريق الطبراني والبيهقي وقد كفانا الترمذي والبيهقي رحمهما الله بتصحيحهما مؤنة النظر في تصحيح هذا الحديث وناهيك به حجة في المقصود فان اعترض معترض بأن ذلك انما كان لان النبي صلى الله عليه وسلم شفع فيه فلهذا قال له أن يقول اني توجهت اليك بنبيك قلت الجواب من وجوه (أحدها) سيأتي ان عثمان بن عفان وغيره استعملوا ذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم وذلك يدل على أنهم لم يفهموا اشتراط ذلك (الثاني) أنه ليس في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بين له ذلك (الثالث) انه ولو كان كذلك لم يضر في حصول المقصود وهو جواز التوسل الى الله بغيره بمعنى السؤال بها كما علمه النبي صلى الله عليه وسلم وذلك زيادة على طلب الدعاء منه فلو لم يكن في ذلك فائدة لما علمه النبي صلى الله عليه وسلم وأرشده اليه

ويقال له انى قد شفعت فيك ولكن لعله صلى الله عليه وسلم أراد أن يحصل من صاحب الحاجة التوجه بذل الاضطرار والافتقار والانكسار مستغيثا بالنبي صلى الله عليه وسلم فيحصل كمال مقصوده ولا شك أن هذا المعنى حاصل فى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وغيبته فى حياته وبعد وفاته فانا نعلم شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ورفقه بهم ورحمته لهم واستغفاره لجميع المؤمنين وشفاعته فاذا انضم اليه توجه العبد به حصل هذا الغرض الذى أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الاعمى اليه (الحالة الثالثة) أن يتوسل بذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم لما رواه الطبرانى رحمه الله فى المعجم الكبير فى ترجمة عثمان بن حنيف وذلك فى الجزء الخمسين فان أول الجزء الخمسين من اسمه طفيل وآخره جعلنى امامهم وأنا أصغرهم قبل ترجمة عثمان بن طلحة قال فى هذا الجزء الخمسين حدثنا طاهر بن عيسى بن قريش المصرى المقرى حدثنا أصبغ بن الفرج حدثنا ابن وهب عن أبى سعيد المكى عن روح بن القاسم عن أبى جعفر الخطمى المدنى عن أبى امامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى حاجة له فكان عثمان لا يلتفت اليه ولا ينظر فى حاجته فلقى ابن حنيف فشكا ذلك اليه فقال له عثمان بن حنيف ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل اللهم انى أسئلك وأتوجه اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه اليك الى ربك فيقضى حاجتى وتذكر حاجتك ورح حتى أروح معك فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان بن عفان فجاءه البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان ابن عفان فأجلسه معه على الطنفسة فقال ما حاجتك فذكر حاجته وقضاها له ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة وقال ما كانت لك من حاجة فاذكرها ثم ان الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان

ينظر فى حاجتى ولا يلتفت الى حتى كلمته فى فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته ولكنى شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فشكا اليه ذهاب بصره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أو تصبر فقال يارسول الله انه ليس لى قائد وقد شق على فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ائت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات قال ابن حنيف فوالله ماتفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط * حدثنا ادريس بن جعفر العطار حدثنا عثمان بن عمر ابن فارس حدثنا شعبة عن أبى جعفر الخطمى عن أبى امامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه ورواه البيهقى باسناده عن أبى جعفر المدينى عن أبى امامة بن سهل بن حنيف أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان فذكره بنحو ماسبق رواه من طريقين أحدهما عن عبد الملك بن أبى عثمان الزاهد أنبأنا أبو بكر محمد بن على بن اسمعيل الشاشى القفار أنبأنا أبو عروبة حدثنا العباس بن الفرج حدثنا اسمعيل بن شبيب حدثنا أبى عن روح بن القاسم عن أبى جعفر والاحتجاج من هذا الاثر لفهم عثمان رضى الله تعالى عنه ومن حضره الذين هم أعلم بالله ورسوله وفعلهم (النوع الثانى) التوسل به بمعنى طلب الدعاء منه وذلك فى أحوال احداها فى حياته صلى الله عليه وسلم وهذا متواتر والاخبار طافحة به ولا يمكن حصرها وقد كان المسلمون يفزعون اليه ويستغيثون به فى جميع ما نابهم كما فى الصحيحين أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما قال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله تعالى يغيثنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم أغثنا اللهم اغثنا فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال فلا والله مارأينا الشمس سبتا الحديث * وروى البيهقى فى دلائله عن أبى وجزة يزيد بن عبد السلمى

قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أتاه وفد بني فزارة الى أن قال فقالوا يا رسول الله أسنتت بلادنا وأجدبت جناتنا وعريت عيالنا وهلكت مواشينا فادع ربك أن يغيثنا واشفع لنا الى ربك ويشفع ربك اليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك أنا شفعت الى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه السموات والارض وهو يئط من عظمته وجلاله وذكر بقية الحديث الى أن قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وفيه كان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك وبهيمتك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت وذكر دعاء وحديثا طويلا وفي سنن أبي داود في كتاب السنة عن جبير بن مطعم قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي فقال يا رسول الله جهدت الانفس وضاعت العيال ونهكت الاموال وهلكت الانعام فاستسق الله لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أتدري ما تقول انه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك وذكر حديث الاطيط وفي اسناده محمد بن اسحق وعنعنه فان ثبت فهو موافق لمقصودنا فانه لم ينكر الاستشفاع به وانما أنكر الاستشفاع بالله ولعل سبب ذلك أن شأن الشافع أن يتواضع للمشفوع عنده * وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتيناك وما لنا صبي يصطبح ولا بعير يئط وأنشد

أتيناك والعذراء تدمى لبانها * وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه الفتى لاستكانة * من الجوع هونا ما يمر ولا يحلي
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا * سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه ثم قال

اللهم اسقنا وذكر الدعاء الى أن قال فما رد النبي صلى الله عليه وسلم يده حتى ألقت السماء بأرواقها وجاء أهل البطانة يضجون الغرق الغرق فقال النبي صلى الله عليه وسلم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالا كليل وضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا قرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يارسول الله كأنك تريد قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل
يطوف به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وتواصل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل فقام رجل من كنانة رضي الله تعالى عنه فقال

لك الحمد والحمد ممن شكر * سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة * اليه وأشخص منه البصر
فلم يك الا كما ساعة * وأسرع حتى رأينا الدرر
دفاق العزالى جم البعاق * أغاث به الله عليا مضر
فكان كما قاله عمه * أبو طالب أبيض ذو غرر
فمن يشكر الله يلق المزيد * ومن يكفر الله يلق الغير

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يك شاعر أحسن فقد أحسنت والاحاديث والآثار في ذلك أكثر من أن تحصى ولو تتبعتها لوجدت منها ألوفا ونص قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية صريح في ذلك وكذلك يجوز ويحسن مثل هذا التوسل بمن له نسبة من النبي صلى

الله عليه وسلم كما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا قحط استسقى بالعباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه ويقول اللهم انا كنا اذا قحطنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاسقنا قال فيسقون رواه البخارى من حديث أنس واستسقى به عام الرمادة فسقوا وفى ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبى لهب

بعمى سقى الله الحجاز وأهله * عشية يستسقى بشيبته عمر

واستسقى حمزة بن القاسم الهاشمى ببغداد فقال اللهم إنا من ولد ذلك الرجل الذى استسقى بشيبته عمر بن الخطاب فسقوا فما زال يتوسل بهذه الوسيلة حتى سقوا وروى أنه لما استسقى عمر بالعباس وفرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل من السماء بلاء الا بذنب ولا يكشف الا بتوبة وقد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وذكر دعاء فما تم كلامه حتى ارتجت السماء بمثل الجبال * وكذلك يجوز مثل هذا التوسل بسائر الصالحين وهذا شئ لا ينكره مسلم بل متدين بملة من الملل * فان قيل لم توسل عمر بن الخطاب بالعباس ولم يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم أو بقبره * قلنا ليس فى توسله بالعباس انكار للتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم أو بالقبر وقد روى عن أبى الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة رضى الله عنها فقالت فانظروا قبر النبى صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق ولعل توسل عمر بالعباس لأمرين (أحدهما) ليدعو كما حكينا من دعائه (والثانى) أنه من جملة من يستسقى وينتفع بالسقيا وهو محتاج اليها بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الحالة فانه مستغن عنها فاجتمع فى العباس الحاجة وقربه من

النبي صلى الله عليه وسلم وشيبه والله تعالى يستحي من ذي الشيبة المسلم فكيف من عم نبيه صلى الله عليه وسلم ويجيب دعاء المضطر فلذلك استسقى عمر بشيبته فان قال المخالف أنا لا أمنع التوسل والتشفع لما قدمتم من الآثار والادلة وانما أمنع اطلاق التجوه والاستغاثة لان فيهما ايهام أن المتجوه به والمستغاث به أعلى من المتجوه عليه والمستغاث عليه (قلنا) هذا لا يعتقده مسلم ولا يدل لفظ التجوه والاستغاثة عليه فان التجوه من الجاه والوجاهة ومعناه علو القدر والمنزلة وقد يتوسل بذي الجاه الى من هو أعلى جاها منه والاستغاثة طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وان كان أعلى منه فالتوسل والتشفع والتجوه والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء والصالحين ليس لها معنى فى قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بها أحد منهم سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه نسأله العافية واذا صح المعنى فلا عليك فى تسميته توسلا أو تشفعا أو تجوها أو استغاثة ولو سلم أن لفظ الاستغاثة يستدعى النصر على المستغاث منه فالعبد يستغيث على نفسه وهواه والشيطان وغير ذلك مما هو قاطع له عن الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والصالحين متوسلا بهم الى الله تعالى ليغيثه على من استغاث منه من النفس وغيرها والمستغاث به فى الحقيقة هو الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واسطة بينه وبين المستغيث (الحالة الثانية) بعد موته صلى الله عليه وسلم فى عرصات القيامة بالشفاعة منه صلى الله عليه وسلم وذلك مما قام الاجماع عليه وتواترت الاخبار به وسنذكر تفاصيل الشفاعة المجمع عليها والمختلف فيها فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (الحالة الثالثة) المتوسطة فى مدة البرزخ وقد ورد هذا النوع فيها أيضا أنبأنا أبو بكر ابن يوسف بن عبد العظيم المعروف بابن الصباح بقراءتى عليه فى المجلدة الحادية عشرة من دلائل النبوة للبيهقى قال أنبأنا أبو الكرم لاحق بن عبد المنعم بن قاسم

الارتاحى قراءة عليه وأنا أسمع أنبأنا أبو محمد المبارك بن على بن الحسين البغدادى المعروف بابن الطباخ أنبأنا الشيخ السديد أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد البيهقى أنبأنا جدى الامام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى أنبأنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسى قالا أخبرنا أبو عمر بن مطر حدثنا ابراهيم بن على الذهلى حدثنا يحيى بن يحيى أنبأنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن (١) مالك الدار قال أصاب الناس قحط فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجاء رجل الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله استسق الله لأمتك فانهم قد هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال ائت عمر فاقرئه السلام وأخبره انهم مسقون وقل له عليك الكيس الكيس فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضى الله عنه ثم قال يارب ما آلو الا ما عجزت عنه * ومحل الاستشهاد من هذا الاثر طلبه الاستسقاء من النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته فى مدة البرزخ ولا مانع من ذلك فان دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لربه تعالى فى هذه الحالة غير ممتنع وقد وردت الاخبار على ماذكرنا ونذكر طرفا منه وعلمه صلى الله عليه وسلم بسؤال من يسأله ورد أيضا ومع هذين الامرين فلا مانع من أن يسأل الله صلى الله عليه وسلم الاستسقاء كما كان يسأل فى الدنيا (النوع الثالث) من التوسل أن يطلب منه ذلك الامر المقصود بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم قادر على التسبب فيه بسؤاله ربه وشفاعته اليه فيعود الى النوع الثانى فى المعنى وان كانت العبارة مختلفة ومن هذا قول القائل للنبى صلى الله عليه وسلم أسألك مرافقتك فى الجنة قال أعنى على نفسك بكثرة السجود * والآثار فى ذلك كثيرة أيضا ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك الا كون النبى صلى الله عليه وسلم سببا وشافعا وكذلك جواب النبى صلى الله عليه وسلم وان ورد على حسب السؤال كما روينا فى دلائل النبوة للبيهقى بالاسناد الى عثمان بن أبى العاص

قال شكوت الى النبي صلى الله عليه وسلم سوء حفظي للقرآن فقال شيطان يقال له خنزب ادن مني يا عثمان ثم وضع يده على صدري فوجدت بردها بين كتفي وقال اخرج يا شيطان من صدر عثمان قال فما سمعت بعد ذلك شيأ الا حفظته فانظر أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج للشيطان للعلم بأن ذلك باذن الله تعالى وخلقه وتيسيره وليس المراد نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى الخلق والاستقلال بالافعال هذا لا يقصده مسلم فصرف الكلام اليه ومنعه من باب التلبيس في الدين والتشويش على عوام الموحدين واذ قد تحررت هذه الانواع والاحوال في الطلب من النبي صلى الله عليه وسلم وظهر المعنى فلا عليك في تسميته توسلا أو تشفعا أو استغاثة أو تجوها أو توجها لان المعنى في جميع ذلك سواه (أما التشفع) فقد سبق في الاحاديث المتقدمة قول وفد بني فزارة للنبي صلى الله عليه وسلم تشفع لنا الى ربك وفي حديث الأعمى ما يقتضيه أيضا والتوسل في معناه وأما التوجه والسؤال في حديث الاعمى والتجوه في معنى التوجه قال تعالى في حق موسى عليه السلام (وكان عند الله وجيها) وقال في حق عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام (وجيها في الدنيا والآخرة) وقال المفسرون وجيها أى ذا جاه ومنزلة عنده وقال الجوهري في فصل وجه وجيها ذا جاه وقدر وقال الجوهري أيضا في فصل جوه الجاه القدر والمنزلة وفلان ذو جاه وقد أوجهته ووجهته انا أى جعلته وجيها وقال ابن فارس فلان وجيه ذو جاه اذا عرف ذلك فمعنى تجوه توجه بجاهه وهو منزلته وقدره عند الله تعالى اليه (وأما الاستغاثة) فهي طلب الغوث وتارة يطلب الغوث من خالقه وهو الله تعالى وحده كقوله تعالى اذ تستغيثون ربكم * وتارة يطلب ممن يصح اسناده اليه على سبيل الكسب ومن هذا النوع الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي هذين القسمين تعدى الفعل تارة بنفسه كقوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستغاثه الذي من شيعته وتارة بحرف الجر كما في كلام النحاة في

المستغاث به وفى كتاب سيبويه رحمه الله تعالى فاستغاث بهم ليشتروا له كليبا فيصح أن يقال استغثت النبى صلى الله عليه وسلم وأستغيث بالنبى صلى الله عليه وسلم بمعنى واحد وهو طلب الغوث منه بالدعاء ونحوه على النوعين السابقين فى التوسل من غير فرق وذلك فى حياته وبعد موته ويقول استغثت الله وأستغيث بالله بمعنى طلب خلق الغوث منه فالله تعالى مستغاث فالغوث منه خلقا وايجادا والنبى صلى الله عليه وسلم مستغاث والغوث منه تسببا وكسبا ولا فرق فى هذا المعنى بين أن يستعمل الفعل متعديا بنفسه أولازما أو تعدى بالباء وقد تكون الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم على وجه آخر وهو أن يقال استغثت الله بالنبى صلى الله عليه وسلم كما تقول سألت الله بالنبى صلى الله عليه وسلم فيرجع الى النوع الاول من أنواع التوسل ويصح قبل وجوده وبعد وجوده وقد يحذف المفعول به ويقال استغثت بالنبى صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى فصار لفظ الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم له معنيان (احدهما) أن يكون مستغاثا (والثانى) أن يكون مستغاثا به والباء للاستعانة فقد ظهر جواز اطلاق الاستغاثة والتوسل جميعا وهذا أمر لايشك فيه فان الاستغاثة فى اللغة طلب الغوث وهذا جائز لغة وشرعا من كل من يقدر عليه بأى لفظ عبر عنه كما قالت أم اسمعيل أغث ان كان عندك غواث وقد روينا فى المعجم الكبير للطبرانى حديثا ظاهره قد يقدح فى هذا قال الطبرانى حدثنا أحمد بن حماد بن زغبة المصرى حدثنا سعيد بن عفير حدثنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن على بن رباح عن عبادة قال قال أبو بكر رضى الله عنه قوموا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لا يستغاث بى انما يستغاث بالله عز وجل وهذا الحديث فى اسناده عبد الله بن لهيعة وفيه كلام مشهور فان صح الحديث فيحتمل معانى (أحدها) أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد أجرى على المنافقين أحكام المسلمين بأمر الله

تعالى فلعل أبابكر ومن معه استغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فأجاب بذلك بمعنى ان هذا من الاحكام الشرعية التي لم ينزل الوحي بها وأمرها الى الله تعالى وحده والنبي صلى الله عليه وسلم أعرف الخلق بالله تعالى فلم يكن يسأل ربه تغيير حكم من الاحكام الشرعية ولا يفعل فيها الا ما يأمره به فيكون قوله لا يستغاث بي عاما مخصوصا أى لا يستغاث بي في هذا الامر لانه مما يستأثر الله تعالى به ولا شك ان من أدب السؤال أن يكون المسؤل ممكنا فكما انا لا نسأل الله تعالى الا ما هو في ممكن القدرة الالهية كذلك لا نسأل النبي صلى الله عليه وسلم الا ما يمكن أن يجيب اليه (والثاني) أن يكون ذلك من باب قوله ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم أى أنا وان استغيث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى وكثيرا ما تجيء السنة بنحو هذا من بيان حقيقة الامر ويجيء القرآن باضافة الفعل الى مكتسبه كقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله مع قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقال صلى الله عليه وسلم لعلي لأن يهدي الله بك رجلا واحدا فسلك الادب في نسبة الهداية الى الله تعالى وقد قال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا فنسب الهداية اليهم وذلك على سبيل الكسب ومن هذا قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لتهدي الى صراط مستقيم وأما قوله تعالى انك لا تهدي من أحببت فالأحسن أن يكون المراد به التسلية والحمل عن قلب النبي صلى الله عليه وسلم في عدم اسلام عمه أبي طالب فكأنه قد قيل أنت وفيت بما عليك وليس عليك خلق هدايته لان ذلك ليس اليك فلا تذهب نفسك عليه * وبالجملة اطلاق لفظ الاستغاثة بالنسبة لمن يحصل منه غوث إما خلقا وايجادا وإما تسببا وكسبا أمر معلوم لا شك فيه لغة وشرعا ولا فرق بينه وبين السؤال فتعين تأويل الحديث المذكور وقد قيل ان في البخاري في حديث الشفاعة يوم القيامة فبيناهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو حجة

فى اطلاق لفظ الاستغاثة ولكن ذلك لايحتاج اليه لان معنى الاستغاثة والسؤال واحد سواء عبر عنه بهذا اللفظ أم بغيره والنزاع فى ذلك نزاع فى الضروريات وجوازه شرعا معلوم فتخصيص هذه اللفظة بالبحث مما لاوجه له وانكار السؤال بالنبى صلى الله عليه وسلم مخالف لما قدمناه من الاحاديث والآثار وما أشرنا اليه مما لم نذكره

﴿ الباب التاسع فى حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴾

قد تضمنت الاحاديث المتقدمة أن روح النبى صلى الله عليه وسلم ترد عليه وانه يسمع ويرد السلام فاحتجنا الى النظر فيما قد قيل فى ذلك بالنسبة الى الانبياء والشهداء وسائر الموتى وقد رتبنا الكلام فى هذا الباب على فصول *

﴿ الفصل الاول فيما ورد فى حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴾ صنف الحافظ أبو بكر البيهقى رحمه الله فى ذلك جزأ وروى فيه احاديث منها الانبياء صلوات الله عليهم أحياء فى قبورهم يصلون * ورواه ابن عدى فى الكامل أنبأنا غير واحد اذنا عن ابن المقير عن ابن الشهرزورى أنبأنا اسمعيل بن مسعدة أنبأنا حمزة بن يوسف أنبأنا أحمد بن عدى الحافظ قال حدثنا قسطنطين بن عبد الله الرومى مولى المعتمد على الله أمير المؤمنين حدثنا الحسين بن عرفة حدثنى الحسن بن قتيبة المدائنى حدثنا المستلم بن سعيد الثقفى عن الحجاج الاسود عن ثابت البنانى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء صلوات الله عليهم أحياء فى قبورهم يصلون * قال ابن عدى وللحسن بن قتيبة هذا أحاديث غرائب حسان فأرجو أنه لا بأس به وذكره ابن أبى حاتم ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا وذكره الخطيب فى التاريخ وقال عن البرقانى عن الدارقطنى انه متروك الحديث وروى البيهقى هذا الحديث فى صدر الجزء الذى صنفه عن أبى سعيد أحمد بن محمد بن الخليل الصوفى عن ابن عدى بسنده

المذكور ثم قال البيهقي هذا حديث يعد في افراد الحسن بن قتيبة وقد روى عن يحيى بن أبي بكير عن المستلم بن سعيد وهو فيما أنبأنا الثقة من أهل العلم أنبأنا أبو عمرو بن حمدان أنبأنا أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو جهم الازرق بن علي حدثنا يحيى ابن أبي بكير حدثنا المستلم بن سعيد عن الحجاج عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء أحياء في قبورهم يصلون قلت ويحيى بن أبي بكير ثقة والمستلم بن سعيد ثقة والحجاج (١) ان كان ابن أبي زناد فثقة وان كان غيره فلم أعرفه * قال البيهقي وروى كما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ انبأنا أبو حامد أحمد بن علي الحسنوي املاء حدثنا أبو عبد الله محمد بن العباس الحمصي بحمص حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا اسمعيل بن طلحة بن يزيد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الانبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور * قال البيهقي وهذا ان صح بهذا اللفظ فالمراد به والله أعلم لا يتركون لا يصلون الا هذا المقدار ثم يكونون مصلين فيما بين يدي الله تعالى قال البيهقي ولحياة الانبياء بعد موتهم شواهد من الاحاديث الصحيحة ثم ذكر البيهقي بأسانيده حديث مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره وحديث قد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي واذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة واذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه) فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل لي يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام

---

(١) قال في الفتح في باب واذكر في الكتاب مريم من أحاديث الانبياء أخرجه البزار لكن وقع عنده عن الحجاج الصواف وهو وهم والصواب حجاج الاسود لما وقع التصريح به في رواية البيهقي وصححه البيهقي

أخرجه مسلم * وفى حديث سعيد بن المسيب وغيره انه لقيهم فى بيت المقدس وفى حديث أبى ذر فى صفة المعراج أنه لقيهم فى السموات وكلموه وكلمهم وكل ذلك صحيح لا يخالف بعضه بعضا فقد ارى موسى عليه السلام قائما يصلى فى قبره ثم يسرى بموسى وغيره الى بيت المقدس كما اسرى بنبينا صلى الله عليه وسلم ثم يعرج بهم الى السموات كما عرج بنبينا عليه الصلاة والسلام فيراهم فيها كما أخبر وحلولهم فى أوقات بمواضع مختلفات جائز فى العقل كما ورد به خبر الصادق وفى كل ذلك دلالة على حياتهم * ومما يدل على ذلك ما ساق اسناده الى أوس بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل أيامكم يوم الجمعة وفيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة قالوا وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت * يقولون بليت * فقال إن الله تعالى حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء أخرجه أبو داود قال البيهقى وله شواهد * منها ما أنبأنا به أبو عبد الله أنبأنا ابن اسحاق الفقيه أنبأنا الابار حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا الوليد حدثنا أبو رافع عن سعيد المقبرى عن أبى مسعود الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أكثروا الصلاة على فى يوم الجمعة فانه ليس يصلى على أحد يوم الجمعة الا عرضت على صلاته * وأنبأنا على بن أحمد أنبأنا أحمد بن عبيد حدثنا الحسين بن سعيد حدثنا ابراهيم حدثنا حماد عن برد عن مكحول عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا على من الصلاة فى كل يوم جمعة فان صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم منى منزلة * وأنبأنا الاسفراينى حدثنى والدى أنبأنا اسامة بمصر حدثنا محمد بن اسمعيل الصائغ حدثتنا حكامة بنت عثمان بن دينار عن مالك بن دينار عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقربكم منى يوم القيامة فى كل موطن أكثركم على صلاة فى الدنيا فمن صلى على يوم الجمعة وليلة

الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكا يدخله في قبري كما تدخل عليكم الهدايا يخبر عمن صلى على باسمه ونسبه الى عشيرته فأثبته عندي في صحيفة بيضاء * ثم ذكر البيهقي حديث فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم وحديث مامن أحد يسلم على الارد الله على روحي حتى أرد * قال البيهقي وانما أراد والله أعلم الا وقد رد الله على روحي حتى ارد عليه * قلت وقد تقدم احتمال آخر ثم ذكر البيهقي حديث ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام وقول ابن عباس ليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم صلى عليه صلاة الا وهي تبلغه يقول له الملك فلان يصلي عليك كذا وكذا صلاة وحديث من صلى على عند قبري سمعته من طريق أبي عبد الرحمن وقال هو محمد بن مروان السدي فيما أرى وفيه نظر وقد مضى مايؤكده * هذا قول البيهقي وذكر ماقدمناه عن سليمان بن سحيم ثم قال ومما يدل على حياتهم ما أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وساق اسناده وذكر حديث فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أ كان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله عز وجل رواه البخاري ومسلم * قال البيهقي وهذا انما يصح على أن الله عز وجل رد على الانبياء صلوات الله عليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء فاذا نفخ في الصور النفخة الاولى صعقوا فيمن صعق ثم لا يكون ذلك موتا في جميع معانيه الا في ذهاب الاستشعار فان كان موسى عليه السلام ممن استثنى الله بقوله الا من شاء الله فانه لا يذهب استشعاره في تلك الحالة فيحاسبه بصعقة يوم الطور ويقال ان الشهداء من جملة من استثنى الله عز وجل بقوله تعالى الا من شاء الله وورد يناف ذلك خبرا مرفوعا هذا جملة ماذكره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب حياة الانبياء في قبورهم لم نحذف منه الا بعض الاسانيد أو بعض الزيادة في الاسماء وقد قدمنا في حديث من سنن ابن ماجه فيه فنبي الله حي يرزق * وقال البيهقي في

دلائل النبوة وفى الحديث الصحيح عن سليمان التيمى وثابت البنانى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة اسرى بى عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلى فى قبره * وروينا فى الحديث الصحيح عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وقد رأيتنى فى جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلى * وذكر ابراهيم وعيسى ووصفهم ثم قال فحانت الصلاة فأممتهم وروينا فى حديث ابن المسيب أنه لقيهم فى بيت المقدس * وروينا فى حديث أنس أنه بعث له آدم فمن دونه من الانبياء فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وروينا فى الحديث الصحيح عن أنس عن مالك بن صعصعة وعن أنس عن أبى ذر رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى موسى بن عمران فى السماء السادسة * وليس بين هذه الاخبار منافاة فقد يراه فى مسيره قائما يصلى فى قبره ثم يسرى به الى بيت المقدس كما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم فرآه فيه ثم يعرج به الى السماء السادسة كما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم فرآه فى السماء وكذلك سائر من رآه من الانبياء فى الارض ثم فى السماء والانبياء صلوات الله عليهم أحياء عند ربهم كالشهداء فلا ينكر حلولهم فى أوقات بمواضع مختلفات كما ورد خبر الصادق به * هذا كلام البيهقى وقد ثبت فى الصحيح فى حديث الاسراء أنه صلى الله عليه وسلم وجد آدم فى السماء الدنيا وقال فيه فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح ووجد ابراهيم فى السابعة مسندا ظهره الى البيت المعمور وقال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسرى بى على موسى بن عمران رجل آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس (وقال) فى حديث آخر لقيت موسى فاذا برجل حسبته قال مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة ولقيت عيسى فاذا ربعة

أحمر كأنما خرج من ديماس (يعني حماما) ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولده به وفي حديث آخر أراني ليلة عند الكعبة فرأيت رجلا آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها فهي تقطر ماء متكئا على رجلين أو على عواتق رجلين يطوف بالبيت فسألت من هذا فقيل هذا المسيح بن مريم وفي حديث لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط قال فرفعه الله انظر اليه ما يسألوني عن شيء الا أنبأتهم وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة واذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه) فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام وفي حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بوادي الازرق فقال كأني انظر الى موسى هابطا من الثنية وله جؤار الى الله بالتلبية ثم أتى على ثنية هرشى فقال كأني انظر الى يونس بن متى على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة وهو يلبي وفي حديث آخر كأني انظر الى موسى واضعا اصبعيه في أذنيه وهذه الاحاديث كلها في الصحيح وقد تقدم في موسى وعيسى وجميع الانبياء المذكورين شيء كثير من صفات الاجسام وكذلك صلاتهم قياما وامامة النبي صلى الله عليه وسلم بهم ولا يقال ان ذلك رؤيا منام وان قوله أراني فيه اشارة الى النوم لان الاسراء وما اتفق فيه كان يقظة على الصحيح الذي عليه جمهور السلف والخلف ولو قيل بانه نوم فرؤيا الانبياء حق وقوله أراني لا دلالة فيه على المنام بدليل قوله رأيتني في الحجر وكان ذلك في اليقظة كما يدل عليه بقية الكلام وقال تعالى فلا تكن في مرية من لقائه

وفى صحيح مسلم كان قتادة يفسرها أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قد لقى موسى وقد قيل فى قوله تعالى واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أن النبى صلى الله عليه وسلم سألهم ليلة الاسراء قال القاضى عياض رحمه الله فان قيل يحجون ويلبون وهم أموات وهم فى الدار الآخرة وليست دار عمل فاعلم أن المشايخ وفيما ظهر لنا عن هذا أجوبة (أحدها) أنهم كالشهداء بل أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا كما ورد فى الحديث الآخر وان يتقربوا الى الله تعالى بما استطاعوا لأنهم وان كانوا قد توفوا فهم فى هذه الدنيا التى هى دار العمل حتى اذا فنيت مدتها وتعقبتها الآخرة التى هى دار الجزاء انقطع العمل (والوجه الثانى) ان عمل الآخرة ذكر ودعاء قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم (الثالث) أن تكون رؤيا منام فهم فى غير ليلة الاسراء (الرابع) انه صلى الله عليه وسلم أرى حالهم التى كانت فى حياتهم ومثلوا له فى حال حياتهم كيف كانوا وكيف كان حجهم وتلبيتهم (الخامس) أن يكون أخبر عما أوحى اليه صلى الله عليه وسلم من أمرهم وما كان منهم وان لم يرهم رؤية عين هذا كلام القاضى والوجه الاول والثانى يلزم منهما الحياة والثالث لا يأتى فى ليلة الاسراء والرابع والخامس انما يأتيان فى الحج والتلبية ونحوهما وأما فيما حصل ليلة الاسراء فلا * والجواب الصحيح فى الصلاة ونحوها أحد جوابين اما أن يقول البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا فى استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور وهو الجواب الاول الذى ذكره القاضى واما أن يقول ان المنقطع فى الآخرة انما هو التكليف وقد تحصل الاعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها والخضوع لله تعالى ولهذا أنهم يسبحون ويدعون ويقرؤن القرآن وانظر الى سجود النبى صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة أليس ذلك عبادة وعملا وعلى كلا الجوابين لا يمتنع حصول هذه الاعمال فى مدة البرزخ

وقد صح عن ثابت البنانى التابعى أنه قال اللهم ان كنت أعطيت أحدا أن يصلى فى قبره فأعطنى ذلك فروى بعد موته يصلى فى قبره وتكفى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لموسى قائما يصلى فى قبره ولان النبى صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء لم يقبضوا حتى خير وابين البقاء فى الدنيا وبين الآخرة فاختاروا الآخرة ولا شك انهم لو بقوا فى الدنيا لازدادوا من الاعمال الصالحة ثم انتقلوا الى الجنة فلو لم يعلموا ان انتقالهم الى الله أكمل ما اختاروا ولو كان انتقالهم من هذه الدار يفوت عليهم زيادة فيما يقرب الى الله لما اختاروه فهذه نبذة من الاحاديث الصحيحة الدالة على حياة الانبياء والكتاب العزيز يدل على ذلك أيضا قال تعالى ولا تحسبن الذى قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * واذا ثبت ذلك فى الشهيد ثبت فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بوجوه (أحدها) ان هذه رتبة شريفة أعطيت للشهيد كرامة له ولا رتبة أعلى من رتبة الانبياء ولا شك أن حال الانبياء أعلى وأكمل من حال جميع الشهداء فيستحيل أن يحصل كمال للشهداء ولا يحصل للانبياء لاسيما هذا الكمال الذى يوجب زيادة القرب والزلفى والنعيم والانس بالعلى الأعلى (الثانى) أن هذه الرتبة حصلت للشهداء أجرا على جهادهم وبذلهم أنفسهم لله تعالى والنبى صلى الله عليه وسلم هو الذى سن لنا ذلك ودعانا اليه وهدانا له باذن الله تعالى وتوفيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة * وقال صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ * والاحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة مشهورة فكل أجر حصل للشهيد حصل للنبى صلى الله عليه وسلم لسعيه مثله والحياة أجر فيحصل

للنبي صلى الله عليه وسلم مثلها زيادة على ماله صلى الله عليه وسلم من الاجر الخاص من نفسه على هدايته للمهتدى وعلى ماله من الاجور على حسناته الخاصة من الاعمال والمعارف والاحوال التى لا تصل جميع الامة الى عرف نشرها ولا يبلغون معشار عشرها وهكذا نقول ان جميع حسناتنا وأعمالنا الصالحة وعبادات كل مسلم مسطر فى صحائف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم زيادة على ماله من الاجر ويحصل له صلى الله عليه وسلم من الاجور بعدد امته أضعافا لا يحصرها الا الله تعالى ويقصر العقل عن ادراكها فان كل مهتد وعامل الى يوم القيامة يحصل له أجر ويتجدد لشيخه فى الهداية مثل ذلك الاجر والشيخ شيخه مثلاه وللشيخ الثالث أربعة وللرابع ثمانية وهكذا يضعف فى كل مرتبة بعدد الاجور الحاصلة بعده الى أن تنتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الاجر ألف وأربعة وعشرون فاذا اهتدى بالعاشر حادى عشر صار أجر النبي صلى الله عليه وسلم ألفين وثمانية وأربعين وهكذا كلما ازداد واحد يتضاعف ما كان قبله أبدا الى يوم القيامة وهذا أمر لا يحصره الا الله تعالى ويقصر العقل عن كنه حقيقته فكيف اذا أخذ مع كثرة الصحابة وكثرة التابعين وكثرة المسلمين فى كل عصر فكل واحد من الصحابة يحصل له بعدد الاجور التى تترتب على فعله الى يوم القيامة وكل ما يحصل لجميع الصحابة حاصل بجملته للنبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يظهر رجحان السلف على الخلف فانه كلما ازداد الخلف ازداد أجر السلف وتضاعف بالطريق الذى نبهنا عليه ومن تأمل هذا المعنى ورزق التوفيق انبعثت همته الى التعليم ورغب فى نشره ليتضاعف أجره فى حياته وبعد موته على الدوام ويكف عن احداث البدع والمظالم من المكوس وغيرها فانها تضاعف عليه بالطريق التى ذكرناها مادام يعمل بهذا فليتأمل المسلم هذا المعنى وسعادة الهادى

الى الخير وشقاوة الداعى الى الشر (الثالث) أن النبى صلى الله عليه وسلم شهيد فانه صلى الله عليه وسلم لما سم بخيبر وأكل من الشاة المسمومة وكان ذلك سما قاتلا من ساعته مات منه بشر بن البراء رضى الله عنه وبقى النبى صلى الله عليه وسلم وذلك معجزة فى حقه صار ألم السم يتعاهده الى أن مات به صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه مازالت أكلة خيبر تعاودنى حتى كان الآن أوان قطعت أبهرى * قال العلماء فجمع الله له بذلك بين النبوة والشهادة وتكون الحياة الثابتة للشهداء لا تختص بمن قتل فى المعركة فانا انما اشترطنا ذلك فى الاحكام الدنيوية كالغسل والصلاة أما الآخرة فلا وهذا الاشك فيه بالنسبة الى النبى صلى الله عليه وسلم وأما غيره وغير شهداء المعركة ممن شهد له الشرع بالشهادة كالمطعون والمبطون والغريق ونحوهم فهل نقول ان الحياة الثابتة للمقتولين فى سبيل الله تثبت لهم هذا يحتاج الى توقيف والشهيد فعيل اما بمعنى الفاعل أو بمعنى المفعول وقد اختلف فى سبب هذه التسمية فنقل عن النضر ابن شميل ان الشهيد هو الحى لان كل من كان حيا كان شاهدا أو مشاهدا للاحوال والشهيد حى بعد أن صار مقتولا واستدل بالآية فعلى مقتضى هذا القول كل من ورد الشرع بانه شهيد ثبت له هذا الوصف وهو كونه حيا وقيل على كونه فاعلا انه شهيد على الامم الخالية يوم القيامة وانه شاهد لطف الله ورحمته وقيل على كونه بمعنى مفعول ان ملائكة الرحمة يحضرونه ويرفعون روحه الى منازل القدس وكل هذه المعانى موجودة فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وقيل فى سبب التسمية غير ماذكرنا * واعلم أنه لابد من تفسير الحياة التى نثبتها للنبى صلى الله عليه وسلم والحياة التى نثبتها للشهيد وحياة سائر الموتى أيضا فأما النبى صلى الله عليه وسلم فعد صاحب التلخيص من الشافعية فى خصائصه ان ماله بعد موته قائم على نفقته وملكه وقال امام الحرمين رحمه الله ان ما خلفه بقى على

ما كان فى حياته فكان ينفق أبو بكر رضى الله عنه منه على أهله وخدمه وكان يرى أنه باق على ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانبياء أحياء واعلم أن هذا القول يقتضى اثبات الحياة فى أحكام الدنيا وذلك زائد على حياة الشهيد والقرآن العزيز ناطق بموته صلى الله عليه وسلم قال تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال صلى الله عليه وسلم انى مقبوض وقال الصديق رضى الله عنه فان محمدا قدمات وأجمع المسلمون على اطلاق ذلك فالوجه اذا ثبت القول المذكور أن يقال ان ذلك موت غير مستمر وأنه أحيي بعد الموت ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطا بالموت المستمر والا فالحياة الثابتة حياة أخروية ولاشك أنها أعلى وأكمل من حياة الشهيد وهى ثابتة للروح بلا اشكال والجسد قد ثبت أن أجساد الانبياء لا تبلى وعود الروح الى البدن سنذكره فى سائر الموتى فضلا عن الشهداء فضلا عن الانبياء وانما النظر فى استمرارها فى البدن وفى أن البدن يصير حيابها كحالته فى الدنيا أو حيا بدونها وهى حيث شاء الله تعالى فان ملازمة الحياة للروح أمر عادى لا عقلى فهذا مما يجوزه العقل فان صح به سمع اتبع وقد ذكرناه عن جماعة من العلماء وشهد له صلاة موسى عليه السلام فى قبره فان الصلاة تستدعى جسدا حيا وكذلك الصفات المذكورة فى الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الابدان معها كما كانت فى الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب والامتناع عن النفوذ فى الحجاب الكثيف وغير ذلك من صفات الاجسام التى نشاهدها بل قد يكون لها حكم آخر فليس فى العقل ما يمنع من اثبات الحياة الحقيقية لهم وأما الادراكات كالعلم والسماع فلاشك أن ذلك ثابت وسنذكر ثبوته لسائر الموتى فكيف بالانبياء

﴿الفصل الثانى فى الشهداء﴾

أجمع العلماء على اطلاق لفظ الحياة على الشهيد كما نطق به القرآن ولكن اختلفوا

هل هى حياة حقيقية أو مجازية وعلى تقدير كونها حقيقية هل هى الآن أو يوم القيامة وعلى تقدير كونها الآن هل هى للروح أو للجسد فهذه أربعة أقوال لاخامس لها أضعفها قول من قال ان المراد أنهم يصيرون أحياء يوم القيامة وليس المراد أنهم أحياء الآن وهذا قول باطل بوجوه منها قوله تعالى ولكن لا يشعرون فهذا خطاب للمؤمنين بأنهم لا يشعرون بحياة من قتل فى سبيل الله وكل المؤمنين يشعرون و يعلمون بحياتهم يوم القيامة وانما الغريب الذى لا يشعر به حياتهم الآن * ومنها قوله تعالى و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم والمراد اخوانهم الذين فى الدنيا ولم يموتوا بعد ومنها الاحاديث الصحيحة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية رواه أبو داود وأخرجه الحاكم فى صحيحه وفى صحيح مسلم عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال أما انا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيأ قالوا أى شئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث نشاء فيقول ذلك لهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا يارب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا وهذان الحديثان صريحان فى ان ذلك حصل فيما مضى وعن جابر

ابن عبد الله رضى الله عنهما قال لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جابر مالى أراك منكسا قلت يارسول الله استشهد أبى قتل يوم أحد وترك عيالا وعليه دين قال أفلا أبشرك بما لقى الله عز وجل به أباك قلت بلى يارسول الله قال ان الله ما كلم أحدا قط الا من وراء حجاب وأحيا أباك وكلمه كفاحا فقال له ياعبدى تمن على أعطك قال يارب تحيينى فأقتل فيك مرة ثانية قال الرب عز وجل قد سبق منى أنهم لا يرجعون قال وأنزلت هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا رواه الترمذى وقال حسن غريب من هذا الوجه وقوله أحيا أباك يقتضى تجدد حياة والروح باقية لم تمت فاما أن يحمل على الجسد واما على ان مفارقتها الجسد حياة لها ومنها ما سنذكره فى سائر الموتى وانهم منقسمون فى القبور الى منعم ومعذب فثبت بهذه الوجوه أن الحياة حاصلة للشهيد الآن ولكن من الناس من قال إنها حياة مجازية ثم سلكوا فى وجه المجاز وجوها امالانهم فى حكم الله مستحقون للنعيم فى الجنة أولان ثناءهم باق أو غير ذلك من وجوه المجازات وكلها ضعيفة لانها عدول عن الحقيقة الى المجاز بغير دليل فلم يبق الا أنها حياة حقيقية الآن وان الشهداء أحياء حقيقة وهو قول جمهور العلماء لكن هل ذلك للروح فقط أو للجسد معها فيه قولان (أحدهما) للروح فقط لما ذكرناه من حديث ابن عباس وابن مسعود رضى عنهم وأن الروح فى أجواف طير خضر وحياة الجسد انما تكون بعود الروح اليه (والثانى) للجسد معها وسنذكر مثل ذلك فى سائر الموتى واثبات حياتهم فى قبورهم وان عذاب القبر ونعيمه للجسد والروح جميعا واذا كان نعيم غير الشهيد كذلك فنعيم الشهيد أتم وأولى وأكمل وذكر القرطبى أن اجساد الشهداء لا تبلى وقد صح عن جابر أن أباه وعمرو بن الجموح رضى الله عنهم وهما ممن استشهد بأحد ودفنا فى قبر واحد حفر السيل قبرهما فوجدا لم يتغيرا

وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين ذلك وبين أحد ست وأربعون سنة ولما أجرى معاوية رضي الله عنه العين التي استنبطها بالمدينة وذلك بعد أحد بنحو من خمسين سنة ونقل الموتى أصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فسال منه الدم ووجد عبد الله بن حرام كأنما دفن بالأمس وروى كافة أهل المدينة ان جدار قبر النبي صلى الله عليه وسلم لما انهدم ايام الوليد بدت لهم قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان قتل شهيدا ولا حاجة الى الاكثار من ذلك فقد صح أن الانبياء لا تأكل الارض أجسادهم وورد مثله في الشهداء ويعني بالشهيد من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فلا يرد علينا أنا قد نرى من يقاتل وتأكله الارض لكن بقاء الجسد لا يدل على حياته والكلام هنا انما هو في الحياة وقد صح في الشهداء أنهم يقولون نريد أن ترد أرواحنا الى أجسادنا وهذا يرد قول من يقول إن جسد الشهيد حي بروحه كما كان في الدنيا (اللهم) الا أن يقال إنه حي بغير تلك الروح نوعا من الحياة مخالفا للحياة الدنيوية وقد جاء في أرواح الشهداء أنها في أجواف طير تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى قناديل من تحت العرش * فمن العلماء من قال أرواح الشهداء في أجواف طير في الجنة وأرواح غيرهم من المؤمنين في قبورهم وممن ذكر ذلك القرطبي في التذكرة ومنهم من طعن في الحديث وقال انه لم يصح كونها في حواصل طير وزعم أنها بذلك تكون محبوسة نقل ذلك عن أبي الحسن القابي وغيره من المالكية وهو مردود لأن الحديث صحيح * ومنهم من أول في بمعنى على * ومنهم من قال انها ليست في طير ولكنها نفس الطير لقوله صلى الله عليه وسلم انما نسمة المؤمن طائر تعلق * ومنهم من يقول أرواح الشهداء مختلفة منها ما هو طائر تعلق من شجر الجنة ومنها ما هو في حواصل طير خضر ومنها ما تأوي الى قناديل تحت العرش ومنها ما هو

فى حواصل طير بيض ومنها ماهو فى حواصل طير كالزرازير ومنها ماهو فى أشخاص وصور من صور الجنة ومنها ماهو فى صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم ومنها مايسرح ويتردد الى جثتها يزورها ومنها مايتلقى أرواح الموتى وممن سوى ذلك ماهو فى كفالة ميكائيل عليه السلام ومنها ماهو فى كفالة آدم عليه السلام ومنها ماهو فى كفالة ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال القرطبي رحمه الله تعالى وهذا قول حسن فانه يجمع الاخبار حتى لاتدافع والله تعالى أعلم

﴿ الفصل الثالث فى سائر الموتى فى السماع والكلام والادراك والحياة وعود الروح الى الجسد ﴾

﴿ أما السماع والكلام ﴾ فرواهما البخارى رحمه الله أنبأنا بجميع صحيح البخارى أبو الحسن على بن محمد بن هرون بقراءتى عليه غير مرة بالقاهرة وفاطمة بنت البطائحى بقراءتى عليها بسفح قاسيون ظاهر دمشق وأبو العباس أحمد بن أبى طالب ووزيرة بنت عمر بن أسعد بن منجا قراءة عليهما وأنا أسمع وآخرون قال الاربعة المذكورون أنبأنا الحسين بن المبارك بن يحيى بن الزبيدى قال الاول وأنا حاضر وقال الثلاثة ونحن نسمع قال أنبأنا أبو الوقت عبد الاول بن عيسى قراءة عليه وأنا أسمع أنبأنا جمال الاسلام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودى أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربرى حدثنا الامام أبو عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى قال حدثنا عياش حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد وبه قال وقال لى خليفة حدثنا ابن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال العبد اذا وضع فى قبره وتولى وذهب عنه أصحابه حتى انه يسمع قرع نعالهم أتاه

ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال انظر الى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله عليه وسلم فرآهما جميعا وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين وروى مسلم رحمه الله من حديث أسماء قريبا منه وفيه وأما المنافق أو المرتاب قال الراوى لا أدرى أى ذلك قالت أسماء وفى الترمذى ان الملكين يقولان للمؤمن نم كنومة العروس لا يوقظه الا أحب أهله اليه * وبالاسناد الى البخارى قال حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد المقبرى عن أبيه أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فان كانت صالحة قالت قدمونى وان كانت غير صالحة قالت ياويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شئ الا الانسان ولو سمعه صعق * وبالاسناد الى البخارى قال حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث بن سعد فذكر بمثله وقال قالت لأهلها ياويلها وقال ولو سمع الانسان لصعق فانظر هذه الأحاديث الصحيحة التى لا مرية فيها وتأكيد الكلام بما لا يحتمل المجاز وهو قول يسمع صوتها كل شئ الا الانسان ولولا هذا لأمكن أن يحمل على القول بلسان الحال لكن بعد هذا لا يسوغ هذا الحمل وأيضا فان لسان الحال معلوم عند الانسان فلا شك فى حصول كلام حقيق هذا ونحن نشاهده على أعناق الرجال ميتا ومن الاحاديث الصحيحة المتفق عليها نداؤه صلى الله عليه وسلم أهل القليب وقوله ما أنتم بأسمع لما أقول منهم

﴿ وأما الادراك ﴾

فيدل له مع ذلك الاحاديث الواردة فى عذاب القبر وهى أحاديث صحيحة متفق

عليها رواها البخاري ومسلم وغيرهما وأجمع عليها وعلى مدلولها أهل السنة والاحاديث في ذلك متواترة ومن أحسنها مارواه أبو داود الطيالسي أنبأنا أبو العباس أحمد بن محمد الدشتي بقراءتي عليه بالشام في سنة سبع وسبعمائة قال أنبأنا الحافظ ابن خليل أنبأنا اللبان أنبأنا الحداد أنبأنا أبو نعيم أنبأنا ابن فارس حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا الاسود بن شيبان عن بحر بن مرار عن أبي بكرة قال بينما أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي رجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي بيننا اذ أتى على قبرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبي هذين القبرين ليعذبان الآن في قبورهما فأيكما يأتيني من هذا النخل بعسيب فاستبقت أنا وصاحبي فسبقته وكسرت من النخل عسيبا فاتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فشقه نصفين من أعلاه فوضع على أحدهما نصفا وعلى الآخر نصفا وقال انه يهون عليهما مادام فيهما من بلولتهما شيء انهما يعذبان في الغيبة والبول قال الطيالسي وروى هذا الحديث مسلم بن ابراهيم عن الاسود عن مجزأة عن عبد الرحمن بن أبي بكرة هكذا نقلته من مسند أبي داود الطيالسي التي هي أصل سماعي وهي بخط ابن خليل وأصل الحديث ثابت في الصحيحين وفي هذه الرواية النص على أن العذاب الآن وأنه في القبور وخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقد ورد عن البراء بن عازب حديث طويل جامع لاحكام الموتى وفيه التصريح بعود الروح الى الجسد أنبأنا به الدشتي أنبأنا ابن خليل أنبأنا اللبان أنبأنا الحداد أنبأنا أبو نعيم أنبأنا ابن فارس حدثنا يونس حدثنا أبو داود الطيالسي قال حدثنا أبو عوانة عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال أبو داود وحدثناه عمرو بن ثابت سمعه

من المنهال بن عمرو وعن زاذان عن البراء بن عازب وحديث أبى عوانة أتمها قال البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير قال عمرو بن ثابت وقع ولم يقله أبو عوانة * فجعل يرفع بصره وينظر الى السماء ويخفض بصره وينظر الى الارض ثم قال أعوذ بالله من عذاب القبر قالها مرارا ثم قال إن العبد المؤمن اذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا جاءه ملك فجلس عند رأسه فيقول اخرجى أيتها النفس المطمئنة الى مغفرة من الله ورضوان فتخرج نفسه وتسيل كما يسيل قطر السقاء * قال عمرو فى حديثه ولم يقله أبو عوانة وان كنتم ترون غير ذلك وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من حنوطها فيجلسون منه مد البصر فاذا قبضها الملك لم يدعوها فى يده طرفة عين فذلك قوله عز وجل توفته رسلنا وهم لا يفرطون * قال فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند بين السماء والارض الا قالوا ما هذا الروح فيقال فلان بأحسن اسمائه حتى ينتهوا به الى باب سماء الدنيا فتفتح له ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى بها الى السماء السابعة فيقول اكتبوا كتابه فى عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون فيكتب كتابه فى عليين ثم يقال ردوه الى الارض فانى وعدتهم أنى منها خلقناهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى فترد الى الارض وتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان من ربك وما دينك فيقول ربى الله ودينى الاسلام فيقولان فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولون وما يدريك فيقول جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت قال وذلك قوله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة * قال وينادى مناد

من السماء فقد صدق عبدى فألبسوه من الجنة وأفرشوه منها وأروه منزله منها فيلبس من الجنة ويفرش منها ويرى منزله منها ويفسح له مد بصره ويمثل له عمله فى صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر بما أعد الله عز وجل لك أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم فيقول بشرك الله بخير من أنت فوجهك الوجه الذى جاءنا بخير فيقول هذا يومك الذى كنت توعد والامر الذى كنت توعد وأنا عملك الصالح فوالله ما علمتك الا كنت سريعا فى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا فيقول يارب أقم الساعة كى أرجع الى أهلى ومالى قال وان كان فاجرا فكان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا جاءه ملك فجلس عند رأسه فقال اخرجى أيتها النفس الخبيثة أبشرى بسخط الله وغضبه فتنزل ملائكة سود الوجوه معهم مسوح فاذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها فى يده طرفة عين قال فتفرق فى جسده فيستخرجها تقطع معها العروق والعصب كالسفود الكبير الشعب فى الصوف المبلول فتؤخذ من الملك فتخرج كانتن ريح وجدت فلا تمر على جند فيما بين السماء والارض الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون هذا فلان باسوا أسمائه حتى ينتهوا به الى السماء الدنيا فلا يفتح له فيقول ردوه الى الارض انى وعدتهم أنى منها خلقناهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى قال فيرمى به من السماء قال فتلا هذه الآية ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء الآية قال ويعاد الى الارض وتعاد فيه روحه ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان من ربك وما دينك فيقول لا أدرى فيقولان فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم فلا يهتدى لاسمه فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون ذلك قال فيقال لا دريت فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويمثل له عمله فى صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بعذاب من الله وسخطه فيقول من أنت فوجهك الوجه الذى جاء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث والله ما علمتك الا كنت بطيئا

عن طاعة الله سريعا الى معصية الله قال عمرو فى حديثه عن المنهال عن زاذان عن البراء عن النبى صلى الله عليه وسلم فيقيض له ملك أصم أبكم معه مرزبة لوضرب بها جبل صار ترابا (أو قال رميما) فيضربه بها ضربة يسمعها الخلائق الا الثقلين ثم تعاد فيه الروح فيضربه ضربة أخرى وهذا الحديث أخرجه جماعة من الائمة فى مسانيدهم منهم الامام أحمد وعبد بن حميد وعلى بن معبد فى الطاعة والمعصية وغيرهم ورجال اسناده كلهم ثقات وتكلم فيه ابن حزم من جهة المنهال بن عمرو وهذا الكلام ليس بشئ لان المنهال بن عمرو روى له البخارى ووثقه غير واحد منهم يحيى بن معين والكلام الذى فيه من جهة أن شعبة تركه وقد قال عبد الرحمن ابن مهدى ان سبب ترك شعبة له أنه سمع من داره صوت قراءة بالتطريب واذا عرف هذا السبب لم يضر ترك شعبة اياه لان جماعة من العلماء قالوا باباحة ذلك وما كان مختلفا فيه من هذا الجنس فلا ترد الرواية به ولا الشهادة لاسيما ولم يعلم أن ذلك الصوت منه فقد يكون فى داره من غيره ولا علم له به وبالجملة فهذا كلام لا وجه له ولا شك فى ثقة المنهال بن عمرو وأنه ممن يحتج بحديثه ولا معنى لانكار عود الروح وتضعيفه بالمنهال بن عمرو مع دلالة بقية الاحاديث المتفق عليها على السماع والكلام والقعود وغيرها مما يستلزم الحياة وعود الروح وقد روى البغوى فى شرح السنة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يسمع حس النعال اذا ولى عنه الناس مدبرين ثم يجلس ويوضع كفنه فى عنقه ثم يسئل وقد أجمع أهل السنة على اثبات الحياة فى القبور قال امام الحرمين فى الشامل اتفق سلف الامة على اثبات عذاب القبر واحياء الموتى فى قبورهم ورد الارواح فى أجسادهم وقال الفقيه أبو بكر بن العربى فى الامد الاقصى فى تفسير أسماء الله الحسنى ان احياء المكلفين فى القبر وسؤالهم جميعا لا خلاف فيه بين أهل السنة وقال سيف الدين الآمدى فى كتاب ابكار الافكار اتفق سلف الامة قبل ظهور المخالف

وأكثرهم بعد ظهوره على اثبات احياء الموتى فى قبورهم ومساءلة الملكين لهم واثبات عذاب القبر للمجرمين والكافرين وقوله تعالى وأحييتنا اثنتين أى حياة المساءلة فى القبر وحياة الحشر لانهما حياتان عرفوا الله بهما والحياة الاولى فى الدنيا لم يعرفوا الله بها وقال القرطبى ان الايمان به مذهب أهل السنة والذى عليه الجماعة من أهل الملة ولم يفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم عليه السلام غير ذلك وكذلك التابعون بعدهم وذهب بعض المعتزلة الى موافقة أهل السنة على ذلك وذهب صالح قبة والصالحى وابن جرير الى أن الثواب والعقاب ينال الميت من غير حياة وهذا مكابرة للعقول وذهبت طائفة الى أن الميت يألم كما يألم السكران فاذا حشر وجد ذلك الالم كما يجد السكران الالم اذا عاد العقل اليه وهذا المذهب تخليط لاحاصل له وذهب ضرار بن عمر و بشر المريسى ويحيى بن كامل وغيرهم من المعتزلة الى أن من مات فهو ميت فى قبره الى يوم البعث ومنهم من اعترف بعذاب القبر وأنه يكون بين النفختين وكلا الامرين مخالف لما تظافرت به الاحاديث وطعن بعض الملحدة بأنا نرى المصلوب لايظهر عليه شئ من ذلك ومن افترسه السبع وتفرقت أجزاؤه كيف يقال بذلك فيه وللائمة رضى الله عنهم طرق فى الاجوبة عن ذلك منها أنه لايبعد أن تكون المساءلة على أجزاء مخصوصة من الجسد كاجزاء القلب ونحوها فيرد الله الروح اليها ويسائلها ومنها أنه لايبعد أن يرد الروح الى المصلوب من حيث لانشعر ونحن نحسبه ميتا كما نحسب صاحب السكتة ميتا وأما من تفرقت اجزاؤه فيرد الله الروح الى كل جزء ويسائله الملكان ومنها أن الذين فى القبور يجلسون ويسئلون والذين بقوا على وجه الارض من الموتى يحجب الله المكلفين عما يجرى عليهم كما حجبهم عن رؤية الملائكة مع رؤية النبيين لهم صلوات الله عليهم ومما تعلقوا به قوله تعالى انك لاتسمع الموتى وما أنت بمسمع من فى القبور وانكار عائشة رضى الله عنها سماع أهل القليب

فاما قوله تعالى انك لا تسمع الموتى فنحن نقول به وانما نقول يسمعون اذا اردت اليهم أرواحهم وأما قوله وما أنت بمسمع من فى القبور فمعناه اذا كانوا موتى وأما عائشة رضى الله عنها فقد اعترفت بالعلم وقالت انما قال انهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق واذا جاز العلم جاز السماع لانهما جميعا مشروطان بالحياة على الجملة فهذه الامور ممكنة فى قدرة الله تعالى وقد وردت بها الاخبار الصحيحة فيجب التصديق بها ويقطع بأن الحياة تعود الى الميت وأما أنه هل يموت بعد ذلك موتة ثانية لم يرد فى الاحاديث تصريح بذلك لكن فى كلام بعضهم ما يقتضيه وحمل عليه قوله تعالى ربنا أمتنا اثنتين على اختلاف المفسرين فيها والقائلون بعذاب القبر يقولون باستمراره وهكذا تقتضى الاحاديث الصحيحة كما تقدم هذا مقعدك حتى يبعثك الله وقوله تعالى يعرضون عليها غدوا وعشيا * وقد صح فى مسلم عن زيد بن ثابت قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه اذ حادت به فكادت تلقيه واذا أقبرستة أو خمسة أو أربعة فقال ومن يعرف أصحاب هذه القبور فقال رجل أنا فقال فمتى مات هؤلاء قال ماتوا فى الاشراك فقال ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فلولا أن لا تدفنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع وهذا يدل على استمرار عذاب القبر وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع صوتا من قبر فقالوا دفن فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر وأما قوله تعالى من بعثنا من مرقدنا فهو يشعر بالحياة لان الرقاد للحى وقد قيل فى تفسيره أقوال منها أن العذاب يرفع عن أهل القبور بين النفختين نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة النشر فلا يعذب فى هذه الاوقات الا من قتل نبيا أو قتله نبى أو قتل فى معترك نبى ومنها أن العذاب ليس بدائم بل بكرة وعشيا ويفتر فيما بين ذلك فتقوم الساعة فى ارتفاع النهار فيصادف قيامها وقت الفترة وقد تلخص من هذا أن

الروح تعاد الى الجسد ويحيا وقت المساءلة وأنه ينعم أو يعذب من ذلك الوقت الى يوم البعث اما منقطعا أو مستمرا على ما سبق وهل ذلك من بعد وقت المساءلة الى البعث للروح فقط أوله مع الجسم يلتفت على أن الجسم هل يفنى أو يتفرق وكلا الامرين جائز عقلا وفى الواقع منه قولان للمتكلمين ولم يرد فى الشرع ما يمكن التمسك به فى ذلك الا قوله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب فحيث يكون الجسم أو بعضه باقيا فلا امتناع من قيام الحياة به وحيث يعدم بالكلية يتعين القول بالروح فقط على أنها أيضا قد تعدم عند فناء العالم ليكون المعاد واردا عليها وعلى الجسم معا * وقد جاءت أحاديث تدل على أن بعض الموتى يقيهم الله تعالى فتنة القبر منهم الشهيد ومن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وآخرون وردت بهم أحاديث وهؤلاء ان خصوا من المساءلة فالنعيم والحياة شاملان لهم وقد عرف بهذا أن حياة جميع الموتى بأرواحهم وأجسامهم فى قبورهم لا شك فيها واستمرار العذاب أو النعيم بعد المساءلة لا شك فيه أيضا لما سبق وكون ذلك فيما بعد وقت المساءلة للروح فقط أولها مع الجسم مما يتوقف على السمع وقد ذكر سعيد بن السكن فى سننه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الميت اذا وضع فى قبره انه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فان كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه وذكر حديثا طويلا الى أن قال فيفسح له فى قبره سبعون ذراعا وينور له فيه ويعاد الجسد عما بدئ منه وتجعل النسمة فى النسم الطيبة فهو يطير ويعلق فى شجر الجنة وفى المستدرك على الصحيحين للحاكم فى فضائل عائشة رضى الله عنها قالت كنت أدخل البيت الذى دفن فيه معهما عمر والله ما دخلت الا وأنا مشدودة على ثيابى حياء من عمر * قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه *

﴿ الفصل الرابع ﴾

قد عرفت مقالات الناس فى سائر الموتى وفى الشهداء وعرفت أن القول فيهم بعود الروح الى الجسد وبقائها فيه الى يوم القيامة بعيد مخالف للحديث الصحيح أنها ترجع الى جسده يوم القيامة وعرفت أن النعيم حاصل لأرواح السعداء من الشهداء وغيرهم والعذاب حاصل للاشقياء فلعلك تقول ما الفرق حينئذ بين الشهداء وغيرهم والجواب عن هذا من وجهين * أحدهما أن اثبات الحياة للشهداء لا ينفى ثبوتها عن غيره فالآيتان الكريمتان الواردتان فى قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم « ليس فيهما نفى هذا الحكم عن غيرهم بل الرد على من يعتقد أنهم ليسوا كذلك ونص عليهم لان الواقعة كانت فيهم * الثانى أن أنواع الحياة متفاوتة حياة للاشقياء معذبين اعاذنا الله تعالى منها وحياة بعض المؤمنين من المنعمين وحياة الشهداء أكمل وأعلى فهذا النوع من الحياة والرزق لا يحصل لمن ليس فى رتبتهم وأما حياة الانبياء فأعلى وأكمل وأتم من الجميع لانها للروح والجسد على الدوام على ما كان فى الدنيا على ما تقدم عن جماعة من العلماء ولو لم يثبت ذلك فلا شك فى كمال حياتهم أيضاً أكبر من الشهداء وغيرهم أما بالنسبة الى الروح فلكمال اتصالها ونعيمها وشهودها للحضرة الالهية وهى مع ذلك مقبلة على هذا العالم ومتصرفة فيه وأما بالنسبة الى الجسد فلما ثبت فيه من الحديث وبالجملة كل احد يعامل بعد موته كما كان يعامل فى حياته ولهذا يجب الأدب مع النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته كما كان فى حياته وقد روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال لا ينبغى رفع الصوت على نبى حيا ولا ميتا وروى عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب فى بعض الدور المطنبة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا

وما عمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مصراعي داره الا بالمناصع توقيا لذلك هكذا رواه الحسيني في أخبار المدينة وهذا مما يدل على انهم كانوا يرون أنه حي وعن عروة قال وقع رجل في علي عند عمر بن الخطاب فقال له عمر بن الخطاب قبحك الله لقد آذيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره ومن نظر سير السلف الصالحين والصحابة والتابعين علم أنهم كانوا في غاية الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته كما كانوا في حياته وكانوا مع قبره الشريف كذلك وكيف لا وقد روى عن كعب الاحبار قال ما من فجر يطلع الا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين ألفا من الملائكة فلو لم يكن في الحضور عند القبر الا الدعاء بحضرة هؤلاء الملائكة فكيف وفيه حضرة سيد الخلق أجمعين ولذلك كانت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يغضون أصواتهم في مسجده صلى الله عليه وسلم تعظيما له ففي البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لرجلين من أهل الطائف لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو جمعنا الاحاديث الصحيحة التي فيها ما كانت الصحابة عليه من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيم آثاره وأدبهم معه لجاءت مجلدات بل الملائكة أيضا كانوا يسلكون كمال الأدب معه كما روى أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه حدثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب عن ابن بريدة قال وردنا المدينة فأتينا عبد الله ابن عمر فقال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل جيد الثياب طيب الريح حسن الوجه فقال السلام عليك يارسول الله فقال وعليك فقال يارسول الله أدنو منك قال ادنه فدنا دنوة فقلنا ما رأينا كاليوم قط رجلا أحسن ثوبا ولا أطيب ريحا ولا أحسن وجها ولا أشد توقيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يارسول الله

أدنومنك قال نعم فدنادنوه فقلنا مثل مقالتنا ثم قال له الثالثة أدنومنك يارسول الله قال نعم وذكر حديث جبرائيل وسؤاله عن الاسلام فانظر تعظيم جبرائيل وأدبه مع النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ملك الموت وغير ذلك من الأحاديث التى لاتحصر والكتاب العزيز واجماع المسلمين ولاشك ان من قال لايزار ولا يسافر لزيارته أولا يستغاث به بعيد من الادب معه نسأل الله تعالى العافية وقد روى القاضى اسمعيل فى أحكام القرآن عن محمد بن عبيد حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن رجلا قال لوقبض النبى صلى الله عليه وسلم لتزوجت فلانة فأنزل الله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا قال معمر وبلغنى أنه طلحة (١) قال لوقبض النبى صلى الله عليه وسلم لتزوجت عائشة فانظر محافظة القرآن العزيز على حفظه وصونه عما يؤذيه فى حياته وبعد مماته وهذا معلوم من الدين بالضرورة واشعار الآية الكريمة بأن نكاحهن بعد الموت يؤذيه فيقتضى أنه يتأذى بعد الموت فينبغى للمعتز على دينه أن يسلك كمال الأدب ويتحفظ غاية التحفظ لئلا يزل وهو لا يشعر فيما يؤذيه فيخسر الدنيا والآخرة نسأل الله تعالى أن يعصمنا فى ديننا ويسترنا فيما بقى من أعمارنا ويجعل مانقوله حجة لنا لا علينا ونورا يسعى بين أيدينا وأن يحشرنا

---

(١) قال الحافظ جلال الدين السيوطى فى فتاواه طلحة هذا ليس هو المشهور أحد العشرة بل هو رجل شاركه فى اسمه واسم أبيه ونسبه فان طلحة المشهور الذى هو أحد العشرة طلحة بن عبيد الله ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم التيمى وطلحة صاحب القصة طلحة بن عبيد الله بن شافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم التيمى * قال أبوموسى فى الذيل عن ابن شاهين فى ترجمته هو الذى نزل فيه وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية * وذلك انه قال لئن مات رسول الله لأتزوجن عائشة وقال ان جماعة من المفسرين غلطوا وظنوا أنه طلحة أحد العشرة انتهى من الاصل

فى زمرة هذا النبى صلى الله عليه وسلم وتحت لوائه ويوردنا حوضه ويرزقنا شفاعته ورضاه عنا ويجعلنا من المتبعين لسنته السالكين بهديه بمنه وكرمه آمين

﴿الفصل الخامس﴾

كان المقصود بهذا كله تحقيق السماع ونحوه من الأعراض بعد الموت فانه قد يقال ان هذه الأعراض مشروطة بالحياة فكيف تحصل بعد الموت وهذا خيال ضعيف لانا لا ندعى أن الموصوف بالموت موصوف بالسماع وانما ندعى أن السماع بعد الموت حاصل لحى وهو اما الروح وحدها حالة كون الجسد ميتا أو متصلة بالبدن حالة عود الحياة اليه والانسان فيه أمران (١) جسد ونفس فالجسد اذا مات ولم تعد اليه الحياة لا نقول بقيام شىء من الاعراض المشروطة بالحياة به وان عادت الحياة اليه صح اتصافه بالسماع وغيره من الأعراض والنفس باقية بعد موت البدن عالمة باتفاق المسلمين حتى ان عائشة رضى الله تعالى عنها لما أنكرت سماع أهل القليب وافقت على العلم وقالت انما قال انهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق بل غير المسلمين من الفلاسفة وغيرهم ممن يقول ببقاء النفوس يقولون بالعلم بعد الموت ولم يخالف فى بقاء النفوس الا من لا يعتد به وليس مرادنا أنها واجبة البقاء كما قال به بعض أهل الزيغ والالحاد ولا أنها تبقى دائما وان كانت ممكنة فانه قد يفنيها الله تعالى عند فناء العالم ثم يعيدها وانما المراد أنها تبقى بعد موت البدن ثم بعد ذلك ان فنيت أعيدت مع البدن يوم القيامة وان لم تفن أعيد البدن ورجعت ومادامت باقية تدرك المعقولات بلا اشكال وأما ادراكها للمحسوسات كالسمع

(١) قوله فيه أمران قال السبكى للسيد الصفوى هنا تحقيق فى مسئلة المعاد فليراجع وعبارته الانسان هو مجموع الجسد والروح وما فيه من المعانى فان الجسد الفارغ من الروح والمعانى يسمى شبحا وجثة لا انسانا وكذا الروح المجرد لا يسمى انسانا وكذا المعانى المحققة لا تسمى على الانفراد انسانا لا عرفا ولا عقلا اهـ من الاصول المنقول عنها

وغيره ففي حال تعلقها بالبدن اختلف المتكلمون هل هي المدركة فقط والحواس بمنزلة الطاقات أو الحواس تدرك ثم تنقل اليها كالحجاب يسمعون ثم ينقلون الى الملك وعلى كل من القولين هي مدركة للمسموع ولم يقم دليل على أن اتصالها بالبدن شرط في هذا الادراك بل الظاهر أنه ليس بشرط كما أنه ليس بشرط في العلم بالمعقولات ونحن يكفينا بيان امكان ذلك عقلا فاذا ورد به سمع اتبع ولسنا في مقام اثباته بمجرد العقل بل في مقام عدم استحالته وأنه ليس الامر على ما توهمه السائل وما ذكره من شرطية السمع بالحياة صحيح والحياة تتصف الروح بها و بيان ذلك يحوج الى الكلام في حقيقة النفس وقد أكثر الناس الكلام فيها والتصانيف وتباينت فيها أقوال الناس هل هي جسم أو عرض أو مجموعهما أو جوهر فرد متحيز أو جوهر مجرد غير متحيز ولا يمكن قول سادس وانما الكلام في تعيين واحد من الخمسة * من الناس من توقف فيه وهو أسلم وحمل على ذلك قوله تعالى قل الروح من أمر ربي وأنه لم يامره أن يبينه لهم ومنهم من قال انها جسم وهؤلاء تنوعوا أنواعا أمثلها قول من قال انها أجسام لطيفة مشتبكة بالاجسام الكثيفة أجرى الله العادة بالحياة مع بقائها وهو مذهب جمهور أهل السنة والى ذلك يشير قول الاشعري والباقلاني وامام الحرمين وغيرهم ويوافقهم قول كثير من قدماء الفلاسفة ومنهم من قال انها عرض خاص ولم يعينه قاله جماعة من المتكلمين ونصره الهراسي من أصحابنا ومنهم من عينه وتنوعوا في ذلك أنواعا ومنهم من قال انها جوهر فرد متحيز نقل ذلك سيف الدين الآمدي عن الغزالي ومعمر وغيرهما من الاسلاميين القائلين بانها بسيطة والقائلون بهذه الاقوال الثلاثة يقولون ان قوله تعالى قل الروح من أمر ربي جواب فان أمر الرب هو الشرع والكتاب الذي جاء به فمن دخل في الشرع وتفقه في الكتاب والسنة عرف الروح فكان معنى الكلام ادخلوا في الدين تعرفوا ما سألتم عنه على انه قد

قيل انهم لم يسألوا عن الروح الانسانى بل عن ملك من الملائكة والاقوال فى ذلك مذكورة فى التفسير وقيل ليس سؤالا عن حقيقتها بل عن حدوثها وأجابهم بما يدل على حدوثها وأنها من فعل الله تعالى وكل من قال بانها جسم يجوز اتصافها بالحياة وأما القول بانها عرض فبعيد ومن الناس من قال الروح جوهر مجرد لامتحيز ولا حال فى متحيز وهو مذهب حذاق الفلاسفة والذى يظهر أن هذا مذهب الغزالى أيضا وهكذا هو فى (المضنون به على غير أهله الكبير) و (المضنون به على غير أهله الصغير) ولكن الآمدى نقل عنه ماذكرت والمضنون الكبير فيه أشياء من اعتقاد الفلاسفة خارجة عن اعتقاد المسلمين ولذلك ان بعض الفضلاء كان ينكر نسبته الى الغزالى رحمه الله وهو فى الاحياء فى شرح عجائب القلب لم يفصح بذلك وانما قال انها لطيفة ربانية روحانية هى حقيقة الانسان وهى المدرك العالم العارف من الانسان وهى المخاطب المطالب ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسمانى وقد تحيرأ كثر العقول فى ادراك وجه علاقته وقال ان هذه اللطيفة الربانية يطلق عليها الروح والنفس والقلب والعقل وهى غير الروح الجسمانى وغير النفس الشهوانية وغير القلب الصنوبرى وغير العقل الذى هو العلوم فالمعانى خمسة والالفاظ أربعة كل لفظ لمعنيين هذا كلامه فى الاحياء واتفق الاطباء على أن فى بدن الانسان ثلاثة أرواح روح طبيعى وهو جسم لطيف معدنه الكبد ثم ينبث فى سائر البدن ويحمل القوى الطبيعية وروح حيوانى وهو جسم لطيف معدنه القلب و ينبث فى سائر البدن ويحمل قوة الحياة وروح نفسانى وهو جسم لطيف معدنه الدماغ وينبث فى سائر البدن وفعله الحس والحركة وهذه الارواح يشترك فيها الحيوانات ولم يتكلموا فى النفس الناطقة الخاصة بالانسان التى هى غرضنا هنا اذا عرف ذلك فالفلاسفة القائلون

في النفس الناطقة انها جوهر مجرد فانهم يقولون انه حي عالم متكلم سميع بصير قادر مريد ولكنه ممكن موجود بايجاد الله تعالى حادث بعد العدم مخلوق وقد يطلقون المخلوق على ماله كمية يدخل بسببها تحت المساحة والتقدير ويقولون عالم الخلق ما كان كذلك وعالم الامر الموجودات الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز وهو ما لا يدخل تحت المساحة والتقدير لانتفاء الكمية عنه والمنتصرون لهذا يجعلون قوله تعالى قل الروح من أمر ربي جوابا بانها من عالم الامر والمتكلمون من المسلمين لا يثبتون هذا الوصف الا لله تعالى ويقولون كل ممكن فهو اما متحيز واما حال في المتحيز والفلاسفة يثبتونه وهو أشرف الممكنات عندهم لانه لا يحتاج الا الى موجده فقط ولكل من المتكلمين والفلاسفة على نفيه واثباته أدلة ليست بالقوية والآية الكريمة ليس فيها دليل لهم كما عرف في التفسير وظواهر الشريعة تقتضي أن الروح متحيزة فقد روى ابن ماجه باسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحضر الملائكة فاذا كان الرجل صالحا قالوا اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم تعرج بها الى السماء فتفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان بن فلان فيقال مرحبا بالنفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها هذا حتى تنتهي يعني الى عليين ووردت أحاديث كثيرة بمعنى هذا والقرآن يشهد له قال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الآية وقال تعالى لا تفتح لهم أبواب السماء جاء أنها الأنفس الخبيثة وقد يقول ان الاشارة بذلك الى الروح الحيواني ولعل الروح الحيواني

الموجود فى الانسان يبقى بعد الموت وينتقل الى عليين أو سجين والله سبحانه وتعالى أعلم *

﴿ الباب العاشر فى الشفاعة ﴾

ووجه ذكرها شرح متن الحديث الاول وهو قوله صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى * وختمنا بها الكتاب لتكون هى خاتمة أمرنا ان شاء الله تعالى والقول الجلى فى الشفاعات الأخر وبه أنها خمسة أنواع وكلها ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم وبعضها لا يدنو أحد اليه سواه وفى بعضها يشاركه غيره ويكون هو المتقدم صلى الله عليه وسلم فاختص صلى الله عليه وسلم بعموم الشفاعة وببعض أنواعها وأما الباقى فيصح نسبته اليه لمشاركته وتقدمه فيه فالشفاعات كلها راجعة الى شفاعته وهو صاحب الشفاعة بالاطلاق فقوله شفاعتى يصح أن يكون اشارة الى النوع المختص به والى العموم والى الجنس لنسبة ذلك كله اليه فهذه لطيفة يجب التنبه لها وأما التفصيل فقال القاضى عياض وغيره الشفاعة خمسة أقسام (أولاها) مختصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهى الاراحة من طول الوقوف وتعجيل الحساب لا يدنو اليها غيره وهى الشفاعة العظمى ولم ينكرها أحد ﴿ الثانية ﴾ الشفاعة فى ادخال قوم الجنة بغير حساب وهذه أيضا وردت لنبينا صلى الله عليه وسلم كما يتبين فى الاحاديث التى نذكرها ان شاء الله تعالى * قال ابن دقيق العيد ولا أعلم الاختصاص فيها أو عدم الاختصاص * قلت ولفظ الحديث الذى يأتى فأقول يارب أمتى أمتى فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب * وحديث دخول قوم الجنة بغير حساب رواه البخارى ومسلم من طرق عن النبى صلى الله عليه وسلم فى بعضها يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا بغير حساب فقال

رجل يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم والرجل عكاشة وفي حديث آخر قالوا ومن هم يارسول الله قال هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وفي حديث آخر عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد ورفع لي سواد عظيم وتمنيت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى عليه السلام وقومه ولكن انظر الى الأفق فنظرت فاذا هو سواد عظيم فقيل لي انظر الى الأفق الآخر فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب * وفي حديث آخر وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب * وفي حديث آخر يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفا تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر * وهذه الاحاديث كلها في الصحيح وفي حديث آخر في الصحيح * لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وهو اشارة الى سعة باب الجنة وسيأتي التصريح به وقوله أولهم وآخرهم اما أن يراد به في الدنيا وان المتقدم في الزمان والمتأخر يدخلون دفعة واحدة وإما أن يكون كناية عن سرعة تعاقبهم فانهم يدخلون متماسكين والا فيستحيل أن يكون لهم أول وآخر في الدخول ولا يدخل أولهم قبل آخرهم حقيقة * اذا عرفت ذلك فلا شك أن زمرة تدخل الجنة بغير حساب وهم بالصفة المذكورة في الحديث وقد دخل فيهم عكاشة رضي الله عنه بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم والظاهر أن كل من حصلت له الصفة المذكورة في الحديث استحق هذا الجزاء لكن دخولهم الجنة متوقف على شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فاذا شفع أذن الله بادخالهم من الباب الايمن كما هو ظاهر الحديث فانه جعل كونهم لا حساب عليهم وصفا ثابتا لهم ويحتمل أن ذلك الجزاء انما يستحقونه بشرط الشفاعة وان اشتملوا على الصفات المذكورة لكن لم يدل دليل على هذا وأعني بالحديث المذكور قوله تعالى أدخل الجنة من

لاحساب عليه وأما أن شخصا لا يتصف بالصفة المذكورة فى الحديث ويكون ممن يستحق الحساب فهل يشفع فيه حتى يدخل الجنة بغير حساب أولا فلفظ الحديث لا يدل على ذلك بنفى ولا اثبات وظاهر قوله سبعون ألفا أنهم لا يزيدون على ذلك وأنهم كلهم بالصفة المذكورة وهل من الامم السابقة من غير الانبياء من يدخل الجنة بغير حساب لم يرد فيه شئ بنفى ولا اثبات وقال أبو طالب عقيل بن عطية رحمه الله الظاهر أن فيهم من هو كذلك * قلت وعلى كل من التقادير المفروضة فالخصوصية ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم فى ادخال أول زمرة من أمته الجنة بشفاعته فان شفاعته المذكورة تكون فى أول مقام الشفاعة قبل أن تجعل الشفاعة لغيره ويترتب عليها الاذن فى ادخال الزمرة المذكورة وهى أول من يدخل الجنة كما سيأتى وهذا المعنى لا يشاركه أحد فيه سواء كان فى الامم المتقدمة من يدخل بغير حساب ويحتاج الى شفاعة نبيه أولا وحينئذ تكون العبارة المحررة عن هذه الشفاعة أنها شفاعة فى استفتاح الجنة وادخال أول زمرة تدخلها وهى فى الرتبة الثانية من الشفاعة العظمى التى لفصل القضاء والاراحة من طول الوقوف فى ذلك المكان وعبارة القاضى عياض ومن تابعه تقتضى اثبات شفاعة فى اسقاط الحساب وهو من الامور الجائزة عقلا فان ورد به سمع اتبع والقاضى عياض وغيره لما ذكروا ذلك أشاروا الى الحديث المذكور وقد بينا ما يقتضيه وسنذكر فى بعض أحاديث الشفاعة سؤال المؤمنين لآدم عليه السلام فى استفتاح الجنة ونتكلم على كون السؤال مرتين أو مرة وعلى كل تقدير فالشفاعة فى استفتاح الجنة متأخرة الرتبة عن الشفاعة فى فصل القضاء فتصلح هذه شفاعة ثانية وكلاهما خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم بغير شك ومن تأمل الأحاديث التى سنذكرها عرف ان أول فصل القضاء تمييز الامم والامر بان تتبع كل أمة ما كانت تعبد الى أن لا يبقى الا المؤمنون فيدخلون الجنة زمرا وجميع ذلك والله أعلم بعطاء النبى صلى الله عليه وسلم فى أول مرة

اذا رفع رأسه من السجود وشفع وقيل له أدخل الجنة من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب وقوله وهم يعود على الأمة فاما أن يحمل على من لا يدخل النار أو على الجميع و يكون ذلك بشرى النبي صلى الله عليه وسلم بدخولهم جميعهم الجنة وان تأخر بعضهم ثم السجدات الباقية لاخراج المذنبين من النار ولعل السبعين الفا يدخلون بغير عرض فان ظاهر الحديث يقتضي أنه لا حساب عليهم أصلا ومن يحاسب حسابا يسيرا خارج عنهم والحساب اليسير هو العرض كما جاء تفسيره في الحديث الصحيح وكلا القسمين لا يعذب ومن نوقش الحساب عذب ﴿ الشفاعة الثالثة ﴾ الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم ومن يشاء الله هكذا ذكره القاضي عياض وأشار بذلك الى ماسنذكره في حديث أبي سعيد من قوله ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون اللهم سلم سلم وظاهر هذا أنها شفاعة تحل بعد وضع الصراط بعد الشفاعتين الاولين وأنها في اجازة الصراط و يلزم من ذلك النجاة من النار ولم يرد تصريح بذلك ولا بكونها مختصة أو غير مختصة لكن سيأتي في الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يكون في ذلك اليوم إمام النبيين وصاحب شفاعتهم فكل ما يقع من شفاعتهم ينسب اليه بذلك فلا يخرج شيء عن شفاعته لا من أنواع الشفاعة ولا من الاشخاص المشفوع فيهم من ملته ومن غير ملته لانه اذا كان صاحب شفاعة الانبياء والكل تحت لوائه فكل من شفعوا فيه فبسببه صلى الله عليه وسلم تقدموا للشفاعة فيه واجابة شفاعتهم اجابة له صلى الله عليه وسلم فكل من تقع شفاعة النبيين فيه داخل تحت شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم ومن شفع فيه المؤمنون كذلك بطريق الاولى فهو صلى الله عليه وسلم شفيع الشفعاء ﴿ الشفاعة الرابعة ﴾ فيمن دخل النار من المذنبين وقد جاءت الأحاديث الصحيحة باخراجهم من النار بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء والملائكة واخوانهم من المؤمنين

ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا اله الا الله كما جاء فى الحديث ولا يبقى فيها الا الكافرون وهذه الشفاعة والشفاعة الاولى العظمى تواترت الأحاديث بهما واختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بالعظمى كما سبق وأما هذه فقد جاء فيها شفاعة الملائكة والانبياء والمؤمنين وان الله تعالى بعد ذلك يخرج برحمته من قال لا اله الا الله وفيه أقوال سنذكرها أحسنها انه من قال من غير هذه الأمة لا اله الا الله ولم يشمله شفاعة أنبيائهم وغيرهم من الشافعين أما هذه الامة فكلها يخرج بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وان وقع فى بعضهم شفاعة لاخوانهم من المؤمنين فهى فى طى شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لما أشرنا اليه فيما سبق واذا ثبت ذلك فاختصاصه صلى الله عليه وسلم من هذا النوع باخراج عموم أمته حتى لا يبقى منهم أحد وهذا هو الموافق لعموم قوله صلى الله عليه وسلم شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى وقوله صلى الله عليه وسلم لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيأ رواه مسلم من طرق وروى البخاري طرفا منه وقوله صلى الله عليه وسلم أتانى آت من عند ربي عز وجل فخيرنى بين أن يدخل الجنة نصف أمتى وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لا يشرك بالله شيأ رواه الترمذى وقوله صلى الله عليه وسلم خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لانها أعم وأكثر ترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين رواه ابن ماجه فهذه العمومات كلها متظافرة على عموم شفاعته لكل الامة وكذلك قوله بين يدى الله تعالى يوم القيامة أمتى أمتى وهى دعوة يتحقق استجابتها وقد قال العلماء فى قوله لكل نبى دعوة مستجابة انه على يقين من اجابتها وباقى دعواته يرجوها فقد ظهر بهذا اختصاصه صلى الله عليه وسلم بعموم هذه الشفاعة لكل أمته

﴿الشفاعة الخامسة﴾ فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها ذكرها القاضى عياض

وغيره ولا ينكرها المعتزلة أيضا ولم أجد فى الاحاديث تصريحا بها لكن عبد الجليل القصرى فى كتاب شعب الايمان له ذكر فى تفسير الوسيلة التى اختص بها النبى صلى الله عليه وسلم أنها التوسل وأن النبى صلى الله عليه وسلم يكون فى الجنة بمنزلة الوزير من الملك بغير تمثيل لا يصل الى أحد شئ الا بواسطته صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك فهذه أيضا خاصة به هذا تفصيل الشفاعات الخمس ومن تأملها وعرف عموم شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لها واختصاصه بما اختص منها وأمعن النظر فى ذلك عرف على قدر رتبة هذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم وكلما أمعن فى ذلك ازداد اعتقادا وهو كما قال القائل

* يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا وقد رأيت أن لا أخلى هذا الكتاب من أحاديث الشفاعة على سبيل الاختصار فمن ذلك ما رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى فى صحيحيهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون الى من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبونا أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول آدم ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهانى عن الشجرة نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل الى أهل الارض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لى دعوة دعوت

بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقولون أنت نبي الله
وخليله من أهل الارض اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول
لهم ابراهيم ان ربي قد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي
نفسي اذهبوا الى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله
برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى ما نحن فيه ألا ترى الى
ما قد بلغنا فيقول لهم موسى ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن
يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى عيسى
فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه
ألقاها الى مريم وروح منه فاشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد
بلغنا فيقول لهم عيسى ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله ولم يذكر له ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فيأتوني
فيقولون يا محمد أنت رسول الله خاتم الانبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى الى ما قد بلغنا فأنطلق فآتي تحت العرش
فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم
يفتحه لأحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي
فأقول يارب أمتي أمتي فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب
الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب والذي نفس
محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة
وبصرى هذا لفظ مسلم وذكره البخاري في مواضع مقطعا وذكره بطوله في سورة
بني اسرائيل وذكر فيه من قول آدم ومن دونه من الانبياء عليهم الصلاة
والسلام نفسي نفسي ذكرها ثلاثا وقال أمتي يارب أمتي يارب أمتي
يارب وروى البخاري ومسلم أيضا عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم الى بعض فيأتون آدم فيقولون له اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله تعالى فيؤتى موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد قال صلى الله عليه وسلم فيأتونى فأقول أنا لها أنطلق فأستأذن على ربى فيؤذن لى فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن يلهمنيها الله ثم أخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول أمتى أمتى فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من بر أو شعيرة من ايمان فأخرجه منها فانطلق فأفعل ثم أرجع الى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب أمتى أمتى فيقال لى انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فأخرجه منها فانطلق فأفعل ثم أعود الى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب أمتى أمتى فيقال لى انطلق فمن كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل ثم أرجع الى ربى فى الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب ائذن لى فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك أو قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لأخرجن من قال لا اله الا الله هذا لفظ مسلم وقال البخارى فى الاول مثقال شعيرة من ايمان وفى الثانية مثقال ذرة وخردلة من ايمان وفى الثالثة أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردلة من ايمان فأخرجه من النار من النار من النار فأنطلق فأفعل ولم يقل فيه ليس

ذلك اليك قال وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال لا اله الا الله * وخرج البخارى ومسلم حديث أنس من طريق آخر وفيه ذكر نوح بعد آدم كما فى حديث أبى هريرة وفيه من قول عيسى ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبد قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونى فاستأذن على ربى فيؤذن لى فاذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لى حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا وفيه فى الثالثة أو الرابعة فأقول يارب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود هكذا فى رواية وفى رواية عند البخارى قال فى الرابعة ثم أرجع فأقول يارب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود * وفى البخارى فى رواية ذكر الشفاعة ثلاث مرات وفيه فى الثلاث فأستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه وفيه ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال هذا المقام المحمود الذى وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم وفى رواية عند مسلم عن أنس أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله المؤمنين يوم القيامة فيلهمون لذلك يقولون لو استشفعنا على ربنا وفى مسند أبى عوانة عن حذيفة بن اليمان عن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم قال أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فصلى الغداة ثم جلس حتى اذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس مكانه حتى صلى الاولى والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخرة ثم قام الى أهله فقال الناس لأبى بكر سل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه صنع اليوم شيأ لم يصنعه قط فسأله فقال نعم عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا وأمر الآخرة فجمع

الاولون والآخرون فى صعيد واحد فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا الى آدم والعرق كاد يلجمهم فقالوا يا آدم أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله اشفع لنا الى ربك قال قد لقيت مثل الذى لقيتم انطلقوا الى أبيكم بعد أبيكم انطلقوا الى نوح وذكر الحديث قريبا من رواية أنس الى أن انتهى الى عيسى قال ليس ذاكم عندى ولكن انطلقوا الى سيد ولد آدم وفيه قال فينطلق فيأتى جبرئيل فيقول الله له ائذن له وبشره بالجنة قال فينطلق به جبرئيل فيخر ساجدا اقدر جمعة ثم يقول الله يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع قال فيرفع رأسه فاذا نظر الى ربه خر ساجدا قدر جمعة أخرى فيقول الله يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع قال فيذهب ليقع ساجدا فيأخذ جبرئيل عليه السلام بضبعيه فيفتح الله عليه من الدعاء شيأ لم يفتحه على بشر قط قال فيقول أى رب جعلتنى سيد ولد آدم ولا فخر وأول من تنشق عنه الارض يوم القيامة ولا فخر حتى إنه ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة * وهذا الحديث يشير الى أمر عظيم مما رآه النبى صلى الله عليه وسلم وأعلمه فى ذلك اليوم لا يحيط به الا الله تعالى ومن أعلمه اياه وأن ما اشتمل عليه حديث أنس وأبى هريرة رضى الله عنه وغيرهما من التفاصيل جزء يسير مما علمه النبى صلى الله عليه وسلم من أحوال يوم القيامة أعاننا الله تعالى عليه والظاهر أن هذه السجدة الاولى المذكورة فى هذه الرواية لم تذكر فى حديث أنس وأبى هريرة ويكون المراد فى حديث أنس وأبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم يقوم فى مقام الشفاعة أربع مرات والمذكور هنا تفصيل المرة الاولى منها وجاءت أحاديث أخر فيها بعض أحوال يوم القيامة أيضا منها حديث عن حذيفة بن اليمان وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول لست

بصاحب ذلك اذهبوا الى ابنى ابراهيم خليل الله قال فيقول ابراهيم لست بصاحب
ذلك اعمدوا الى موسى الذى كلمه الله تكليما فيأتون موسى فيقول لست بصاحب
ذلك اذهبوا الى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى لست بصاحب ذلك فيأتون
محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم ويؤذن له وترسل الامانة والرحم فتقومان
جنبتى الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق الخاطف ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد
الرجال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول يارب سلم سلم حتى تعجز
أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال وفى حافتى الصراط
كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس فى النار *
رواه مسلم * وانفرد بقوله يقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة و بذكر الامانة
والرحم وقيامهما جنبتى الصراط وبذكر قيام النبى صلى الله عليه وسلم على
الصراط و بقيته رواه البخارى من طرق أخرى وعن أبى سعيد الخدرى رضى
الله عنه فى حديث الرؤية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة
أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام
والانصاب الا يتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر
وغبر أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد
عزير ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا
عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى النار فيتساقطون فى النار
ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال
لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ما تبغون فيقولون عطشنا
يا ربنا فاسقنا قال فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى جهنم فيتساقطون فيها حتى
اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين وفيه فيكشف عن ساق
فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان

يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل وما الجسر يارسول الله قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى النار حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده مامن أحد منكم باشد مناشدة لله فى استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر الحياة فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى افضل من هذا فيقولون يا ربنا وأى شئ أفضل من هذا فيقول رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبدا قال أبو سعيد الخدرى بلغنى ان الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف (لفظ مسلم) وللبخارى قريب منه وقال دينار من ايمان ونصف دينار من الايمان وذرة من ايمان وفى البخارى من

حديث أبي هريرة في الرؤية عن النبي صلى الله عليه وسلم يجمع الله الناس فيقال من كان يعبد شيأ فليتبعه وفي آخره فيضرب الصراط بين ظهري جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم (قوله يجيز) يقال جازوأجاز لغتان وقوله ذرة بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء ومن قال خلاف ذلك فقد صحف وقال بعضهم في هذه الأحاديث ان المعاني التي في الدنيا تظهر يوم القيامة للحس والعيان فلذلك تشاهد الانبياء والمؤمنون ما في القلوب على هذه الاوزان المخصوصة وجعل قول أبي سعيد في الصراط انه أدق من الشعرة وأحد من السيف راجعا الى صعوبة الاستقامة على الصراط في الدنيا وان الكلاليب والحسك التي حوله هي الاغراض والاهواء التي في الدنيا وقوله تحل الشفاعة قيل هو من الحل نقيض الحرمة أي يؤذن فيها وقيل من الحلول أي تحصل وتقع وفي البخاري حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود واختلف في تفسيره والصحيح أن المراد بها ذارات الوجوه كما ورده صر حابه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر (رواه الترمذي) وقال حسن * وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر رواه الترمذي وقال حسن وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي رواه الترمذي وقال حسن * وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها

وهى فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر (رواه الترمذى)
* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم أن يشفع لى
يوم القيامة فقال أنا فاعل قال قلت يارسول الله فأين أطلبك قال اطلبنى أول
ماتطلبنى على الصراط قال قلت فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبنى عند الميزان
قلت فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبنى عند الحوض فانى لا أخطئ هذه الثلاث
مواطن رواه الترمذى وقال حسن غريب * وعن أبى هريرة رضى الله عنه
قال قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال لقد ظننت ياأبا
هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على
الحديث ان أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل
نفسه رواه البخارى * وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص
لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم
فى دخول الجنة * انفرد به البخارى وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن شعيرة ثم
يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن برة ثم يخرج من
النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن ذرة متفق عليه زاد
البخارى بعد ذكره هذا الحديث قال أبان حدثنا قتادة حدثنا أنس عن النبى
صلى الله عليه وسلم من ايمان مكان خير وترجم عليه باب زيادة الايمان ونقصانه
* وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا
كان يوم القيامة شفعت فقلت يارب أدخل الجنة من فى قلبه خردلة فيدخلون
ثم أقول أدخل الجنة من كان فى قلبه أدنى شئ رواه البخارى وعن جابر
رضى الله عنه قال هل سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم فانه مقام

محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذى يخرج الله به من يخرج * وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة * رواه البخارى فى باب صفة الجنة والنار * وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس يشفع فى الجنة وأنا أكثر الانبياء تبعا * رواه مسلم * وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلق * ذكره عبد الحق وهو فى مسلم لكنه وقع فيه اشكال لعله على بعض الرواة فأسقط اللفظ المذكور حتى صار لا يفهم معناه وقال على كذا * وعن ابن عمر قال فيرقى هو يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته على كوم فوق الناس * وقد ورد مبينا من طرق منها عن كعب بن مالك * رواه أحمد فى مسنده أنبأنا الامام الحافظ أبو محمد مسعود ابن أحمد بن مسعود الحارثى رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع قال أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى قراءة عليه وأنا أسمع قال أنبأنا أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن أبى المجد الحربى أنبأنا هبة الله بن عبد الواحد بن الحصين أنبأنا أبو على الحسن بن على بن محمد المذهب أنبأنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعى حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنى أبى حدثنا يزيد بن عبد الرب قال حدثنى محمد بن حرب حدثنا الزبيدى عن الزهرى عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل ويكسونى ربى حلة خضراء ثم يؤذن لى فأقول ماشاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود وفى مسلم فى بقية حديث جابر يعطى كل انسان منهم منافق أو مؤمن نورا وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله ثم يطفئ نور المنافقين ثم

ينجو المؤمنون فينجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا لا يحاسبون ﴿ وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما اذا كان يوم القيامة كان الناس جثى تتبع كل أمة نبيها يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى ينتهي الى النبي صلى الله عليه وسلم والاحاديث في الشفاعة كثيرة ومجموعها يبلغ مبلغ التواتر وأعني بالتواتر هنا ما اشتركت فيه الروايات من الشفاعة لا لفظا واحدا منها بخصوصه وهذا النوع من التواتر في السنة كثير وأما التواتر في لفظ حديث مخصوص فعزيز وقد تضمنت هذه الاحاديث من المناقب الشريفة والمآثر الجليلة والفوائد الجمة ما لا يسعه هذا المكان ولكنا نشير الى شئ منه على سبيل الاختصار أما قوله في أوله يجمع الله الناس وفي رواية أخرى يجمع المؤمنون ففيه اشارة الى أن الذي يتوجه الى الانبياء ويخاطبهم بسؤال الشفاعة هم المؤمنون وان كان الغم والكرب قد عم جميع الناس من الكفار والمؤمنين الأولين والآخرين واختصاص المؤمنين بسؤال الانبياء مناسب لأمرين (أحدهما) مالهم من الصلة بهم بالايمان (والثاني) أنه يحصل لهم باراحتهم من ذلك المكان خير والكفار ينتقلون الى ما هو أشد عليهم فهذه الشفاعة العظمى وان ترتب عليها فصل القضاء لعموم الناس فليس الكفار مقصودين بها قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقال تعالى حكاية عنهم فما لنا من شافعين وقد قيل ان جميع الناس يسألون مؤمنهم وكافرهم

(فصل)

وفي التجاء الناس الى الانبياء في ذلك اليوم أدل دليل على التوسل بهم في الدنيا والآخرة وأن كل مذنب يتوسل الى الله عز وجل بمن هو أقرب اليه منه وهذا لم ينكره أحد وقد قدمنا طرفا من ذلك في باب الاستغاثة ولا فرق

بين أن يسمى ذلك تشفعا أو توسلا أو استغاثة وليس ذلك من باب تقرب المشركين الى الله تعالى بعبادة غيره فان ذلك كفر والمسلمون اذا توسلوا بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الانبياء والصالحين لم يعبدوهم ولا أخرجهم ذلك عن توحيدهم لله تعالى وأنه هو المنفرد بالنفع والضرر واذا جاز ذلك جاز قول القائل أسأل الله تعالى برسوله لأنه سائل لله تعالى لا لغيره

(فصل)

واما الهامهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ولم يلهموا في الابتداء سؤال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالحكمة فيه والله تعالى أعلم أنهم لو سألوه ابتداء لأمكن أن يقول قائل يحتمل أن غيره يقدر على هذا فأما اذا بذلوا الجهد في السؤال والاسترشاد وسألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه وأولى العزم فامتنعوا ولم يألوهم جهدا في النصح والارشاد فانتهوا اليه وأجاب وحصل غرضهم حصل العلم لكل أحد بنهاية مرتبته صلى الله عليه وسلم وارتفاع منزلته وكمال قربه وعظم اجلاله وأنسه وتفضيله على جميع المخلوقين من الرسل الآدميين والملائكة وحق لصاحب هذا المقام أن يكون سيد الامم وأن يسافر الى زيارته على الرأس لا على القدم

(فصل)

وأما ما ذكره الأنبياء عليهم السلام فنبه القاضى عياض رحمه الله تعالى فيه على فائدة جليلة يؤكد القول المختار أنهم معصومون من الكبائر والصغائر فان هذه الاشياء التى ذكروها أكل آدم عليه السلام من الشجرة ناسيا ودعوة نوح عليه السلام على قوم كفار وقتل موسى لكافر لم يؤمر بقتله (وكان ذلك قبل النبوة) ومدافعة ابراهيم عليه السلام على الكفار بقول عرض

به هو فيه صادق من وجه وهذه كلها في حق غيرهم ليست بذنوب لكنهم أشفقوا منها اذ لم يكن عن أمر الله تعالى وعتب على بعضهم فيها لعلو منزلتهم من معرفة الله تعالى ولو صدر منهم شئ غير ذلك لذكروه في ذلك المقام فليتأمل الناظر هذه الفائدة وليأخذها بكلتا يديه وما اختاره القاضي عياض من عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر هو الذي أعتقده وأدين الله به وان كان أكثر المتكلمين على خلافه ولا يحتمل هذا المكان التطويل بالاستدلال له قال القاضي عياض ولا يهولنك أن نسب قوم هذا المذهب الى الخوارج والمعتزلة وطوائف من المبتدعة اذ منزعهم فيه منزع آخر من التكفير بالصغائر ونحن نتبرأ الى الله تعالى من هذا المذهب

(فصــــل)

وأما قوله صلى الله عليه وسلم عقب رفع رأسه يارب أمتي أمتي فظاهره أن أول شفاعته في أمته وفي حديث حذيفة المتقدم أنه يقوم وترسل الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط ومال القاضي عياض الى أن هذا في الاول لان هذه الشفاعة هي التي لجأ الناس اليه فيها وهي للاراحة من الموقف والفصل بين العباد ثم بعد ذلك حلت الشفاعة في أمته صلى الله عليه وسلم في المذنبين وحلت شفاعة الانبياء والملائكة وغيرهم وجاء في الاحاديث المتقدمة اتباع كل أمة ما كانت تعبد ثم تمييز المؤمنين من المنافقين ثم حلول الشفاعة ووضع الصراط فيحتمل أن الامر باتباع الامم ما كانت تعبد هو أول الفصل والاراحة من هول الموقف وهو أول المقام المحمود وأن الشفاعة التي ذكر حلولها هي الشفاعة في المذنبين على الصراط وهو ظاهر الاحاديث وانها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولغيره كما نص عليه في الاحاديث السابقة ثم ذكر بعدها الشفاعة فيمن دخل النار وبهذا تجتمع متون الاحاديث وترتيب معانيها ان شاء الله تعالى هذا كلام القاضي رحمه الله

وهو ترتيب حسن وليس فيه ما يعارض شفاعته صلى الله عليه وسلم لأمته عقب رفع رأسه من السجود فى المرة الاولى فانه يحتمل أن يكون ذلك ابتداء فصل القضاء فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن أمته هى المقضى لهم قبل الخلائق فيكون صلى الله عليه وسلم لما بدنوا الشفاعة فى فصل القضاء ويؤذن له فى الشفاعة يبتدئ بالسؤال لمن يقضى له أولا فيجاب بأن يدخل الجنة من أمته من لا حساب عليه هذا فى المرة الاولى ويكون اعلامه صلى الله عليه وسلم بذلك فى أول الامر من كمال الاكرام ثم بعد ذلك تتبع كل أمة ما كانت تعبد ويوضع الصراط ويؤذن فى الشفاعة للمذنبين فيشفع النبى صلى الله عليه وسلم والانبياء والملائكة فى نجاة من يشاء الله من النار ثم بعد ذلك يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ومن شاء الله تعالى من المذنبين فيقع بعد ذلك الشفاعة فى اخراج المذنبين من النار ولعل سؤال النبى صلى الله عليه وسلم لأمته فى الثانية والثالثة والرابعة حينئذ ويشفع الانبياء أيضا والملائكة والمؤمنون فى اخوانهم ويحتمل أن يكون اقتصار النبى صلى الله عليه وسلم على ذكر أمته من كمال الادب مع ربه سبحانه وتعالى فانهم الأخصون به وهو صلى الله عليه وسلم يعلم أنه يحصل فى ضمن ذلك ما قصد اليه ولجأ الناس بسببه من فصل القضاء العام على أنه قد ورد فى حديث آخر ذكره القاضى عياض فى الشفاء أما ترضون أن يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة ثم قال انهما فى أمتى يوم القيامة أما ابراهيم فيقول أنت دعوتى وذريتى فاجعلنى من أمتك وأما عيسى فالأنبياء اخوة بنو علات أمهاتهم شتى وان عيسى أخى ليس بينى وبينه نبى وأنا أولى الناس به ويحتمل أن يكون السؤال للانبياء مرتين مرة من جميع الناس فى فصل القضاء ثم مرة من المؤمنين بعد تميزهم فى استفتاح الجنة وسقط من الحديث ذكر الشفاعة الاولى وقد ورد هذا مصرحا به روى على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية عن المسيب بن شريك عن اسمعيل بن رافع المدنى عن

عبدالله بن يزيد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا فيه فتوقفون في موقف حفاة عراة غرلا مقدار سبعين عاما لا ينظر الله اليكم ولا يقضي بينكم فتبكي الخلائق حتى تنقطع الدموع ثم تدمع دما ويعرقون حتى يبلغ منهم الآذان أو يلجمهم فيضجون ويقولون من يشفع لنا الى ربنا فيقضي بيننا فيؤتى آدم فيطلب ذلك اليه فيأبى ثم يستقرون الأنبياء نبيا نبيا كلما جاؤا نبيا أبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتوني فاذا جاؤني انطلقت فأخر قدام العرش لربي ساجدا حتى يبعث الله الي ملكا فيأخذ بعضدي فيرفعني فيقول لي حين يرفعني الملك ما شأنك يا محمد وهو أعلم فأقول يارب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فاقض بينهم فيقول الله تعالى قد شفعتك أنا آتيكم فأقضي بينكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرجع فأقف مع الناس فبينا نحن وقوف اذ سمعنا حسا شديدا من السماء فهالنا فنزل أهل السماء الدنيا بمثلي من فيها من الانس والجن ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف ثم يضع عرشه حيث شاء من الارض ثم يقول وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم أحد بظلم * وفيه ثم يقضي الله عز وجل بين خلقه كلهم الا الثقلين الجن والانس ثم يقضي بين الثقلين فيكون أول ما يقضي فيه الدماء * وفيه بعد ذلك حتى اذا لم يبق لاحد عند أحد تبعة نادى مناد ليلحق كل قوم بآلهتهم ويجعل ملك على صورة عيسى فيتبعه النصارى وفيه حتى اذا لم يبق الا المؤمنون وفيهم المنافقون * وفيه بعد ذلك ثم يضرب الصراط فيمرون وفيه بعد ذلك فاذا أفضى أهل الجنة الى الجنة قالوا من يشفع لنا الى ربنا ليدخلنا الجنة فيؤتى آدم فيقول عليكم بنوح وذكر مثل ما في الاحاديث المشهورة نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى الى أن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني ولي عند الله ثلاث شفاعات فأنطلق حتى آتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب وأستفتح فيفتح لي فأحيا ويرحب بي فاذا دخلت خررت ساجدا الى

أن قال فى الثالثة فأقول يارب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى أهل الجنة فيقول قد شفعتك قد أذنت لهم فى دخول الجنة ثم أشفع فأقول يارب من وقع فى النار من أمتى وذكر بقية الحديث

(فصل)

وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى المرة الرابعة ائذن لى فيمن قال لا اله الا الله ففيه أقوال ﴿أحدها﴾ أنهم الذين معهم مجرد الايمان قاله القاضى عياض قال وهم الذين لم يؤذن فى الشفاعة فيهم وانما دلت الآثار على انه اذن لمن عنده شئ زائد من العمل على مجرد الايمان وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين صلوات الله وسلامه عليهم دليلا عليه وتفرد الله عز وجل بعلم ماتكنه القلوب والرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان وضرب بمثقال ذرة المثل لأقل الخير فانها أقل المقادير * قال والصحيح أن معنى الخير شئ زائد على مجرد الايمان لان مجرد الايمان الذى هو التصديق لا يتجزى وانما يكون هذا التجزى بشئ زائد عليه من عمل صالح أو ذكر خفى أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى ونية صادقة ويدل عليه قوله فى الرواية الاخرى يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن كذا * وهذا الذى قاله القاضى يشكل عليه أمور * (أحدها) رواية البخارى المتقدمة وقوله ايمان مكان خير والروايات يفسر بعضها بعضا والخير أعم من الايمان فيصدق على من ليس عنده الا مجرد الايمان أن عنده خيرا فلو لم يرد الا هذه الرواية كانت دالة على اخراج جميع المؤمنين فكيف وقد ورد وصح التصريح بالايمان وحمل الايمان على الزائد عليه مجازا من غير دليل لا يسوغ (الثانى) مايلزمه من تخصيص شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم ببعض المؤمنين والاحاديث التى وردت فى ذلك عامة وكثرتها تبعد

تخصيصها ولا ضرورة الى التخصيص لما سنبينه (الثالث) ان الذى تكنه القلوب من أعمال القلوب والايمان سواء فى الخفاء فاذا جعل الله لبعض خلقه أمارة على أعمال القلوب الخفية الزائدة على الايمان فلا بعد أن يجعل له دليلا على الايمان وانما ألجأ القاضى الى هذا أن من يخرجه الله بغير شفاعة لابد أن يكون الايمان فى قلبه وهذا صحيح لانه لا يتعين أن يكون من هذه الامة وأما ما تمسك به من ان الايمان لا يتجزى فجمهور السلف على انه يزيد وينقص وحقيقته غير متجزئة وليس هذا محل تحقيق ذلك * ثم لابد فى الرد على القاضى من تحقيق أن الايمان القائم بالقلب يقبل القوة والضعف والا فيصح ما قاله ﴿القول الثانى﴾ ان المراد من قال لا اله الا الله من غير هذه الامة قاله أبو طالب عقيل بن عطية وهو الصحيح عندى والعلم عند الله تعالى تمسكا بدلالة الالفاظ فانه لم يقل من أمتى وقد سبق أنه قال ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن والظاهر أن المراد من أمته أى لم يبق منهم أحد فيكون النبى صلى الله عليه وسلم طلب بعد ذلك أن يؤذن له فى غير أمته ممن قال لا اله الا الله فقيل ليس ذلك اليك والداعى له الى طلب ذلك كمال شفقته على الخلق مع اطلاق قوله تعالى اشفع تشفع مع كونه أقيم مقام البسط والادلال ومع ذلك لم يقل النبى صلى الله عليه وسلم الا ائذن لى أى ائذن لى فى ان أشفع لانه لا يشفع عنده الا باذنه فتنبه لهذه الدقيقة فان فيها محافظة على اطلاق قوله تعالى اشفع تشفع وان شفاعته صلى الله عليه وسلم لا ترد ثم اعلم أن قوله لا اله الا الله من جملة العمل وقد سبق فى الاحاديث أنه تعالى يخرج برحمته قوما لم يعملوا خيرا قط فاما أن يكون المراد لم يعملوا خيرا زائدا على الايمان أو يكون المراد قول لا اله الا الله بالقلب وان لم ينطق بها بلسانه فان كان ذلك كافيا فى الملل المتقدمة فى الايمان صح الحمل عليه وان كان النطق شرطا كما هو عندنا فيحمل على من تعذر منه النطق *

﴿ فصــل ﴾

قال القاضي عياض قـد عرف بالنقـل المستفيض سؤال السلف الصالح رضي الله عنهـم شفاعة نبينا صـلى الله عليه وسلم ورغبتهم فيها وعلى هـذا لا يلتفت الى قول من قال انه يكره أن يسأل الله تعالى أن يرزقه شفاعة النبي صـلى الله عليه وسـلم لكونها لا تكون الا للمذنبـين فانها قـد تكون كما قدمنا لتخفيف الحساب و زيادة الدرجات ثم كل عاقل معـترف بالتقصـير محتاج الى العفو غير معتمد بعمله مشفق أن يكون من الهالكين ويلزم هذا القائل أن لا يدعو بالمغـفرة والرحمـة لانها لأصحاب الذنوب وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف *

﴿ فصل في المقام المحمود ﴾

قال القاضي عياض ذكر مسلم من حديث جابر في المقام المحمود أنه الذي يخـرج الله به من يخرج من النار * ومثله عن أبي هريرة وابن عباس وابن مسـعود رضي الله عنهـم وغيرهم * وقد روى في الصحيح عن ابن عمر ما ظاهره أنها شفاعة المحشر قال فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود * عن حذيفة وذكر المحشر وكون الناس فيه سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادي محمدا صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخـير في يديك الى آخر كلامه قال فذلك المقام المحمـود * وعن كعب بن مالك يحشر الناس على تل فيكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود * قال والذي يستخرج من جملة الأحاديث ان مقامه المحمود هو كون آدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة من أول عرصاتها الى دخولهـم الجنة واخراج من يخرج من النار فأول مقاماته اجابة المنادي وتحميده ربه وثناؤه عليه بما ذكروبما ألهمه من محامـده ثم الشـفاعة من اراحـة العرض وكرب المحشر وهـذا مقامه الذي حـمده فيـه الأولون والآخرون ثم شفاعته لمن لا حساب عليه

من أمتــه ثم ان يخــرج من النار حتى لا يبقى فيها من فى قلبــه مثقال ذرة من إيمان ثم يتفضــل الله تعالى باخراج من قال لا اله الا الله ومن لم يشرك بالله شــيأ ولا يبقى فى النار الا المخلدون وهــذا آخر عرصات القيامــة ومناقل الحشر فهــو فى جميعها له المقام المحمود بيده فيها لواء الحمد صلى الله عليه وسلم *

﴿ فصــــل ﴾

قوله صــلى الله عليــه وســلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحــد من الانبياء قبلى وذكر من جملتها أعطيت الشفاعة مع قوله صــلى الله عليــه وســلم لكل نبى دعوة مستجابة وانى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامــة يســتفاد منه أن الشفاعــة التى أعطيها وخص بها عن الانبياء غير الشفاعة التى ادخرها لأمته لأنها دعوة شاركوه فى جنســها * والاولى هى العظمى وهى اما الشفاعــة فى فصــل القضاء أو العموم بالتقرير الذى سبق وأنه صاحب الشفاعة وكل الشفعاء داخلون فى شفاعته والثانية هى الشفاعــة فى اخراج المذنبين من النار كما يشير اليــه قوله أترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للمذنبين الملوثين الخطائين *

﴿ خاتمــــة ﴾

نختم الكتاب بالصلاة على النبى صلى الله عليــه وســلم بالألفاظ التى وردت مأثورة فى الاحاديث كل لفظ على حــدته ولا نذكر منها الا ما روى وكل لفظ من ألفــاظ الصلاة وجدته فأنقــل أنه مروى عن النبى صــلى الله عليــه وسلم وقد جمع ذلك كله أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على بن عبــد الرحمن النميرى فى (كتاب الاعــلام بفضل الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام) ۞ اللهم صــل على محمــد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميــد مجيد ۞ اللهــم بارك على محمــد وعلى آل

محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد ۞ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
ابراهيم انك حميد مجيد ۞ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
انك حميد مجيد ۞ اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم
انك حميد مجيد ۞ اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم انك
حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد
۞ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد
مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد
۞ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد
والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ۞ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ۞ اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد ۞ اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد ۞ اللهم
بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
۞ اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على
ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد ۞ اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته
كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل
ابراهيم إنك حميد مجيد ۞ اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على
آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم ۞ اللهم صل
على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على

ابراهيم ۞ اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم و بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم * اللهم
صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم و بارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ۞ اللهم صل على محمد عبدك
ورسولك كما صليت على ابراهيم و بارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم
وآل ابراهيم ۞ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم و بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد ۞ اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم و بارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد ۞ اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد و بارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على آل ابراهيم و بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم
فى العالمين انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى آل محمد كما صليت
على ابراهيم وآل ابراهيم و بارك على محمد النبى الامى وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد النبى الامى
وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم و بارك على محمد النبى الامى كما باركت على ابراهيم
انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى آل محمد كما صليت على
ابراهيم وعلى آل ابراهيم و بارك على محمد النبى الامى وعلى آل محمد كما باركت على
ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد * وفى رواية * وآل ابراهيم *
فى الموضعين * اللهم صل على محمد كما صليت على آل ابراهيم * اللهم بارك
على محمد كما باركت على آل ابراهيم * اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم
انك حميد مجيد و بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد

مجيد * اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم وآل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وارحم محمدا وآل محمد كما رحمت آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد

وعلى آل بيته كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم صل علينا معهم * اللهم بارك على محمد وعلى أهل بيته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم بارك علينا معهم صلاة الله وصلوات المؤمنين على محمد النبي الامي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته * ذكر ذلك فى آخر التشهد من جهة الدارقطني بسند فيه ضعف تفرد به * اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على محمد وأزواجه وذريته وأمهات المؤمنين كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم وآل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد * اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم (وفى رواية) كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد * هذا كله مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد منها صحيح ومنها غير ذلك

(بعض ما حفظ عن الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم)

عن على رضى الله عنه اللهم داحى المدحوات وبارئ المسموكات وبانى المبنيات ومرسى المرسيات وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها وباسط الرحمة

المتقين اجعل شرائف صلواتك ونوامي زكواتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفاتح لما أغلق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك بغير نكل في قدم ولا وهي في عزم واعيا لوحيك حافظ العهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وأبهج موضحات الاعلام ومنيرات الاسلام ونائرات الاحكام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له مفتسحا في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول * اللهم أعل على بناء الناس بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وحجة وبرهان عظيم * اللهم اجعلنا سامعين مطيعين وأولياء مخلصين ورفقاء مصاحبين * اللهم أبلغه منا السلام واردد علينا منه السلام * عن ابن مسعود رضي الله عنه * اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة * اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والآخرون * اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد * عن ابن عمر رضي الله عنهما * اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير اللهم ابعثه يوم القيامة مقاما محمودا يغبطه الاولون والآخرون وصل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد * عن الحسن البصري رحمه الله * اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على أحمد كما جعلتها على

آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل ابراهيم انك حميد مجيد * السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ومغفرة الله تعالى ورضوان الله * اللهم اجعل محمدا أكرم عبادك عليك وأرفعهم عندك درجة وأعظمهم خطرا وأمكنهم عندك شفاعة * اللهم أتبعه من أمته وذريته ماتقربه عينه واجزه عنا خير ماجزيت نبيا عن أمته واجز الانبياء كلهم خيرا السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين * اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأهل بيته وذريته ومحبيه واتباعه وأشياعه وعلينا معهم أجمعين ياأرحم الراحمين

(سؤال المقعد المقرب يوم القيامة)

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى على وقال
اللهم أعطه المقعد المقرب عندك يوم القيامة
وجبت له شفاعتي صلى الله عليه وسلم
وليكن هذا آخر كلامنا والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
والتابعين وسلم تسليما
وحسبنا الله ونعم
الوكيل
(تم)

هـــذا كتاب نفحات القرب والاتصال باثبات التصرف
لأولياء الله تعالى والكرامـــة بعـــــد الانتقال
لشيخ الاسلام الســـيد شهاب
الدين أحمد الحسيني الحموى
الحنفي رحمه الله تعالى
آمـــين
م

(وقد رأينا بهامش الاصل تعاليق شريفه وتقاييد منيفة معظمها منسوب للمؤلف المذكور فأثبتناها بذيل الصحيفة من هذا المطبوع تتميما للفائدة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرف أولياءه بأنواع الكرامه ومتعهم بالنظر الى وجهه فى دار المقامه فهم فى روضات الجنات يحبرون ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد تركوا زخارف الدنيا ولجؤا من هجيرها الى ظله فرحين بما آتاهم الله من فضله فهم المميزون عن غيرهم فى عالم الرفات ببقاء كراماتهم بعد الممات كما دل على ذلك اطلاق الائمه الذين هم هداة الأمه والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه وأكرم أصفيائه محمد المؤيد بالمعجزات الظاهره والكرامات الباهره وعلى

قال الشيخ قاسم فى شرح الدرر اذا ظن أن الميت يتصرف فى الامور دون الله تعالى فذلك الاعتقاد كفر (قلت) ان الشخص لا يتصرف بنفسه بل بايجاد الله قضاء الحاجة على يديه كما ورد فى حديث خرجه أبو نعيم فى الحلية ان الله تعالى يقول يا جبريل اقض حاجة عبدى وقال البغوى فى تفسير قوله تعالى فالمدبرات أمرا قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر فى الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم الصلاة والسلام أما ميكائيل فوكل بالنبات وأما جبريل فوكل بالرياح والجنود وأما ملك الموت فوكل بقبض الانفس وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم انتهى فعليه تصرف العبد بمعنى ايجاد الله الامر على يديه من غير أثر للعبد فيه لانه لا تأثير للاشياء انما التأثير لله تعالى خاصة غايته اذا أجرى الله على يديه خيرا يثيبه عليه فضلا منه واذا أجرى على يده شرا يعذبه عليه عدلا منه فالحكم لله العلى الكبير اهـ منه

آله وأصحابه ذوى النفوس القدسيه والاخلاق الانسيه ماسطعت أنواع الكرامات لأوليائه بعد الممات (وبعد) فقد جرى فى المجلس العالى مجمع المفاخر والمعالى مجلس سيد الوزراء وأعظم الكبراء كافل الديار المصريه والاقطار اليوسفيه الوزير عبد الرحمن باشا بلغه الله من الخيرات ماشا الكلام على كرامات الاولياء وأنها هل تنقطع بالموت وان الاولياء هل لهم تصرف فى الحياة وبعد الممات فى البرزخ وأن من اعتقد ظهور الكرامة لهم (١) بعد الموت أو التصرف حال الحياة وبعد الموت هل يكفر وطلب منى حفظه الله من

---

(١) والكرامة أمر خارق للعادة على يد ولى غير مقارن لدعوى النبوة وفيها تثبيت له ولهذا ربما وجدها أهل البدايات فى بداياتهم وفقدها أهل النهاية فى نهاياتهم لان ماهم عليه من الرسوخ والتمكن لايحتاجون معه الى تثبيت ولذلك قل ظهورها على يد السلف الصالح من الصحابة والتابعين * واعلم أن الامر الخارق للعادة بالنسبة الى النبى معجزة سواء ظهر من قبله أم من قبل آحاد أمته وبالنسبة الى الولى كرامة لخلوه عن دعوى نبوة من ظهر ذلك من قبله وبالنسبة الى غيرهما خذلان واستدراج والنبى لابد من علمه بأنه نبى ومن قصده اظهار الخوارق ومن حكمه قطعا بموجب المعجزات بخلاف الولى وصاحب الكرامة لايستأنس بها بل يشتد خوفه مخافة أن يكون ذلك استدراجا والمستدرج يستأنس بما ظهر عليه وعند ذلك يستحقر غيره وينكر عليه ويحصل له الامن من مكر الله وعقابه فاذا ظهر شئ من هذه الاحوال على من ظهر عليه ذلك دل على أنه استدراج لا كرامة ولذلك قال المحققون أكثر ما اتفق من الانقطاع عن حضرة الرب انما وقع فى مقام الكرامات ولذلك يخافون كما يخافون من أشد البلاء اه كذا فى شرح المنفرجة للعلامة زكريا الانصارى انتهى منه

خزيانه وكبت عداته تحرير الكلام في ذلك والتقصي عما هنالك فأقول وبالله التوفيق وبيده الهداية الى سواء الطريق

قال العلامة الثاني سعد الدين التفتازاني الولي هو العارف بالله وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات وكرامته ظهور أمر خارق للعادات من قبله فما لا يكون مقرونا بالايمان والعمل الصالح يكون استدراجا وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة وهي أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الاتيان بمثله والدليل على حقية الكرامة ما تواتر عن كثير من الصحابة ومن بعدهم بحيث لا يمكن انكاره خصوصا الامر المشترك وان كانت التفاصيل آحادا وأيضا الكتاب ناطق بظهورها من مريم يعني على القول بأنها ولية لا نبية وهو الصحيح (١) ومن صاحب سليمان صلوات الله وسلامه عليه و بعد ثبوت الوقوع لا حاجة الى اثبات الجواز يعني بدعوى أن الكرامة أمر ممكن وكل ممكن جائز الوقوع ثم قال بعد كلام والحاصل أن الامر الخارق للعادة هو بالنسبة الى النبي معجزة سواء ظهر من قبله أم من قبل آحاد أمته و بالنسبة الى الولي كرامة لخلوه عن دعوى نبوة من ظهر ذلك من قبله فالنبي لا بد له من علمه بكونه نبيا ومن قصده اظهار خوارق العادات ومن حكمه قطعا بموجب المعجزات بخلاف الولي انتهى كلامه مع زيادة تقرير له ومنه نعلم أن

---

(١) قوله ومن صاحب سليمان هو آصف بن برخيا بفتح الموحدة وسكون الراء وكسر الخاء المعجمة وقبل الالف ياء وكان كاتب سليمان عليه السلام وكان صديقا وهو من الانس من بني اسرائيل وقيل انه الخضر وهو غريب جدا ومقام الصديقية يلي مقام النبوة فكل صديق ولي وليس كل ولي صديقا نقل ذلك ابن الزملكاني عن الشيخ الاكبر في فتوحاته اه

الكرامة لا تختص بحال الحياة فلا تنقطع بالموت بخلاف المعجزة للنبي حيث اعتبر في حقيقتها الاقتران بدعوى النبوة وقصد اظهارها عند تحدى المنكرين وحينئذ فما يظهر من الخوارق بعد موت الانبياء يكون كرامة لهم لا معجزة فمن أطلق لفظ المعجزة فقد تسمح بخلاف كرامة الولى اذ لم تعتبر في حقيقتها دعوى الولاية وقصد اظهار الكرامة بل الولى مظهر لها اذ هي كما تقدم الامر الخارق للعادة وهو الفعل الذى لا يدخل تحت كسب العبد واختياره بل هو حاصل بفعل الله والولى مظهر له أى (١) محل لظهوره وفي هذا الامر لا فرق بين حياة الولى وموته هذا ما أفاده كلام المحقق التفتازانى في شرح العقائد النسفية فان قلت ما الدليل على جواز وقوع الكرامة بعد الموت وعدم اختصاصها بحال الحياة قلت الدليل على ذلك أن الكرامة بعد الموت أمر ممكن وكل ممكن جائز الوقوع فالكرامة بعد الموت جائزة الوقوع اذ لو لم نقل بجواز الوقوع لزم ترجيح أحد طرفى الممكن بلا مرجح وهو محال وأيضا لو قلنا بعدم جواز الوقوع مع كونها مخلوقة لله تعالى ومقدورة له اذ هي من جملة الممكنات (٢) وقدرته تعالى

(١) قوله محل لظهوره لا يفهم منه ان قدرة الله تعالى تحل في شئ من الحوادث بل الله يجريها على يديه انتهى منه

(٢) في لطائف المنن للشيخ تاج الدين بن عطاء الله اعلم أن قدرة الله التى لا يكثر عليها شئ هي التى أظهرت الكرامة في هذا الولى فلا ينظر الى ضعف العبد ولكن ينظر الى قدرة السيد فجحد الكرامة للولى جحد لقدرة الله سبحانه وتعالى وربما كان سبب انكارك الكرامات استكثارا على ذلك العبد الذى أضيفت الكرامة اليه وذلك العبد ما ظهرت عليه الكرامة الا وهي شاهدة بصدق متبوعه فهي بالنسبة الى من ظهرت ببركات متابعته معجزة فلذلك قالوا كل كرامة لولى فهي معجزة لذلك النبي الذى هذا الولى تابع له فلا ينظر الى التابع ولكن ينظر الى عظم قدر المتبوع

متعلقة بجميع الممكنات باسرها ايجادا واعداما على وفق ارادته تعالى (١) لزم تعجيز القدرة تنزهت قدرته تعالى عن ذلك فان قلت لا يلزم من جواز الوقوع الوقوع فهل ثم دليل على الوقوع قلت نعم وهو مانقله الحافظ عبد العظيم المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب حيث قال عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر ولا يحسب أنه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا هو قبر انسان قرأ سورة الملك حتى ختمها فقال صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجية من عذاب القبر رواه الترمذى وقال (٢) حديث غريب اه قال شارحه الفاضل الفيومى ورواه الحاكم اه وهذا دليل على وقوع الكرامة بعد الموت بتقريره صلى الله عليه وسلم حيث أقر قراءة الميت سورة الملك وقال هى المانعة هى المنجية من عذاب القبر وتقريره صلى الله عليه وسلم دليل شرعى تثبت به الاحكام كما تقرر فى محله من كتب الاصول ولا يعارض ماحررناه و بالدليل أثبتناه قول قاضى القضاة (٣) الاوشى الحنفى فى منظومته فى العقائد المسماة بدء الامالى

كرامات الولى بدار دنيا * لها كون فهم أهل النوال

و بالجملة فالملخص من هذا الكلام هو أن جميع خوارق العادات من المعجزات جائز وقوع مثلها كرامات للأولياء مطلقا الا انها ناشئة عن الله تعالى بفعله وارادته اه منه

(١) قوله لزم تعجيز الخ متعلق بقوله اذ لو لم نقل بجواز الوقوع لو قلنا بعدم جواز الوقوع اه

(٢) رأيت الحديث فى مشكاة المصابيح اه منه

(٣) أوش بالضم والسكون قرية من بلاد فرغانة كما فى اللب والله أعلم

اذليس بنص ولاظاهر فى انقطاع الكرامات بالموت واختصاصها بحال الحياة لأن الدنيا عبارة (١) عن كل المخلوقات من الجواهر والاعراض الموجودة قبل الدار الآخرة فالمراد بالدنيا فى كلامه ما قابل الآخرة وهى ما بعد البعث من القبور لا ما قبله حتى يشمل ما بعد الموت الى البعث وان احتمله الكلام احتمالا غير مؤيد بدليل ومن ثم نقل ابن القيم عن أبى يعلى ان عذاب القبر من الدنيا لانقطاعه قبل البعث بالفناء ولا يعرف أمد ذلك وأيده الجلال فى شرح الصدور ويؤيده ما أخرجه هناد بن السرى فى الزهد عن مجاهد قال للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم حتى يوم القيامة فاذا صيح بأهل القبور يقول الكافر ياويلنا من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمن الى جنبه هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وفى المواهب اللدنية باسناد صحيح الى عكرمة مولى ابن عباس أنه سئل عن يوم القيامة أهو من الدنيا أم من الآخرة فأجاب بأن نصفه الاول الذى يقع فيه الفصل والحساب من الدنيا ونصفه الآخر الذى يقع فيه الانصراف الى النار والجنة من الآخرة اه فاذا كان يوم القيامة بعد فناء البرزخ (٢) وما يتعلق به حكم فى نصفه الاول بأنه من الدنيا فبالاولى أن يحكم على البرزخ بانه من الدنيا حقيقة فعلى هذا يؤخذ جواز وقوع كرامات الاولياء بعد موتهم من قوله بدار دنيا ومن ثم لم

---

(١) فى حقيقة الدنيا عند المتكلمين قولان أحدهما ما هو ما على الارض من الجو والهواء والثانى وهو أظهرهما كل المخلوقات من الجواهر والاعراض والاعيان الموجودة قبل دار الآخرة والله أعلم اه منه

(٢) البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا ألا ترى لما قالوا انه ينقطع فيه العذاب حتى عن الكفار بين النفختين فيجدون لذة النوم فاذا نفخ فيه أخرى يقول الكافر ياويلنا من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمن هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون كذا فى كتاب الكشف لأحمد بن منصور الحنفى اه منه

يتعرض أحد فيما رأيته من شروح النظم مع كثرتها الى التصريح بانقطاع الكرامات بالموت بل قال شارحه الجلال البخارى التقييد بدار دنيا لان الاختلاف يعني بين أهل السنة والمعتزلة وقع فيها لان دار العقبى محل كرامة جميع المؤمنين وقال شارحه السمهودى ينبغي أن يكون ظهور الكرامات لهم بعد موتهم أولى من ظهورها حال حياتهم لان النفس باقية صافية من الاكدار والمحن وغيرها وقد شوهد ذلك من كثير منهم بعد موته وقد يدخل ذلك فى كلام الناظم فان قوله بدار دنيا صادق بحياته وبعد موته انتهى وبهذا ظهر أن من احتج بهذا البيت على انقطاع الكرامات بالموت حتى نسب الى الامام أبى حنيفة القول بانقطاع الكرامات بالموت واهم وعن طريق أهل الهدى ضال (١) اذ لم يثبت فى شئ من كتب مذهب أبى حنيفة أصولا وفروعا القول بانقطاع الكرامات بالموت بل لم يثبت فى شئ من كتب المذاهب الثلاثة فمن ادعى ذلك فعليه البيان وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان وفى (٢) شرح مقدمة الامام أبى الليث السمرقندى الحنفى رحمه الله تعالى للفاضل الفرمانى مانصه ومن كرامات الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه بعد الموت مارواه الائمة أنه لما غسل رضى الله تعالى عنه ظهر على جنبه سطر ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي فى عبادى وادخلي جنتي وعلى يده اليمنى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وعلى اليسرى انا لانضيع أجر من أحسن عملا وعلى بطنه يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ولما وضعوه على الجنازة سمع صوت هاتف يقول

---

(١) ونقل ذلك الشيخ حسن بن حسن بن أحمد الطولوبى المعمار فى كتابه نزهة الابصار فى نبذ من معجزات النبي المختار ومناقب الائمة الاخيار ولم يوجد هذا الكتاب الا فى خزانة قايتباى بمصر المحروسة اه منه (٢) لعله فى الكبير فانه ليس فى التوضيح اه

يا قائم الليل طويل القيام كثير التهجد كثير الصيام أباحك السيد دار السلام ولما وضع فى قبره سمع هاتف يقول فروح وريحان وجنة نعيم انتهى هذا ما يتعلق بعدم انقطاع الكرامات بالموت وأما ما يتعلق بالتصرف فاعلم أن تصرف الاولياء حال حياتهم (١) من جملة كراماتهم وهو كثير فى كل زمان لا شك فيه ولا ينكره الا معاند قال التاج السبكى بعد أن ذكر (٢) أن من أنواع الكرامة مقام التصريف حكى أن بعضهم كان يبيع المطر وأما بعد مماتهم فقد تقدم أن كراماتهم لا تنقطع بعد الموت ثم ان تصرف الاولياء فى حياتهم وبعد مماتهم انما هو باذن الله تعالى وارادته لا شريك له فى ذلك خلقا وايجادا أكرمهم الله تعالى به وأجراه على أيديهم والسنتهم خرقا للعادة تارة بالهام وتارة بمنام وتارة بدعائهم وتارة بفعلهم واختيارهم وتارة بغير اختيار ولا قصد ولا شعور منهم بل قد يحصل من الصبى المميز وتارة بالتوسل الى الله بهم فى حياتهم وبعد مماتهم مما هو ممكن فى القدرة الالهية ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك قبل الموت وبعده نسبتهم الى الخلق والايجاد والاستقلال بالافعال فان هذا لا يقصده مسلم بل ولا يخطر ببال أحد

---

(١) قال شيخنا حسن رحمه الله ان تصرف الولى هو اذا أراد حاجة يسأل الله قضاءها فيقضيها الله وهذا مستحسن انتهى

(٢) ذكر الامام أبو القاسم القشيرى أن الكرامة لابد أن يكون فضلا ناقضا للعادة فى أيام التكليف ظاهرا على موصوف بالولاية فى معنى تصديقه قلت تقييده بأيام التكليف فيه نظر فقد صرح الامام اليافعى فى روض الرياحين بوقوع كرامات من لم يبلغوا سن التمييز فضلا عن التكليف ثم قال فى آخر كلامه ومنهم الكبار والصغار والعبيد وأحسن ما يجاب به عن القشيرى هو اما أن يكون تصريحه بذلك جريا على الغالب واختيار النفسه لان له بعض اختيارات تخالف مذهب الجمهور كاختياره عدم حصول ولد الا من أبوين وقلب جماد بهيمة انتهى منه رحمه الله تعالى

من العوام فضلا عن غيرهم فصرف الكلام اليه ومنعه من باب التلبيس فى الدين والتشويش على عوام الموحدين فلا يظن بمسلم بل ولا بعاقل توهم ذلك فضلا عن اعتقاده (١) وكيف يحكم بالكفر على من اعتقد ثبوت التصرف لهم فى حياتهم وبعد مماتهم حيث كان مرجع ذلك الى قدرة الله تعالى خلقا وايجادا كيف وكتب جمهور المسلمين طافحة به وأنه جائز وواقع لا مرية فيه بوجه البتة حتى كاد أن يلحق بالضروريات بل بالبديهيات وذلك لان كرامة جميع أولياء هذه الامة فى حياتهم وبعد مماتهم تصرفا أو غيره من جملة معجزات النبى صلى الله عليه وسلم الدالة على صدق نبوته وعموم رسالته الباقية بعد موته التى لا ينقطع دوامها ولا تجددها بتجدد الكرامات فى كل عصر من الاعصار الى يوم القيامة * ثم المنكر الكرامات بعد الموت والتصرف حال الحياة وبعد الموت اما أن يصدق بكرامة الاولياء أو يكذب بها فان كان ممن يكذب بها فقد سقط البحث معه فانه يكذب ما أثبتته السنة بالدلائل الواضحة وان كان ممن يصدق بها فالكرامة بعد الموت والتصرف فى حال الحياة وبعد الممات من جملة الكرامات قال العلامة ابن حجر ليس العجب من انكار المعتزلة للكرامات فانهم خاضوا فيما هو أقبح من ذلك وأنكروا النصوص المتواترة المعنى عن النبى صلى الله عليه وسلم (٢) كسؤال الملكين وعذاب القبر

---

(١) فى كتاب الفتح المبين فى مقامات الصديقين لابن المعيزبى أن الشيخ الجليل العارف بالله نجم الدين الاصبهانى خرج مع جنازة بعض الصالحين فلما جلس بعض الناس من أهل العلم يلقن الميت ضحك الشيخ نجم الدين ولم يكن الضحك عادته فسئل عن ذلك فقال سمعت صاحب القبر يقول ألا تعجبون من ميت يلقن حيا اهـ منه رحمه الله تعالى

(٢) واعلم أن ملك الموت ومنكرا ونكيرا وغيرهم ومنازل الآخرة مما يتضمنه الاحاديث من أمور الآخرة متشابهات وصفا الا طريق لاحد فى درك شئ من

والحوض والميزان وغير ذلك من عظيم كذبهم وافترائهم لتقليدهم لعقولهم الفاسدة وتحكيمهم اياها على الله وآياته وأسمائه وصفاته فما رأوه موافقا لتلك العقول السقيمة الفاسدة اللئيمة قبلوه وما لا ردوه ولم يبالوا بتكذيب القرآن والسنة والاجماع لان كلمة الغضب حقت عليهم وقبائح المذام تسابقت اليهم وانما العجب من قوم تسموا باسم أهل السنة ومع ذلك يبالغون فى الانكار لان كلمة الحرمان حقت عليهم حتى ألحقتهم بأهل البوار وأوجبت عليهم نوعا من الوبال والخسار وهؤلاء أقسام منهم من ينكر على مشايخ الصوفية وتابعيهم ومنهم من يعتقدهم اجمالا وأن لهم كرامات ومتى عين له واحد أو رأى كرامة أنكر ذلك لما خيل له الشيطان أنهم انقطعوا وأنه لم يبق الامتلبس مغرور احتوى عليه الشيطان ولبس عليه وهؤلاء من العناد والحرمان بمكان انتهى وفى روض الرياحين الناس فى الكرامات أقسام منهم من ينكرها مطلقا وهم أهل مذهب معروفون وعن الهدى والتقى مصروفون ومنهم من يصدق بكرامات من مضى دون أهل زمنه وهم كبنى اسرائيل صدقوا بموسى حين لم يروه وكذبوا بمحمد حين رأوه مع كونه أعظم ومنهم من يصدق الاولياء لكن لا يصدق بأحد معين وهذا محروم من الامداد لأن من لم يسلم لاحد معين لا ينتفع بأحد أبدا انتهى قلت وقد حدثت الآن بديار الروم طائفة تسمى القاضى زادلية تثبت

أوصافها بالعقل لان كل ما يثبته العقل فى حق وصفها مخالف للنص قال القاضى أبو زيد رحمه الله فى أصول الفقه المتشابه هو الذى تشابه معناه على السامع حيث خالف موجب النص موجب العقل قطعا لا يحتمل التبدل فتشابه المراد بحكم المعارضة بحيث لم يحتمل زواله بالبيان لانه لا بيان له على انه لو فرض بيانه عقلا لعارضه الدليل الخارجى وقال أبو زيد وحكم المتشابه التوقف أبدا عن اعتقاد الحقيقة للمراد به فيكون العبد به مبتلى بنفس الاعتقاد لا غير اه ملخصا من شرح الفقه الاكبر للاكمل رحمه الله اه منه رحمه الله تعالى

كرامات الاولياء حال حياتهم وتنكرها بعد وفاتهم وتنكر كرامات التصرف حال حياتهم وبعد مماتهم وهؤلاء وان لم يبالغوا كالمعتزلة فى الانكار فهم على شفا جرف هار قال العلامة ابن حجر ومطالعة كتاب الصفوة تحصل العلم بوقوعها ضرورة وقد رأينا من كراماتهم أحياء وأمواتا ما يوجب ذلك فلا ينكرها الا مخذول فاسد الاعتقاد فى أولياء الله تعالى وخواص عباده نفعنا الله بهم انتهى وقال العلامة الثانى سعد الدين التفتازانى فى شرح المقاصد بعد كلام وبالجملة فظهور كرامات الاولياء تكاد تلحق بظهور معجزات الانبياء وانكارها من أهل البدع ليس بعجيب اذ لم يشاهدوا ذلك فى أنفسهم ولم يسمعوا به من رؤسائهم مع اجتهادهم فى العبادات واجتناب السيآت فوقعوا فى أولياء الله أهل الكرامات يأكلون لحومهم ويمزقون أديمهم جاهلين كون هذا الامر مبنيا على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة بل العجب من قول بعض فقهاء أهل السنة فيما روى عن ابراهيم بن أدهم أنه رؤى بالبصرة وبمكة يوم التروية ان من اعتقد جوازه فقد كفر والانصاف ما قاله النسفى وقد سئل عما قيل ان الكعبة كانت تزور أحد الاولياء هل يجوز القول به فقال نقض العادة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة انتهى قال اليافعى ومعلوم أن الكعبة فى مكانها لم تفارقه وان ما وراء العقل طور آخر انتهى وقال الامام السبكى انى لأتعجب كل العجب من منكر الكرامة ويزداد تعجبى عند نسبة انكارها للاستاذ أبى اسحق الاسفرايينى وهو من اساطين أهل السنة على أن نسبة انكارها اليه كذب وانما الذى ذكره الرجل فى كتبه أنها لا تبلغ خرق العادة حيث قال ما كان معجزة لنبى (٢) لا يجوز مثله كرامة لولى وانما غاية الكرامات اجابة دعوة أو شربة ماء فى مفازة أو كسرة فى منقطعة أو ما يضاهى ذلك انتهى وجرى على نحوه الامام الحليمى ثم

---

(٢) قلت وجود عيسى من مريم يدل على الامكان والحال أنها ليست نبية وان وجود عيسى من غير أب ونطفة على براءتها هو من جملة الخوارق اكرامالها

الاستاذ القشيرى فقال الكرامة لا تنتهى الى وجود ولد من غير أب وقلب جماد بهيمة قال الحافظ ابن حجر وهذا أعدل المذاهب وجرى على مقالة القشيرى التاج السبكى فى جمع الجوامع قال الزركشى ليس الامر كما قال بل الذى قاله القشيرى مذهب ضعيف والجمهور على خلافه وقد أنكروا عليه حتى ووالده أبو نصر فى كتابه المرشد وامام الحرمين فى الارشاد وقال الامام النووى فى شرح مسلم فى باب البر والصلة ان الكرامات تجوز بخوارق العادات على اختلاف أنواعها ومنعه بعضهم وادعى أنها تختص بمثل اجابة دعوة ونحوه وهذا غلط من قائله وانكار للحس والعيان بل الصواب جريانها بقلب الاعيان قال المحقق التفتازانى فى شرح المقاصد بعد كلام قال امام الحرمين (١) والمرضى عندنا تجويز جملة خوارق العادات

---

(١) قوله والمرضى عندنا تجويز جملة الخوارق الخ منها اطلاع الولى على اللوح المحفوظ على ما صرح به فى تنوير الحقيقة شرح الطريقة فى فضل عثمان رضى الله تعالى عنه اختلف الصحابة فى جمع عثمان للقرآن فقال عثمان انكم اختلفتم فمن بعد كم يكون أشد اختلافا فجلس عثمان وأخرج الذى جمعه أبو بكر فأظهره على الصحابة فالنسبة الى عثمان باعتبار انه الذى أظهره قال بعض كنت أعجب من عثمان فى جمعه وترتيبه القرآن وتقسيمه على القراء السبع مع كمال الصعوبة ثم اطلعت أنه كان يكتب ما يكتب بالنظر الى اللوح المحفوظ اه وعممه البعض ولعل سنده الحديث الذى أخرجه أبو الشيخ فان اللوح المحفوظ معلق بالعرش فاذا أراد الله أن يوحى لنبى كتب فى اللوح المحفوظ فيجيء اللوح حتى يقرع جبهة اسرافيل فينظر فيه فاذا كان لأهل السماء دفعه الى ميكائيل وان كان لأهل الارض دفعه الى جبريل فأول من يحاسب يوم القيامة اللوح الخ قلت هذا الحديث يقبل التأويل لو رود حديث ان أول من يحاسب جبريل لانه كان أمين الله فى وحيه الى رسله وأيضا ورد أن النطفة اذا استقرت فى الرحم أخذها الملك بكفه فقال

فى معرض الكرامات وانما تمتاز عن المعجزات بخلوها عن دعوى النبوة ثم قد يرد فى بعض المعجزات نص على أن أحد الا يأتى بمثله أصلا كالقرآن وهو لا ينافى الحكم بأن كل معجزة لنبى جاز أن تكون كرامة لولى لأن الامتناع هنا لعارض انتهى ومثله الاسراء والعروج يقظة بالروح والجسد وعلم الخمس التى استأثر الله بحقيقتها والروح ﴿تنبيه﴾ ذكر العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه الجواهر والدرر أن بعض مشايخه ذكر له أن الله تعالى يوكل بقبر الولى ملكا يقضى حوائج الناس كما وقع للامام الشافعى والسيدة نفيسة وسيدى أحمد البدوى رضى الله تعالى عنهم يعنى فى انقاذ الاسير من يد من أسره من بلاد الفرنج وتارة يخرج الولى من قبره بنفسه ويقضى حوائج الناس لان للاولياء الانطلاق فى البرزخ والسراح لارواحهم اه تحقيق قوله وتارة يخرج الولى من قبره الخ ان الذى عليه المحققون من الصوفية ان الامر فى عالم البرزخ والآخرة على خلاف عالم الدنيا فينحصر الانسان فى صورة واحدة يعنى فى عالم الدنيا المسمى بعالم الشهادة الا الاولياء كما نقل عن قضيب البان أنه رؤى فى صور مختلفة وسر ذلك أن روحانيتهم غلبت جسمانيتهم فجاز أن يرى فى صور كثيرة وحمل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر لما قال وهل يدخل أحد من تلك الأبواب كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم وقالوا ان الروح اذا كانت كلية كروح نبينا صلى الله عليه وسلم ربما تظهر فى صورة سبعين ألف صورة ذكر ذلك المحقق ابن أبى جمرة فاذا جاز لأرواح الاولياء عدم الانحصار فى صورة واحدة فى عالم الدنيا فترى

أى رب ذكر أم أنثى شقى أم سعيد ما الاجل ما الاثر بأى أرض يموت فيقال انطلق الى أم الكتاب فانك تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها فى أم الكتاب تخلق فتأكل رزقها وتطؤ أثرها فاذا جاء أجلها قبضت فدفنت فى المكان الذى قدر لها وهذا دليل على اطلاع غير اسرافيل على اللوح المحفوظ والله أعلم بالصواب اه منه

فى صور مختلفة لغلبة روحانيتهم جسمانيتهم فأحرى أن لا تنحصر أرواحهم فى صورة واحدة فى عالم البرزخ الذى الروح فيه أغلب على الجسمانية وقالوا أيضا الولى اذا تحقق فى الولاية مكن من التصور فى صور عديدة وتظهر روحانيته فى وقت واحد فى جهات متعددة فالصورة التى ظهرت لمن رآها حق والصورة التى رآها آخر فى مكان آخر فى ذلك الوقت حق ولا يلزم من ذلك وجود شخص فى مكانين فى وقت واحد لأن فيما هنا تعدد الصور الروحانية لا الجسمانية فاذا جاز للروح أن ترى فى صور عديدة فى دار الدنيا لمن تحقق فى الولاية فأحرى ان ترى فى صور عديدة فى عالم البرزخ الذى الغلبة فيه للارواح على الاجسام ويقوى ذلك ما ثبت فى السنة وصح أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى موسى قائما يصلى فى قبره ليلة الاسراء ورآه فى السماء السادسة تلك الليلة وقد أثبت السادة الصوفية عالما متوسطا بين الاجساد والارواح سموه عالم المثال وقالوا هو ألطف من عالم الاجساد وأكثف من عالم الارواح وبنوا على ذلك تجسد الارواح وظهورها فى صور مختلفة من عالم المثال وقد يستأنس لذلك من قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا فتكون الروح كروح جبريل عليه السلام مثلا فى وقت واحد مدبرة لشبحه ولهذا الشبح المثالى فاذا جاز تجسد الارواح وظهورها فى صور مختلفة من العالم المثالى فى عالم الدنيا ففى البرزخ أولى وعلى هذا فالذى يخرج من القبر الشبح المثالى هذا تحقيق المقام وليس وراء عبادان مقام هذا وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى طبقاته فى ترجمة القطب سيدى شمس الدين الحنفى أنه قال فى مرض موته من كان له حاجة فليأت الى قبرى ويطلب حاجته أقضيها له فان ما بينى وبينه غير ذراع من تراب وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل انتهى قال بعض الفضلاء علم من كونه قاله فى مرض موته ان ما قاله قبل ذلك ونقله عنه أيضا الشيخ عبد الوهاب الشعرانى من أن الولى اذا مات انقطع تصرفه فى الكون من الامداد وان حصل مدد للزائر بعد الموت أو قضاء حاجة

فهومن الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت يعطى الزائر من المدد على قدر مقام المزور محمول على أنه قال ذلك قبل أن يعلمه الله بالهام أن الولى يتصرف بعد الموت وبهذا حصل التوفيق بين كلامه ﴿خاتمة﴾ من جملة الكرامات الاخبار ببعض المغيبات والكشف وهو درجات تخرج عن حد الحصر وذلك موجود الآن بكثرة ولا يعارضه قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول لانا لا نسلم عموم الغيب فيجوز أن يخص بحال القيامة بقرينة السياق والمراد سلب العموم نحو لم يقم كل انسان لا عموم السلب نحو كل انسان لم يقم ولا يعارضه أيضا قوله تعالى قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله ووجه عدم المعارضة ان علم الاولياء انما هو باعلام الله لهم وعلمنا بذلك انما هو باعلامهم لنا وهذا غير علم الله الذى تفرد به وهو صفة من صفاته القديمة الازلية الدائمة المنزهة عن التغيير وسمات الحدوث والنقص والمشاركة والانقسام بل هو علم واحد علم به جميع المعلومات كلياتها وجزئياتها كان أو ما يكون أو ما جاز أن يكون ليس بضرورى ولا كسبى ولا حادث بخلاف علم سائر الخلق فعلم الله الذى تمدح به وأخبر فى الآيتين المذكورتين أنه لا يشاركه فيه أحد واحد فلا يعلم الغيب الا هو ومن سواه ان علموا جزئيات منه فباعلام الله واطلاعه لهم وحينئذ لا يطلق أنهم يعلمون الغيب اذ لا صفة لهم يقتدرون بها على الاستقلال بعلمه وأيضا هم ما علموا وانما اعلموا وأيضا هم ما علموا غيبا مطلقا لان من أعلم بشئ منه تشاركه فيه الملائكة أو نظراؤه ممن اطلع ثم اعلام الله للاولياء ببعض المغيبات لا يستلزم محالا بوجه فانكار وقوعه عناد ومن البداهة أنه لا يؤدى الى مشاركتهم له تعالى فيما تفرد به من العلم الذى تمدح به واتصف به فى الازل وفيما لا يزال واذا كان كذلك فلا بدع فى ان الله تعالى يطلع بعض أوليائه على بعض المغيبات فان ذلك أمر ممكن جائز عقلا وشرعا وواقع نقلا عن جمهور أهل السنة والجماعة من الفقهاء

والمحدثين والاصوليين فانهم نصوا على ثبوت كرامات الاولياء وأنها جائزة وواقعة
بجميع أنواع خوارق العادات لا فارق بينها وبين المعجزة الا التحدى ودعوى النبوة
فمن الاخبار بالمغيبات اخبار الصديق رضى الله تعالى عنه فى مرض موته بولد يولد
بعده ثم أنى اذا تقرر هذا فما وقع فى الفتاوى البزازية من قوله قال علماؤنا من قال
أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر انتهى يعنى تعلم الغيب بقرينة السياق
مشكل اذ لا يكفر بمجرد هذا القول مع احتمال التأويل لما فى التتارخانية لا يكفر
بالمحتمل لان الكفر نهاية فى العقوبة فيستدعى نهاية فى الجناية ومع الاحتمال
لا نهاية اه وفى شرح الهداية للمحقق كمال الدين بن الهمام بعد سرد كثير من
ألفاظ التكفير والذى تحرر أنه لا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل
حسن أو كان فى كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة انتهى وهو مأخوذ من الخلاصة
وغيرها اذا كان فى المسئلة وجوه توجب التكفير ووجه واحد لا يوجبه فعلى
المفتى أن يميل لعدم التكفير اه قال فى النهر غير أنه يجوز أن يراد بالوجوه الاقوال
أو الاحتمالات لكن يؤيد الاول ما فى الصغرى الكفر شئ عظيم فلا أجعل المؤمن
كافرا متى وجدت رواية انه لا يكفر اه أقول هذا لا يقتضى أن يراد بالوجوه فى كلام
الخلاصة الاقوال فقط بل الوجوه فى كلامه مستعملة فى كل منهما أخذا من قول ابن
الهمام أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان فى كفره اختلاف وفى جامع
الفصولين روى الطحاوى عن أصحابنا لا يخرج الرجل من الايمان الا بجحوده
ما أدخله فيه ثم ما يتيقن أنه ردة حكم بها وما يشك انه ردة لا يحكم بها اذ الاسلام الثابت
لا يزول بشك مع ان الاسلام يعلو فينبغى للعالم اذا رفع اليه هذا أن لا يبادر بتكفير
أهل الاسلام مع أنه يقضى بصحة اسلام المكره ثم قال قدمت هذه المقدمة لتصير
ميزانا فيما نقلته من هذا الفصل من المسائل فانه قد ذكر فى بعضها أنه يكفر مع أنه

لا يكفر على قياس هذه المقدمة فليتأمل انتهى ثم من اعتقد أنه يعلم ما استأثر الله بعلمه فهو كافر لا محالة وقد وردت النصوص المتظافرة الدالة على علم الموتى وسؤالهم في القبر ونعيمهم وعذابهم وتزاورهم وندب زيارتهم والسلام عليهم وخطابهم خطاب الحاضرين العاقلين وعلمهم أحوال أهل الدنيا يسرون ببعضها و يساؤن ببعضها وأنه يؤذيهم ما يؤذي الحي وغير ذلك مما يطول ذكره ولا يمكن استقصاؤه وفي هذا القدر كفاية لمن أذعن وسلم والله بأحوال أوليائه أعلم * قد برزت هذه المجلة من العدم الى الوجود بعون الله المحمود بعد أن تقلبت اطوارها في مشيئة الانظار وتكامل ميلادها في مطارح الافكار في أوائل جمادى الثانية من شهور سنة ١٠٩١ احدى وتسعين وألف أحسن الله تقضيها و بارك لنا في التي تليها على يد مؤلفها ومقررها الفقير في فنون الفضلاء الحقير في عيون النبلاء السيد أحمد بن السيد محمد الحسيني الحنفي الحموي فسح الله في مدة من كان سببا في كتابته ورحم الله المؤلف والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(تم)

هذه رسالة في اثبات كرامات
الاولياء للعلامة
الأوحد والفهامة
الأمجد
﴿ شهاب الدين أحمد بن أحمد السجاعى ﴾
رحمه الله ونفعنا به
والمسلمين
آمين
م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نصب لدينه من ذب عنه الرعاع وأزال بنور الحق ظلام الباطل وان كاد لكثرة أهله يملأ سائر البقاع والصلاة والسلام على سيد الانبياء بلا نزاع سيدنا ومولانا محمد صاحب المعجزات التى فاقت ضياء الشمس والقمر فى الشعاع وعلى آله وأصحابه أولى الكرامات فى الحياة و بعد الممات المشاهدات لمن فارق الابتداع وعلى التابعين وتابع التابعين لهم باحسان وعلى من خالف هوى النفس فرجع الى الحق وما ارتاع آمين ﴿أما بعد﴾ فيقول راجى من مولاه حسن المساعى أحمد ابن الشيخ أحمد السجاعى الشافعى الاحمدى ان السنة المحمدية المشرفة المحمية لما صارت غريبة عزيزة فى هذه الأزمان المتأخرة الردية كثر أهل البدع وتكلموا بفاسد الاعتقاد وأوهموا الجاهلين أنها أمور حقية فضلوا وأضلوا وباؤا من الله بالطرد والابعاد وأكثر ما يقع ذلك منهم فى المجالس المظلمة بظلام الظلم وحب الدنيا للقوم الجاهلين قصد الصيد هم حطامها الفانى فبئس ما قدمت لهم أنفسهم و بئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا عالمين فما تكلم به قوم رعاع وأذاعوه فأورثهم الحرمان وسوء الابتداع انكار كرامات الأولياء أحياء وأمواتا ومنها انكارهم على المسلمين زيارة الأولياء كقطب الأقطاب السيد البدوى واعتراضهم عليه بما يقع فيه من المخالفات لرب الارباب ومنها وهو أشنع ما قبله قولهم من أين لنا أنهم ماتوا على الاسلام ومنها تكفيرهم الوليين العظيمين الجليلين القطب الكبير سيدى محيي الدين بن عربى والقطب

الجليل سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله بهم آمين وقد سئلت فى اظهار ابطال
هذه الدعاوى التى ليست خافية على من له نور بصيرة من أهل الايمان بالأدلة
الواضحة التى هى كالشمس فى رابعة النهار فأحببت الدخول فى سلك السنة النبوية
ورجوت بركة كرامات أولياء الله تعالى والنجاة من عذاب الدنيا وعذاب النار
فقلت أما كرامات الاولياء فاعلم أن الكرامات جمع كرامة وهى أمر خارق للعادة
غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم
لمتابعة نبى كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم
يعلم فتمتاز بعدم الاقتران المذكور عن المعجزة فلا تلتبس بها وبنفى مقدمتها عن
الارهاص وهو ما يظهر على يد الانبياء قبل النبوة كتظليل الغمام لنبينا صلى الله
عليه وسلم وبظهور الصلاح عما يسمى معونة كما يظهر على يد بعض عوام
المسلمين تخليصا لهم من المحن والمكاره وبالتزام متابعة نبى الخ عن الخوارق المؤكدة
لكذب الكاذبين وتسمى اهانة كبصق مسيلمة بكسر اللام فى بئر عذبة الماء ليزداد
ماؤها حلاوة فصار ملحا أجاجا وبالمصحوبية بصحيح الاعتقاد الخ عن الاستدراج كما
خرج السحر عن جهات عدة ودليل الجواز أن ظهور الخارق أمر ممكن فى نفسه
وكل ما هو كذلك فهو صالح لشمول القدرة لايجاده ودليل ذلك الأمر وامكانه أنه
لا يلزم من فرض وقوعه محال ودليل الوقوع ما جاء فى الكتاب العزيز من قصة
مريم عليها السلام وولادتها عيسى على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء الصلاة
والسلام من غير زوج مع كفالة زكريا لها عليه الصلاة والسلام وكان لا يدخل
عليها غيره واذا خرج من عندها أغلق عليها سبعة أبواب وكان يجد عندها فاكهة
الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف ومن قصة آصف واتيانه بعرش
بلقيس قبل ارتداد طرف سليمان عليه السلام وقد تواتر وقوع الكرامات من
الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى وقتنا هذا وقد أطال العلامة اللقانى وولده

الكلام على ذلك عند قوله فى جوهرته

وأثبتن للاوليا الكرامه * ومن نفاها انبذن كلامه

أى اطرح كلام من ينفيها من المعتزلة ومن جرى على طريقتهم وقد قال قال العلامة النسفى فى عقائده كرامات الأولياء حق فتظهر الكرامة على طريق نقض العادة للولى من قطع المسافة البعيدة فى المدة القليلة وظهور الطعام والشراب واللباس عند الحاجة والمشى على الماء وفى الهواء وكلام الجماد والعجماء وغير ذلك من الاشياء ويكون ذلك معجزة للرسول الذى ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته لأنه ظهر بها أنه ولى ولا يكون وليا الا اذا كان محقا فى ديانته برسالة رسوله انتهى وقد أقره شارحه سعد الدين وغيره من أئمة أهل السنة أسعد الله جميعهم وخذل أعداءهم اذا علمت هذا اتضح لك أن الفاعل للكرامات كالمعجزات انما هو الله تعالى وحده لكن أظهرها الله سبحانه وتعالى على أيدى أهل طاعته الموصوفين بما تقدم اكراما لهم واذلالا لمنازعيهم وخصمائهم وليس لهم فى ذلك اكتساب ولا لهم على ذلك اقتدار فمن نسب لهم فى ذلك فعلا فقد ضل وحاد عن الطريق المستقيم اذ مذهب أهل السنة والجماعة أن العبد لا يخلق شيأ من الافعال بل المنفرد بالخلق والايجاد هو الله الفاعل المختار وحينئذ لا فرق فى اظهارها على يد أحد منهم بين كونه حيا أو ميتا وانكار أهل الجهل والبهتان وقوعها على يد الأموات لاعتقادهم الفاسد أن الفاعل هو صاحب الكرامة وقد علمت بطلانه وأنه مبنى على قاعدة أهل الاعتزال والملامة ومن المشاهد المحسوس حفظ الله تعالى لمن أراد زيارتهم بحسن اخلاص واعتقاد صحيح من شر الأعداء المراقبين له ومن قطاع الطريق فلا يقع خلاف ذلك الا نادرا فهذه كرامة عظمى وأما ما يقع من الانس الباطنى والاشراق الظاهرى وحسن الحال لمن ذكر فأمر يعرفه من ذاقه من أهل الايقان ولا ينكره الا المحروم المطرود عن باب الفضل

والاحسان قال المحقق الشهاب ابن حجر فى فتاويه مانصه وجاء عن المشايخ العارفين والائمة الوارثين أنهم قالوا أقل عقوبة المنكر على العارفين حرمان بركاتهم قالوا ويخشى عليه سوء الخاتمة نعوذ بالله من سوء القضاء وقال بعض العارفين من رأيتموه يؤذى الأولياء وينكر مواهب الاصفياء فاعلموا أنه محارب لله مبعود مطرود عن حقيقة قرب الله وقال الامام المجمع على جلالته وامامته أبو تراب النخشبى رضى الله عنه اذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة فى أولياء الله تعالى وقال الامام العارف شاه ابن شجاع الكرمانى ما تعبد متعبد بأكثر من التحبب الى أولياء الله لأن محبتهم دليل على محبة الله عز وجل اه ويكفى فى عقوبة المنكر على الاولياء قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح القدسى من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب أى أعلمته أنى محارب له ومن حارب الله لا يفلح أبدا قال العلماء لم يحارب الله عاصيا الا المنكر على الاولياء وآكل الربا وكل منهما يخشى عليه خشية قريبة جدا من سوء الخاتمة اذ لا يحارب الله الا كافرا اه قلت ومن أذية أولياء الله ايقاع المعاصى كالغيبة والنميمة وسائر المحرمات بأمكنتهم وكثرة اللغط فيها بغير ذكر الله المصحوب بخشيته تعالى نسأله سبحانه وتعالى بهم الحفظ من جميع المكاره ونسأله من فضله الدخول فى حزبهم الى أن نلقاه تعالى وهو راض عنا آمين واذ قد سمعت كل ما سبق فهمت أنه لا اعتراض عليهم بشئ مما يقع فى أمكنتهم من آحاد الناس ولنضرب مثالا كالشمس المنيرة لا يصد عنه الا أعمى البصر والبصيرة هو أن بعض الاموات من آحاد الناس يبالغ أهله فى التجهيز والتكفين وفى تشريف قبره واظهاره بين المسلمين فهل يسوغ لعاقل أن ينسب للميت شيأ من ذلك أو يلوم عليه فيما يقع هنالك والحاصل أن الله قد أكرم أحبابه فى الحياة وبعد الممات فهو الفاعل جل جلاله لا غيره من سائر الممكنات ومن المقرر عند السادة الاعلام أن ما جاز للانبياء معجزة جاز للاولياء كرامة بشرط عدم التحدى وهو ادعاء النبوة

فاعرف المقام وأما انكار أهل الضلال زيارة أهل الله الواصلين لكل كمال فهو زيادة فى الحرمان لما ورد عن سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم من طلب زيارة قبور المسلمين على الاطلاق فما بالك بزيارة أهل الله وخاصته ولاسيما أهل بيت المصطفى المطلوب زيادة اكرامهم بالاتفاق وقد قال مولانا سبحانه فى كتابه العزيز قل لاأسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى قال أهل التفسير المعنى لاأطلب على ماأتعاطاه من التبليغ والبشارة نفعا الاأن تودوا قرابتى روى أنها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما ذكر ذلك البيضاوى وقيل فى الآية غير ذلك وطلب مودتهم لايختص بحال الحياة ثم قال صاحب الحصن الحصين وجربت استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة وقال العارف بالله تعالى سيدى محمد بن عبد القادر الفاسى وقد كان الامام الشافعى يقول قبر موسى الكاظم الترياق المجرب قال العارف بالله أحمد زروق قال أبو عبد الله واذا كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم فماظنك بمواطن اجتماعهم على ربهم ويوم قدومهم عليه بالخروج من هذه الدار وهو يوم وفاتهم فزيارتهم فيه تهنئة لهم وتعرض لما يتجدد من نفحات الرحمة عليه فهى اذا مستحبة ان سلمت من محرم أومكروه فى أصل الشرع كاجتماع النساء وتلك الامور التى تحدث ولبعضهم

ان القساوة لادواء لضرها * الازيارة ساكنى الألحاد
ولرب زورة عارف بها * منها على الزهاد والعباد
ولخير أعمال العبيد جلوسهم * عند الولى هنيهة الصاد

فائدة: أفضل الاعمال

ورأى بعض الصالحين النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فسأله عن أفضل الاعمال فقال عليه الصلاة والسلام أفضل الاعمال جلوسك عند ولى من أولياء الله قدر حلب شاة قال حيا كان أوميتا يارسول الله قال حيا كان أوميتا قال الشيخ سيدى

محمد بن ناصر وهذا أقل ما ينبغي أن يمكث الزائر بين يدي الولي ومن كلام سيدي ابراهيم البازي رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين

زيارة أرباب التقى مرهم يبرى * ومفتاح أبواب الهداية والخير
وتحدث في صدر الخلي ارادة * وتشرح صدرا ضاق من سعة الوزر
وتنصر مظلوما وترفع خاملا * وتكسب معدوما وتجبر ذا كسر
ولا فرق في إمكانها بين سالك * مرب ومجذوب وحي وذي قبر
وذي الزهد والعباد فالكل منهم * عليهم ولكن ليست الشمس كالبدر
فزر وتأدب بعد تصحيح نية * تأدبهم اولئك مع المالك الحر
عليك بها فالقوم باحوا بسرها * ووصوا بها يا صاح في السر والجهر

انتهى من الفتح المبين والدر الثمين للشيخ عبد الله الهاروش المغربي وأما ما يقع في أماكنهم من المعاصي والمخالفات فهم برآء من ذلك ولا ينسب اليهم شئ من تلك القبائح ولا لوم عليهم في أمر من الأمور بل هي منسوبة لمن اكتسبها وهل أحد من أدنى المسلمين يرضى بذلك أو يهواه ولو كان من أكبر أصحاب المعاصي بل يعتقد انه رذيلة و يبالغ في كتمه عن أعز الاخوان الا من زادت فضيحته فابتلى بها وتجاهر بالامتحان

يقضى على المرء في أيام محنته * حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

فكيف بالخاصة من أهل الله والعجب كل العجب من هذه الفرقة الضالة تنكر منهم الكرامات بعد الممات ويذمونهم بما يقع في مقاماتهم من المخالفات فان اثبتوا أن لهم في المخالفات صنعا فاعترضوا عليهم بذلك فليقروا بالكرامات وليثبتوها بالقياس على ما هنالك والا فليتركوا تفاصيل الاحوال أليس قد وقع في مقام سيد الاصفياء وزين الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام كثير من المخالفات وهم عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم بلا خلاف فهل يحل

لمؤمن أن يقول ان الرسول عليه الصلاة والسلام رضى بذلك أو أحبه بل من تفوه بهذا كان من المرتدين وكيف يرضى مؤمن بمخالفة مولاه وهل لأحد شئ مع الله نعم هو واقع بارادته تعالى كما هو مذهب أهل السنة ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون وأما قولهم من أين لنا أنهم ماتوا على الاسلام فهو قول خبيث يجر لقائله الوبال والوقوع فى مهاوى البهتان والضلال اذ ذلك يجره الى الشك فى نفى الصحبة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول هذا الخبيث من أين علمتم أنهم ماتوا على الاسلام فان أقر بموجب هذه المقالة قلنا له يا خاسر الدين يا عدو خاصة المسلمين هم نجوم الاسلام ومصابيحه بشهادة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فقد ألزمت نفسك الشك فى بقائهم على أكمل الحالات بعد الموت فحرمت بركة أنوارهم وأسرارهم وفاتك من الخيرات أعظم فوت وان قال كلامى فى غير هذه العصابة المرضية قلنا له أى فرق وهم سادات الاولياء وأعاظمهم بغير مرية بل ربما جره الى الكفر والعياذ بالله بأن يصرح فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام بتلك العبارة الشنيعة فما أقبح ذلك الخبيث وأقل حياءه وهو لو قيل له لا نصلى عليك بعد موتك ولا ندفنك فى مقابر أهل الاسلام لتقطع غيظا واستشاط غضبا وامتلأ سما من ذلك الكلام وكيف يصلى على من لا يدرى هل من مات على الكفر أو الايمان وهو مقر بذلك على غيره أفلا يسلم ذلك فى نفسه وهو بزعمه من أهل الايقان فان لم يرض بذلك لنفسه فكيف يتجارى على من غمر برضا الله فى رمسه ومما يكذبه صريحا أمره عليه الصلاة والسلام بزيارة القبور على العموم ولم يقل لا تزوروا الا من تحققتم موته على الاسلام ومما يجرى على ألسنة تلك الجماعة فى استدلالهم على منع زيارة الاولياء وأهل الطاعة قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا وقد أخطؤا فى فهم المراد منه فقد قال الشهاب الخفاجى الحنفى فى شرحه على الشفاء الصحيح

أن معناه لا تشد لنذر العبادة فيه ولذا قالوا ولو نذر الصلاة فى غيرها لم يلزمه فلا يكره شد الرحل لبعض الاماكن المتبرك بها أو لزيارة من فيها من الصالحين أو لطلب العلم بل قد يكون هذا واجبا عليه انتهى وأما تكفير هذين الامامين الجليلين فمن فرط الاعتدا ومن مجاوزة الحدود وبذلك رجع معتقد هذا بالردا وقد تكرر السؤال عنهما من العلماء الاعلام فأجابوا بأحسن جواب وفوقوا على الطاعنين فيهما سهام الملام قال الامام المحقق والشهاب المدقق علم المتأخرين واستاذ العارفين الشيخ أحمد بن حجر الهيتمى فى فتاويه ما نصه الشيخ محيي الدين بن عربى رحمه الله ورضى عنه امام جمع بين العلم والعمل كما اتفق على ذلك من يعتد به كيف وقد ذكر بعض المنكرين فى ترجمته أنه كان وصل لمرتبة الاجتهاد وحينئذ فاسلامه متيقن وكذلك علمه وعمله وزهادته وورعه ووصوله فى الاجتهاد فى العبادات الى ما لم يصل اليه أكابر أهل الطريق فلا يجوز الاقدام على تنقيصه بمجرد التهور والتخيلات التى لا مستند لها يعتد به بل يستصحب ما علم من اسلامه وعلومه ومعارفه هذا ما يتعلق بذلك وأما الكتب المنسوبة له فالحق أنه واقع فيها ما ينكر ظاهره والمحققون من مشايخنا ومن قبلهم على تأويل تلك المشكلات فانها جارية على اصطلاح القوم وليس المراد منها ظواهرها ثم قال والحاصل أنه يتعين على كل من أراد السلامة لدينه أن لا ينظر فى تلك المشكلات ولا يعول عليها سواء قلنا إن لها باطنا صحيحا أم لا وأن لا يعتقد فى ابن عربى خلاف ما علم منه فى حياته من الزهد والعبادة الخارقين للعادة وقد ظهر له من الكرامات ما يؤيد ذلك منها ما حكاه صاحب القاموس أنه لما فرغ من تأليف كتابه الفتوحات المكية جعله وهو ورق مفرق على ظهر الكعبة فمكث سنة لم تطير الريح منه ورقة ولا وصلت اليها قطرة مطر على كثرة أمطارها ورياحها فسلامة تلك الاوراق من المطر والريح مع مكثها سنة على السطح من الكرامات الباهرة الدالة على اخلاصه

فى تأليفه هذا الكتاب وأنه برىء مما نسب اليه فيه وفى غيره اه وقد تعدد هذا السؤال والجواب فى فتاوى الشهاب المذكور أربع مرات وقد تكلم علماء الحنفية فى ذلك فى كتبهم بما يشفى الغليل ففى معروضات مفتى الحنفية أبى السعود ما معناه من قال عن فصوص الحكم للشيخ محيي الدين بن عربى إنه خارج عن الشريعة وقد صنفه لاضلال خلق الله ومن طالعه ملحد ماذا يلزمه فأجاب نعم فيه كلمات تباين الشريعة لكنا تيقنا ان بعض اليهود افتراها على الشيخ قدس سره فيجب الاحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات اه وقد أثنى عليه صاحب القاموس ثناء عظيما فى سؤال ورد عليه الى ان قال وانى أصفه وهو يقينا فوق ما وصفته وناطق بما كتبته وغالب ظنى أنى ما أنصفته

وما علىّ اذا ما قلت معتقدى * دع الجهول يظن الجهل عدوانا
والله والله والله العظيم ومن * أقامه حجة لله برهانا
ان الذى قلت بعض من مناقبه * ما زدت الا على زدت نقصانا

ثم قال ومن خواص كتبه ان من واظب على مطالعتها انشرح صدره لفك المعضلات وحل المشكلات اه وقد أثنى عليه العارف سيدى عبد الوهاب الشعرانى لاسيما فى كتابه تنبيه الاغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء وكذا أثنى كثير من العلماء والعارفين على الامام الجليل سيدى عمر بن الفارض قصم الله من له يعارض هذا وقد قال العلماء رضى الله عنهم إنه لا يجوز تكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان فى كفره خلاف ولو كان ذلك رواية ضعيفة وبالجملة والتفصيل فالكلام على هذه المسائل يستدعى جملة من التطويل لكن هذه النبذة فيها اشارة اجمالية يكتفى بها من له بصيرة ربانيه ويرجع بها عن المنازعات ان كان ممن يخاف مقام ربه العظيم وسؤال ربه عن دخوله فيما لا يعنيه والتكلم فى أولياء الله الذى يوجب سوء الختام والمقت من الله والخزى والانتقام جعلنا الله ممن

اتعظ بغيره ولم يكن موعظة لسواه وختم لنا بخاتمة السعادة وحفظنا من كيد الشياطين وأدخلنا الجنة مع العلماء العاملين بمنه وكرمه آمين آمين آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابع
التابعين لهم باحسان الى يوم الدين * قال مؤلفه كان ذلك
فى يوم الثلاث الليلتين مضتا من رجب الفرد
الذى هو من شهور سنة ألف ومائة وأربع
وتسعين من الهجرة النبوية على
صاحبها أفضل الصلاة
وأزكى التحيه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هـذه صورة سؤال رفع لشيخ مشايخ الاسلام شمس الملة والدين الشيخ محمد الشوبري رضي الله عنه وأرضاه (صورته) ما قولكم رضي الله عنكم في الاولياء هل لهم وجود وهل كراماتهم ثابتة وهل تصرفهم ينقطع بالموت وهل يمتنع أن يقال سيدي أحمد البدوي وأضرابه انهم أولياء أو يجوز ذلك وهل يجوز التوسل بهم الى الله وهل للاوتاد والانجاب والنقباء ونحوهم وجود وهل ثبتت صحابة غير العشرة وماذا يترتب على من منع جميع ما ذكر وهل يجوز أن يحكم للولي اذا مات ببقاء ولايته أم لا لاحتمال موته على غير الاسلام وهل يجوز تقبيل توابيت الاولياء واعتابهم وهل ثبت أن ما كان معجزة لنبي كان كرامة لولي واذا حلف شخص أن سيدي أحمد البدوي وأضرابه من الاولياء يحنث وهل ثبت فيما ذكر دليل أولا أفيدوا الجواب مفصلا أثابكم الله الجنة

فأجاب رضي الله تعالى عنه (الحمد لله) الهادي للصواب نعم أولياء الله وهم العارفون به تعالى حسبما يمكن المواظبون على الطاعات المجتنبون للمعاصي المعرضون عن الانهماك في اللذات والشهوات موجودون لعموم قوله صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ولما يأتي وكراماتهم ثابتة وتصرفهم باق لا ينقطع بالموت ويجوز أن يقال لسيدي أحمد البدوي وأضرابه انهم أولياء الله تعالى لما شاع وذاع وملأ الاسماع من الاخبار عنهم بذلك ويجوز التوسل بهم الى الله تعالى والاستغاثة بالانبياء والمرسلين والاولياء وبالعلماء والصالحين بعد موتهم لان معجزات الانبياء وكرامات الاولياء لا تنقطع بموتهم أما الانبياء فلانهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الاخبار وتكون الاغاثة منهم معجزة لهم والشهداء أحياء عند ربهم أيضا

شوهد واجهارا نهارا يقاتلون الكفار وأما الأولياء فهي كرامة لهم فان أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يخرقها الله بسببهم والدليل على جوازها أنها أمور ممكنة لا يلزم من جوازها ووقوعها محال وكل ماهذا شأنه فهو جائز الوقوع وعلى الوقوع قصة مريم ورزقها الآتي من عند الله على مانطق التنزيل وقصة أبي بكر وأضيافه كما في الصحيح وجريان النيل بكتاب عمر ورؤيته وهو على المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند حتى قال لأمير الجيش ياسارية الجبل محذراله من وراء الجبل لكمن اعدائه هنالك وسماع سارية كلامه وبينهما مسافة شهرين وشرب خالد السم من غير تضرر به وقد جرت خوارق على يد الصحابة والتابعين ومن بعدهم لايمكن انكارها التواتر مجموعها وقد سئل بعض الأئمة الأكابر عن قال ان من كرامات الولي أن يقول للشيء كن فيكون فنهي عن ذلك فقال من أنكر ذلك فعقيدته فاسدة وهل ماادعاه صحيح أو باطل فأجاب أن ماقاله صحيح اذ الكرامات الامر الخارق للعادة يظهره الله تعالى على يد وليه وقد قالت الائمة ماجاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي لافرق بينهما الا التحدي فرجع الكرامة الى قدرة الله تعالى نعم ان أراد استقلال الولي بذلك فهو كافر انتهى وقال شيخنا الرملي وهذه الاشياء يعني الكرامات لايمكن انكارها فالذي نعتقده ثبوت كراماتهم في حياتهم وبعد وفاتهم ولاتنقطع بموتهم ويخشى على جاحد ذلك المقت والعياذ بالله تعالى وللاوتاد والانجاب والأبدال ونحوهم وجود ورد فيهم عدة أحاديث وطعن بعض الناس فيها مردود بأن بعضها يقوي بعضا بل قال بعض الحفاظ إن بعضها صحيح وفي المواهب اللدنية وقد خص الله تعالى هذه الامة الشريفة بخصائص لم يؤتها أمة قبلهم أبان بها فضلهم والأخبار والآثار ناطقة بذلك ثم قال ومنها أن فيهم أقطابا وأوتادا وأنجابا وأبدالا عن أنس رضي الله عنه مرفوعا الأبدال أربعون رجلا وأربعون امرأة

كلما مات رجل أبدل الله رجلا مكانه واذا ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة وروواه الطبرانى فى الاوسط بلفظ لن تخلوا الارض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن عليه السلام فبهم يسقون وبهم ينصرون ما مات منهم أحد الا أبدل الله مكانه آخر وروى ابن عدى بلفظ البدلاء أربعون اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم أحد أبدل الله مكانه آخر فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة ولأبى نعيم فى الحلية عن ابن عمر رفعه (١) خيار أمتى فى كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ولا الأربعون ينقصون كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر وفى أرض كلها وفى تاريخ بغداد للخطيب عن الكنانى قال النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والبدلاء أربعون والأخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد فسكن النقباء الغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والأخيار سياحون فى الارض والعمد فى زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا عرضت الحاجة من الامراء العامة اجتهد فيها النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان أجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تستجيب دعوته انتهى وقال الحافظ ابن حجر الابدال وردت فى عدة أحاديث منها ما يصح ومنها ما لا يصح وأما القطب فورد فى بعض الآثار وأما الغوث بالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت واذا مات القطب جعل مكانه خيار الاربعين واذا مات أحد الاربعين جعل مكانه خيار الثلثمائة واذا مات أحد الثلثمائة جعل مكانه خيار الصالحين واذا أراد الله تعالى أن يقيم الساعة أماتهم أجمعين وبهم يدفع الله تعالى عن عباده البلاء وينزل قطر السماء وفى السيرة الشامية قال الامام اليافعى فى كتابه كفاية المعتقد قال بعض العارفين الصالحون كثير مخالطون للعوام لصلاح الناس فى دينهم ودنياهم والنجباء فى العدد أقل منهم والنقباء فى العدد أقل منهم وهم مخالطون للخواص والأبدال فى العدد أقل منهم وهم نازلون فى الامصار

(١) فى هذا الحديث نقص وتحريف يعلم من الجامع الصغير اه

العظام لا يكون فى المصر منهم الا واحد بعد واحد فطوبى لبلدة كان فيها اثنان منهم والأوتاد واحد فى اليمن وواحد بالشام وواحد فى المغرب وواحد فى المشرق والله تعالى يدير القطب فى الآفاق الاربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك فى أفق السماء وقد سترت أحوال القطب وهو الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه غير أنه يرى عالما كجاهل أبله كفطن تاركا آخذا قريبا بعيدا سهلا عسيرا آمنا حذرا وكشفت أحوال الاوتاد للخاصة وكشفت أحوال البدلاء للخاصة والعارفين وسترت أحوال النجباء والنقباء عن العامة خاصة وكشف بعضهم لبعض وكشفت أحوال الصالحين للعموم والخصوص ليقضى الله أمرا كان مفعولا انتهى وقول السائل هل ثبتت الصحبة لغير العشرة جوابه نعم بالأدلة الصحيحة الصريحة بعدد لا يحصى وايجاد لا يستقصى ومن ثم قال بعض الائمة أما عدة أصحابه صلى الله عليه وسلم فمن رام حصر ذلك رام أمرا بعيدا ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى لكثرة من أسلم من أول البعثة الى أن مات النبى صلى الله عليه وسلم وتفرقهم فى البلاد والبوادى وقد روى أنه سار عام الفتح فى عشرة آلاف من المقاتلة والى حنين فى اثنى عشر ألفا والى حجة الوداع فى تسعين ألفا والى تبوك فى تسعين ألفا وقد روى أنه قبض عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا والله أعلم بحقيقة ذلك ولا تختص الصحبة ببنى آدم بل تعم غيرهم من العقلاء كالجن لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث اليهم قطعا وأما الملائكة فينبنى ثبوت ذلك لهم على ثبوت بعثته اليهم وفيه خلاف وقال الجلال وقد عد بعض المحدثين فى جملة الصحابة عيسى والخضر والياس قال الذهبى فى تجريد الصحابة عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام نبى وصحابى فانه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فهو آخر الصحابة موتا اه والرواة عنه ألف وخمسمائة وقول الحاكم أربعة آلاف رده الذهبى وأين هذا الجاحد لغير

العشرة من التهذيب والاصابة فان قلت لعله نفى التبشير لغير العشرة بالجنة قلت على فرض هذا هو أيضا ممنوع بل بشر صلى الله عليه وسلم غيرهم كأهل بيعة الرضوان الذين بايعوا فى الحديبية تحت الشجرة قال عليه الصلاة والسلام لا يدخل النار من أصحاب الشجرة أحد ان شاء الله تعالى فان قلت على هذا اما الوجه فى تخصيص العشرة فى كونهم مبشرين بالجنة قلت قال بعضهم خبر الآحاد لا يفيد العلم بل يفيد الظن والعشرة كونهم مبشرين مقطوع به بدليل قطعى اه ويترتب على من منع ذلك التعزير اللائق بحاله الرادع له ولأمثاله عن الخوض فى هذه المسالك وتهوره بمثل ذلك ولا تنقطع ولاية الولى بموته كما علم مما تقدم ولا يظن بمسلم فضلا عن ولى الله تعالى هذا الظن فلا يلتفت اليه ولا يعول عاقل عليه وأما تقبيل توابيت الاولياء وأعتابهم فلا خلاف فى جوازه بل ولا كراهة فى تقبيل أعتابهم على قصد التبرك كما أفتى به العلامة الرملى رحمه الله تعالى ومن حلف أن السيد أحمد البدوى أوغيره ممن اشتهر بالولاية أنه ولى لله تعالى فهو بارّ فى يمينه غير حانث لبناء حلفه على هذا الامر الظاهر وقوله وهل ثبت دليل قلنا هذا الامر الظاهر

غنى عن طلب دليل اذا الطلب لذلك انما يصدر عن جاحد معاند

لا يلتفت اليه ولا يعوّل فى هذه المباحث عليه وقد غلب هذا

الداء العضال على كثير ممن يزعم انه من أرباب الاحوال

نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا

ومضلات الافعال ولا حول ولا قوة الا

بالله العلى العظيم وصلى الله

على سيدنا محمد وعلى

آله وأصحابه

تم

﴿ يقول المتوسل بذى المقام المحمود الفقير الى الله سبحانه «طه بن محمود» خادم التصحيح للكتب العربيه بالمطبعة الكبرى الاميريه ﴾

حمدا لمن اختص أولياءه بالزلفى وعظيم الجاه وصلاة وسلاما على سيدنا محمد الشفيع المشفع يوم يختم على الافواه وعلى آله وصحبه الفائزين بقربه (أما بعد) فكم لله من فضل جزيل ومنه تيسير هذا المطبوع الجليل المشتمل على عدة كتب نافعه قام مؤلفوها بالادلة الساطعه والبراهين القاطعه التماسا لاحقاق الحق فى مسائل زلت فيها أقدام شيعة الباطل فأنكروا ندب زيارة الانبياء والاولياء فى قبورهم ورأوا أن لا كرامة للولى بعد موته الى غير ذلك من ضروب الهذيان التى تكفلت بدفعها هذه الكتب الحسان فلله در مؤلفيها الذين بينوا سبيل الرشد لمصطفيها وما أولاهم بقولى

بأبى نخبة من العلماء * ورثوا علمهم من الانبياء
لبثوا بيننا كما لبثت زهر الدرارى فى حندس الظلماء
دهرهم يعملون لله بالله ولا يجنحون للأهواء
بذلوا علمهم فأحيوا به ديـ * ـنا قويما فى سائر الاحياء
إن حيوا أو قضوا فلن تبرح الار * ض عليهم محسودة للسماء
كيف لا تحسد السموات أرضا * ضمنت جسم سيد الاصفياء
كيف يقضى عليهم بعد موت * بانقطاع لنفعهم وعفاء
ليس يقضى بذا العفاء عليهم * غير وغد ألقى نقاب الحياء

وكان طبعه بالمطبعة العامره ببولاق مصر القاهره فى ظل خديو مصر الاكرم
من بلغنا بدولته الامانى أفندينا « عباس حلمى باشا » الثانى أدام الله طالع
سعده وأقر عينه ببقاء ولى عهده مشمولا طبعه الجميل بنظر من هو نعم
الوكيل من عليه جميل طبعه يثنى جناب وكيل المطبعة
عزتلو محمد بك حسنى وتم طبعه فى أواخر
المحرم الحرام فاتحة عام ١٣١٩
من هجرته عليه الصلاة
والسلام

(م)

﴿ فهرست شفاء السقام للامام العلامة تقى الدين السبكى ﴾

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت ﴾

اعـــلان

كل من أراد هذه الكتب الآتى بيانها فليخابر حضرة الشيخ فرج الله زكى الكردى وكيل الشركه الخيريه لنشر الكتب العاليـة الاسلامية بمصر بالازهر الشريف ويجوز تبديل الكتب الآتية بالمطبوعات الهنديه وغيرها فمن كان عنـده كتاب فليخابر الشيخ فرج الله المذكور من أى بلد كان

(وهـذا بيـانها)

الكتاب	ثمن	جلد
شرح تحرير الاصول لابن الهمام مع شرح الاسنوى على منهاج الاصول للبيضاوى	٤٠	٣
شرح كشـف الاسرار للنسفى مع نور الانوار وقمر الاقمار كلها على المنار	٢٥	٢
شرح المسايرة للكمال بن الهـمام	٠٧	١
كتاب سيبويه مع شواهد الاعلم	٠٠	٢
شروح التلخيص وهى عروس الافراح لابن السبكى ومواهب الفتاح لابن يعـقوب والايضاح لصاحب التلخيص وحاشية الدسوقى على شرح السعد كلها على التلخيص بحيث لو طالعت سطرا من متن التلخيص ترى فى صحيفته هـذه المواد كلها مفصولة بجـداول	٤٠	٤
تقريب المرام فى شرح تهذيب الكلام لأفضل المتأخرين وقـدوة المحقـقين فخـر الملة والدين مرجع أفاضـل علماء الاكراد فى زمانه الشـيخ عبـد القادر السـنندجى الكردستانى.	١٥	٢

مع حاشية الحماكان لاخيه المحقق الربانى مولانا الشيخ محمد وسيم الكردستانى وحواش متفرقة لبعض الافاضل	ثمن	جلد
شفاء السقام فى زيارة خير الأنام للامام العلامة قاضى القضاة شيخ الاسلام والمسلمين امام المجتهدين سيف المناظرين تقى الدين أبى الحسن على بن عبد الكافى السبكى تغمده الله برحمته ورضوانه * ويليه كتاب (نفحات القرب والاتصال باثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامات بعد الانتقال) لشيخ الاسلام شهاب الدين أحمد الحسينى الحموى ويليه أيضا رسالة فى اثبات كرامات الأولياء للعلامة السجاعى ومعها جواب سؤال عن كرامات الأولياء للعلامة الشوبرى	٠٥	١

(وكل ما ذكر مطبوع بالمطبعة الاميرية ببولاق)